

إحسان عبد القدوس

ألف وثلاث عيون

١

الناشر: مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفيحاء"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

العين الأولى

- ١١ -

لا ... ليس هناك شيء اسمه : الحب .
انى أضحك على البنات العبيطات اللاتي يهمن وراء تأوهات
عبد الوهاب ، ونحيب عبد الحليم حافظ ، ويسكن صباهن بين
سطور القصص والأفلام العاطفية .. ثم يعلقن أو هامهن فوق
أول شباب يلتقين به ، ويمزقن قلوبهن بأظافرهن ، ويصرخن :
لقد وقعنا فى الحب ..

لا يا بنات ..

لا يا واهمات ..

ليس هناك شيء اسمه : الحب ..

صدقونى ...

انى أعرف ... انى خبيرة .. انى صاحبة تجربة كبيرة :

مريرة ..

ان ما يسمى حبا ليس .. ليس الا ... ماذا أقول .. انه
.. انه مجرد تعود .. نعم ، مجرد تعود .. تتعودين على
رجل ، وتتأصل فيك العادة ، حتى تظنين انها الحب .. أو تسميها
حبا .. تماما كما نقول ان هذا الرجل يحب الويسكى . هل يعقل
ان يقع رجل فى حب الويسكى .. ولكننا نستعمل كلمة « الحب »
بالنسبة للويسكى ، كما نستعملها بالنسبة للعلاقات الانسانية ...
لان العنصر الأساسى الذى تقوم عليه العلاقة التى تجمع بين
الرجل والويسكى ، هو نفس العنصر الذى تقوم عليه العلاقة

التي تجمع بين الرجل والمرأة .. وهو العادة .. التعود ..
وعندما نقول أن فلانا يحب الويسكى . انما نقصد أن فلانا تعود
على الويسكى .. وعندما نقول أن فلانة تحب فلانا ، انما نقصد
أن فلانة تعودت على فلان ..

اذن ا لو كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا أحببت فلانة هذا
الرجل بالذات ، ولم تحب غيره .. أو على الأصح .. لماذا تعودت
فلانة على هذا الرجل بالذات ، ولم تتعود على غيره ؟

مسألة أدواق ...

أن هناك رجلا يتعود على الويسكى ، وآخر يتعود على
الكونياك ، وثالثا يتعود على النبيذ .. و .. و .. وكذلك البنات
.. بنت يعجبها الشاب الأسمر .. وبنت يعجبها الشاب الأشقر
.. وبنت يعجبها الشاب الضخم .. وأخرى يعجبها الشاب
النحيل .. و .. و ..

ورغم ذلك فليس هناك بنت بدأت حياتها العاطفية بشباب
واحد .. انها تبدأ دائما بتقليب عينيها بين الشبان ، كما تقلبها
بين صفحات مجلة الأزياء .. ويعجبها أكثر من ثوب .. عشرة
أزياء .. عشرون زيا .. ويعجبها أيضا أكثر من ثياب .. عشرة
شبان .. عشرون شابا .. وتطل في كل منهم وتتمنى أن تلمسه ،
وتتمنى أن تسمع صوته في التليفون ، وتنظر الى شفثيه وتتمنى
أن تذوق طعمها بشفتيها .. وقد تذوق طعم كل الشفاه
أو بعضها .. الى أن تقف عند الشفتين اللتين ساعدتها الظروف
على أن تتعود عليهما ..

ليس هناك فارق بين قبة شاب من الشبان العشرة الذين
أعجبت بهم ، وأخرى .. نفس المذاق .. ونفس ارتعاشة
الشفثين .. ونفس الريق الذي نشربه في صمت وعيوننا مغلقة

.. ولكن هناك فارقا بين قبة تعودت عليها ، وقبة لم أتعود عليها
.. ولو تعودت على قبة أي واحد من العشرة الذين تمنيتهم
لأسميت هذا التعود حبا .. كما أسميت تعودي على هاشم حبا ..
لا يمكن أن يكون ما كان بيني وبين هاشم أكثر من هذا ..
مجرد تعود ..

لم أحبه .. لا يمكن أن يكون هذا حبا .. لا أريد أن يقال
اني أحبته .. اني أجن كلما سمعت من يقول اني أحبته ..
فقط تعودت عليه .. وكل هذا العذاب لاني تعودت عليه ..
والتعود اه أحكام قاسية .. انه يسيطر عليك .. يخضعك ..
بذلك .. يحو شخصيتك .. ان الرجل الذي تعود على الويسكى
قد يجن اذا حرم من الويسكى .. يحطم كل ما حوله .. ثم يحطم
نفسه ... ينتحر ... وقد حدث كل هذا لى لاني تعودت على
هاشم ..

كيف سححت لنفسى أن أتعود عليه وهو مر .. فظيع ..
وكنت أعلم منذ اليوم الأول انه مر وفظيع ..

لا أدري ..

ان الويسكى أيضا طممه مر ، وفظيع ..

وقد تعودت على الاثنين ..

تعوت على هاشم ..

ثم تعودت على الويسكى ..

و ..

اني أضحك .. أضحك على نفسي .. أضحك على خيبتى ..
على عذابي . اني أحاول أن أبدو في هذه السطور التي أكتبها كأنى
فيلسوفة .. ها .. ها .. ها .. ليس هذا كلام حسن .. قتاله
لى مرة ليحفف به دموى ، ثم أخذ شفثى بين شفثيه ليعودنى

عليها ، لعلى أتخلص من تعودى على شفتى هاشم .. وانى
اذكر ليلتها .. لقد تركت حسن يأخذ أكثر من شفتى .. تركته
ياخذنى كلى .. لأساعد نفسى على التخلص من تعودى على هاشم
.. فقد آمنت يومها بكلامه .. آمنت أن الحب ليس سوى ..
عادة !!

ولكنى لم أكن أعرف حسن عندما عرفت هاشم ..

لم أكن فيلسوفة ..

ولم يقل لى أحد كلاما يجعل منى فيلسوفة ..

كنت بنتا كبقية البنات .. أهيم وراء تاوهات عبد الوهاب ،
ونحيب عبد الحليم حافظ . وأسكب صباى بين سطور القصص
والأفلام العاطفية ..

وكنت حلوة .. جميلة .. شعرى فى لون البندق .. طويل
.. يصل الى كفتى .. وعيناي واسعتان .. عسليتان .. عندما
ينسكب فيهما ضوء الشمس ، يشعان بلون اصفر ، لن أقول
انهما كعيني غزال ، فقد رايت عيون الغزلان وكرهتها .. وفى
صغير .. شفثاي مكتنزتان .. شفثى السفلى أكثر امتلاء من
العليا .. ولى سنة أمامية نصفها مكسور .. دمهها خفيف ..
عندما تنكشف عنها شفثاي يخيل اليك انى أبسّم ، ولا تملك
الا أن ترد ابتسامتى .. وبشرتى بيضاء .. فى لون اللبن الحليب
.. وقوامى .. يجنن .. اننى طويلة .. لست طويلة جدا ..
فقط ١٧٠ سنتى .. وساقاي رائعتان .. كأنهما قالبان من نور ..
انى أحب ساقى .. أحبهما لدرجة انى — وأنا فى السادسة
عشرة — علقت فى ساقى اليمنى سلسلة ذهبية رفيعة تتدلى منها
خرزة زرقاء .. ومنذ كنت فى السادسة عشرة وأنا ألبس حذاء

بكعب عال .. بسبعة سنتى .. ان الكعب العالى يظهر جمال
الساقين ..

ونهدأى كزهرين من زهور عباد الشمس ، معلقتان فوق
صدرى .. وخصرى نحيل .. لا يزيد عن ٥٥ سنتى .. ولى
« حسنة » فى لون الشيكولاتة فوق كفتى .. و « حسنة »
أخرى .. لن أقول أين ..

وكنت مفتونة بجسدى .. كنت أقفل باب حجرتى بالمفتاح ،
واقف عارية امام المرآة .. أتأمل كل قطعة منه .. كل خط فيه ..
كل ثنية .. وأتبنى أن تسمن ذراعى قليلا ، فقد كانتا نحيفتين
.. وان يرتفع نهداى قليلا ، حتى يقل بروز العظمتين اللتين
ترسمان كفتى .. ثم أرقص .. أرقص أمام المرآة .. وأبتسم
لخصرى وهو يتثنى .. وصدري وهو يرتعش .. وساقى وهما
تتأرجحان .. فى نعومة ، وهدوء كأنى أسبح فى الهواء .. انى
أحب الرقص .. ولكن احدا لم يرنى أرقص الا مرأتى .. حتى
أمى ، لم ترنى ..

ولم يكن يخطر على بالى صورة اى رجل وانا واقفة امام
المرآة أتأمل جسدى .. أبدا .. لم أكن أفكر فيمن أعطيه هذا
الجسد .. أبدا .. أبدا .. كل هذا كان بعيدا عنى ..
كنت ألح عيون الرجال والأولاد تلاحقنى .. وكنت أزهو بملاحقة
هذه العيون ، ثم أنفضها عن احساسى كأنى أهش الذباب ..
دون أن أترك ذبابة واحدة تحط على ، أو تلتصق بى .. حتى
فى خيالى .. لم يكن هناك رجل معين .. رجل أسعى اليه .
أو يسعى الى .. كان كل ما فى خيالى نجوم السينما .. روك
هدسون .. جريجورى بيك .. دين مارتن .. ليسوا رجالا ..
مجرد خيال .. ومجرد أحلام .. لا تشير فى جسدى أى احساس

.. كان هذا الجسد لى وحدى .. وكنت أحس انى وحدى صاحبة
الحق فى التمتع به .. بالنظر اليه .. وتأمله .. واكتشاف
أسراره .. كنت كالخبيلة التى تحتفظ بكنزها .. لا تفتحه الا أمام
مرآتها .. وكنت أتمتع فعلا بتأمل جمالى أكثر من متعتى بأن
يتأمله غيرى .. كنت مفتونة بنفسى ...

هل اطلت فى وصف جمالى ..

عذرا ..

فهكذا تبدأ قصتى .. تبدأ يوم بدا احساسى بأنى جميلة ..

يوم فتنت بنفسى ..

ورغم هذا فجمالى له خاصية غريبة .. انه يبهر بعض
العيون ، كما يبهرنى .. وعيون أخرى لا تراه .. تمر به دون
ان تأبه .. كأتى لست جميلة .. بل ان الناس يرون بشرتى
البيضاء صفراء .. وزميلاتى فى مدرسة الفرنسيسكان يسموننى
« البننت الصفراء » .. وبعض الناس يرون عينى الواسعتين
جاحظتين بارزتين .. وبعضهم يرى صدرى وظهري ممسوحين
.. نهداى صغيران ، وظهري ليس فيه بروز .. ولكنى لا أعرف
هؤلاء الناس .. ولا أريد أن أعرفهم .. انى أكرهم .. أكرهم
.. وأنا جميلة رغم أنوفهم .. جميلة .. جميلة .. وكل من
أعرفهم يعرفون انى جميلة .. أمى تزهو بى .. وخالاتى الخمس
يستشهدون بجمالى .. وأنا أجمل من ربرى ابنة خالتى ..
وأجمل من فريدة ابنة عمى .. وأجمل بنت فى شارع صلاح
الدين بمصر الجديدة .. والخطاب يطرقون بابى منذ كنت فى
الخامسة عشرة من عمرى .

ومن يدرى ..

ربما كان اختلاف الناس حول جمالى ، هو الذى جعلنى

أزداد تعلقا به .. وأتأمله كل لحظة .. كأتى أتعلق بشيء أخشى
أن يضيع منى ..

الى ان خطبت ..

كنت أيامها فى السادسة عشرة ، أقيم مع أمى وزوجها ،
وأخوتى منها .. ولدان وبنت .. وأمى سيدة طيبة .. تصلى
وتصوم .. ولها فى كل شهر نذر لأحد الأولياء .. نذر لسيدنا
الحسين ، ولو نجح ابنها .. ونذر لسيدى أبو العباس ، لو شفيت
بنتها من الحصبة .. ونذر .. ونذر .. وتقرأ الفنجال .. وتفتح
الكوتشينة .. ولكنها رغم كل هذه الأوهام التى تسيطر على
رأسها ، سيدة مرحة .. لا يخلو يوم من أيامها من اجتماع
بصديقاتها .. وبصديقاتها نصف سيدات القاهرة .

وكانت أمى تدلنى وتهتم بى أكثر من أخوتى .. ربما لأنى
أقيم معها بعيدا عن أبى .. وكانت تدارى أخطائى وتتستر عليها .
حتى لا يدري بها زوجها .. فى الوقت الذى تشكو فيه أخوتى
اليه .. تشكو اليه كل خطأ ، ولو صغيرا .. فيضربهم ..

وزوجها رجل من هذا الصنف من الرجال الذى يدعى القسوة
والحزم ، وهو عبيط تستطيع أن تضحك عليه ، وتخدعه ،
ببساطة ..

وكنت أنا وأمى خارجتين من محل الصالون الأخضر عندما
رأتى رجل .. وسار وراءنا .. وجرى وراء سيارتنا بسيارته
.. الى ان وصلنا الى البيت .. وسأل عنا البواب .. وغى
اليوم التالى جاء ليخطبنى ..

ولا أدري كيف أقتنع أمى بالموافقة على خطبتنا .. انه فى
السادسة والثلاثين من عمره .. بينى وبينه عشرون سنة ..
وقد سبق أن تقدم لخطبتي شبان أصغر منه .. وهو ليس من

عائلة كبيرة ، وقد سبق ان تقدم لى أبناء عائلات كبيرة .. وهو ليس مثقفا ثقافة عالية ، وسبق ان تقدم الى حملة دكتوراه ... وهو غنى .. يعمل مقاولا فى السويس ، ولكن سبق ان تقدم الى اغنى منه .. ورغم ذلك قبلته امى .. انه من هذا الصنف من الرجال الذى يستطيع ان يأكل عقل النساء العجائز ..

ووافق زوج امى .. وافق بسرعة .. ربما ليتخلص منى .. ليستريح من تدليل امى لى ..

اما ابى فقد عارض .. ولكن معارضته لم تكن تساوى شيئا جادا .. ابى كله ليس شيئا جادا ، ولا ينظر اليه أحد نظره جادة .. انه انسان لاه .. لا مسئول .. يعيش لنفسه .. ويتزوج كثيرا .. وكان أيامها يعيش مع زوجته الرابعة .. وكانت امى تقول عنه ان له شقة خاصة يلتقى فيها بامرأة أخرى ستكون يوما ما زوجته الخامسة ..

واستسلمت لأمى .. وفرحت بدبلة الخطوبة ... دبلة من قطع الماس المستطيلة « الباجت » .. والشبكة .. خاتم سوليتير حجمه خمسة عشر قيراطا .. والثوب الجديد .. والحفلة .. واهتمام خالاتى الخمس بى .. وأول مرة أنزع الشعر الخفيف من فوق ذراعى وساقى .. وفرحت أكثر لأنى خطبت قبل ربرى ابنة خالتى ، وقبل فريدة ابنة عمى .. كانت فرحتى أيامها طاغية ، أنستنى كل شىء حتى خطيبى نفسه .. كنت أراه كما أرى باقى الرجال .. أراه فى نظرات عابرة .. لم أحاول أن أدقق فى ملامحه .. لم أر أيامها هذه الثقوب الصغيرة التى تنتشر فوق طرف أنفه ، والتى لا تراها الا اذا دقتت النظر .. ولم أر هذه السنة الذهبية فى جانب فكه الأيمن ، والتى تطل عليك كلما ضحك

.. ولم أر ان كل سراويله واسعة من الخلف ، كان التزوى كاد يصنعها جلبابا ثم غير رأيه فى آخر لحظة .

وسافر خطيبى فى اليوم التالى من اعلان الخطبة الى السويس .. وأصبح يتردد على القاهرة كل أسبوع ليبقى فيها ثلاثة أيام .. الجمعة ، والسبت ، والأحد .. وكل خالة من خالاتى الخمس تقبم لنا وليمة غداء .. وأبى دعانا مرة على العشاء .. وأحسست يومها أنه يقوم بواجب ثقيل يكاد يخنقه .. لقد كاد يطردها أنا وخطيبى بعد العشاء مباشرة .. ولكنى لم أغضب من أبى .. انى أعرفه .. واحبه ..

ولم يتركونا أنا وخطيبى وحدنا أبدا . كانت امى معنا دائما .. وعندما تغيب لحظات تحرص على أن تترك مكانها لزوجها أو لأخى الصغير وخطيبى لم يحاول أن ينفرد بى .. بل لم يحاول أن يهمس فى أذنى همسة لا تسمعها امى .. او يضغط على يدى .. أو أى لفظة من هذه اللفقات التى كنت أقرأ عنها فى القصص .. كان كل ما يحرص عليه أن يصلى الفروض فى موعدها .. وكانت كل أمنيته أن أصلى مثله .. وأمى تطمئنه الى انى بعد الزواج لا بد أن أصلى !

وبدأت فرحتى بالخطبة تخف ..

الدبلة والخاتم رأهما كل أفراد عائلتى وكل صديقاتى .. وثوبى أصبح قديما .. والحديث أصبح معادا .. ثم ..

عندما وقفت مرة أمام المرآة لأرقص عارية كعادتى ، وباب غرفتى مغلق بالمفتاح ، شعرت لأول مرة أن هذا الجسد لم يعد لى وحدى .. لقد أصبح لى شريك فيه .. ورأيت فى صفحة المرآة صورة وجه شريكى .. خطيبى .. ولأول مرة أعى ملامحه ، التى كنت التقطها بعينى دون أن أعيها .. دون أن أهتم بها .

رايت الثقوب الصغيرة فوق مقدمة انفه . ورايت سرواله المهدل .. واخفى خيالى الذى يحمل صورة روك هدمون ، وجريجورى بيك .. لم يعد امامى الا هذا الواقع الذى يحمل صورة خطيبي .. وسرت قشعريرة فى بدنى .. ولم أستطع يومها أن أرقص .. بل لم أستطع أن اظل عارية .. جريت وأخفيت جسدى خلف ضلفة الدولاب ، كأتى أخفيه عن عيني خطيبي المنتوفتين ..

ومن يومها بدأ جسدى يقلقنى .. بدأت احس أن الكنز الذى حرصت العمر كله على أن أخفيه الا عن مرأتى ، أصبح على وشك أن يكشف .. بدأت احس بالمعاول تحفر فوقه لتصل اليه .. معاول من احسانى بأن شيئاً يقترب من شفتى .. من عنقى .. من صدرى .. من خصرى .. من ساقى .. وتأكدت يومها أن كنزى لا بد أن يكشف يوماً .. لا حيلة لى .. لا أستطيع أن أخفيه بقية عمرى .. شخص ما لا بد أن يصل اليه .. ولكنى لا أريد أن يكون هذا الشخص هو خطيبي .. لا أريده .. لا أريده .. انى أنفر منه .. انه يقززنى .. يده فى يدي كقطعة العجين الملساء .. ونظراته تسيل من عينيه كقطرات الزيت .. وكلماته تقع من شفثيه كقطع الطوب .. ليس فيها حنان .. ليس فيها معنى يبهرنى .. ليست فيها مهارة المكتشف .. مكتشف الكنز .. هل أستطيع أن أفسخ الخطبة ؟

ربما لو حاولت أيامها لاستطعت أن أفسخها .. ولكنى لم أحاول .. كنت ضعيفة الشخصية .. كنت أضعف من أن أتف امام امى ، وأطلعها على حقيقة شعورى نحو خطيبي .. وفى الواقع لم أكن أعرف ماذا أريد .. لم أكن أستطيع أن أفهم حقيقة عواطفى .. وكان ما أفهمه **أشك فيه** .. كنت مترددة .. أحيانا اعتقد أن نصيبي هو نصيب كل البنات .. وأحيانا احس أنى

مظلومة .. وأحيانا احس كأتى بنت خاطئة لجسرد تفكيرى فى مسخ خطبتي .. كأتى بهذا التفكير أتحدى الله .. أتبطر على النعمة .. وأحيانا احس بالثورة تملأ صدرى ، وتكاد تقتلعنى من فوق سريري ، ولكنى أطفىء ثورتى ، واهز رأسى فوق الوسادة ، واهمس لنفسى .. يا بنت اعقلى !

وانتهى بى هذا التردد ، الى الاستسلام ..

ولكن هذا الاستسلام دفعنى الى نوع من التحدى .. تحدى ضعفى .. وتحدى ترددى .. وتحدى أمى .. وتحدى نصيبي .. وكان نوعاً من التحدى المكبوت الخفى .. لا أصارح به نفسى .. ولكنه يدمغنى .. يدمغ تفكيرى .. يدمغ انفعالاتى .. ويدمغ تصرفاتى ..

ودفعنى هذا التحدى الى أن أبحث عن مكتشف آخر لجسدى .. شخص آخر غير خطيبي عبد السلام ، يكون أول من يلمس شفتى ..

وبدأت عيناى تدوران حولى ..

ولم أعد أهش الذباب فى كبرياء .. كعادتى .. بل أخذت أبحث عن الذباب ، وأرتاح كلما حطت ذبابة على .. وتعلمت كيف أنظر من طرف عيني .. كيف أرى كل شاب ، دون أن يلحظ أنى أراه .. ودون أن تلحظ امى او عبد السلام أنى أنظر الى احد .. وبدأت جمع المعلومات عن كل شاب من شبان مصر الجديدة .. وأرتاح لصديقاتى وهن يتحدثن عن مغامراتهن .. وادفعهن دفعا الى هذا الحديث ..

ثم .. بدأت لعب لعبة التليفون .

كان صديقاتى يجتمعن عندى فى البيت ، ونشترك جميعاً فى

معاكسة الشبان بالتليفون .. وأمي بعيدة عنا فقد خفت رقابتها
على منذ خطبت ، كأنها بدأت ترتاح منى ..

ولم يحدث شيء أكثر من هذا لفترة طويلة .. كنت فقط
انظر الى كل شباب وأقارب بينه وبين خطيبى ، وأتصوره مكتشفا
لجسدى .. وأستمع الى صوت الشبان فى التليفون .. وأقارب بين
صوت كل منهم وصوت خطيبتى . فأجده أكثر حياة ، وأكثر حنانا ،
وأتصور هذا الصوت يملأ بيتى ..

الى ان ابتسمت مرة لمحمد ..

لم أختَر محمد بالذات لأبتسم له .. ولكنى كنت جالسة فى
نادى مصر الجديدة مع بعض صديقاتى .. وأمي جالسة مع
صديقاتها على مائدة أخرى .. ومحمد جالس على حافة حوض
السباحة ، يخلق فى وجهى بعينين مبهورتين .. وكنت زهقانة
.. صديقاتى يتحدثن حديثا مملًا .. فابتسمت لمحمد .. وتعلق
محمد بابتسامتى .. جرى وراءها .. أصبح يلاحقنى .. انه
يدور بسيارته حول بيتى .. سيارة شيفروليه بيضاء رقم ٢١٨٨٣ ،
وهو خلفى فى النادي .. وفى السينما .. حتى وأنا مع خطيبى .
لا يكف عن ملاحقتى .. وملاحقته تملؤنى غرورا ، ونبلاً فراغى
.. وان لم يكن يمثل صورة المكتشف الذى أحلم به .. انه فى
العشرين من عمره .. طالب فى الجامعة .. وبطل فى السباحة
.. حلو التظايع .. ومن أشهر شبان مصر الجديدة .. انه حطم
كثير من صديقاتى .. ولكن ينقصه شيء .. لا أدرى ما هو ..
انه كالطعام الذى طهى على نار حامية .. لو طهى على نار هادئة
لازداد طعامة ودسامة !

وبدا جرس التليفون يرن فى بيتى .. وترفع أمى السماعه
فلا يرد احد .. ويرن مرة أخرى .. ويرفع زوج أمى السماعه .



فلا يرد أحد .. استمر الرنين .. ولا أحد يرد .. أياها كثيرة ..
وبدأت التعليقات .. وبدأت أمى تواجهنى بعينين متسائلتين ..
.. وخفت من هذا التساؤل .. خفت منها .. ومن زوج أمى ..
وفى مرة رن جرس التليفون .. ورفعت أنا السماعه .. وأمى
بجانبي .. وسمعت صوت خالتي وأخذت أرد : الو .. الو ..
وأنا أضغط السماعه على أذنى ، حتى أخفى فيها صوت خالتي
وهى تهتف هى الأخرى .. الو .. الو .. ثم وضعت السماعه
.. والتفت الى أمى ، وقلت فى براءة :

— ما حدث بيبرد ..

فقط لأقضى على شكوكها ..

وحرصت على أن ابقى بجانب التليفون الى أن تكلمت خالتي
مرة ثانية ، وسمعتها تصيح :

— انتم تليفونكم خسران ولا ايه ؟

وأجبت :

— أبدا يا طنط .. ازيك .. وازاى ربرى ..

ثم بعد أيام رن جرس التليفون .. وكنت بجانبه ، وأمى
بعيدة .. وسمعت صوت محمد .. كيف عرفت صوته ، وأنا
أسمعه فى التليفون لأول مرة .. لا أدري .. ولكنى عرفته ..
وقال محمد فى عبط المرور بمجرد أن سمع صوتي :

— أنا محمد ..

وقلت فى حدة هامسة ، وأنا التفت الى الحجره المجاورة
لأرقب أمى :

— انت اللي بتضرب تليفون ولا تردش ..

قال كأنه يتباهى :

— أيوه ..

قلت :

— تانى مره أوعى تضرب تليفون .. فاهم .. انت حانتسيب
لى فى مصيبة ..

قال :

— اذا ما كنتيش عايزانى أضربك . . اضربلى انت ..

قلت :

— طيب .. حاضرلك .. مع السلامة دلوقت ..

وأعدت سماعه التليفون .. وأنا ابتسم .. وكثير من الزهو
يملؤنى .. كأنى أميرة تحكم الرجال ..

وبدأت أحداث محمد فى التليفون ..

لم يكن وحده الذى أحادثه فى التليفون .. كنت لا زلت
أتسلى بالحديث مع غيره .. ولكن محمد وحده هو الذى يعرف
من تحدثه ..

وبعد ثلاثة أسابيع او أكثر .. خرجت الى أول لقاء معه ..
أول لقاء لى مع شاب .. كانت أمى قد سمحت لى بزيارة صديقتى
هدى .. وحدى .. واتصلت بمحمد ، وطلبت منه أن ينتظرنى
بسيارته فى شارع البارون . وركبت بجانبه ..

لم أتردد .. ولم أحس برجفة .. ولا بارتباك .. جلست
بجانبه ، كأنى أجلس فى مقعد السينما .. ونظرت اليه كأنى
أنتظر بداية العرض .. ودبلة الخطوبة فى اصبعى ..

وربما كان محمد يوماً أكثر ارتباكاً منى .. انه لا يعرف
من أين يبدأ العرض الذى أنتظره .. وحديثه متقطع .. ينتقل من
موضوع لموضوع دون أن ينسق حديثه فى موضوع واحد ..
ويتكلم بسرعة ، كأنه يلهث ..
وقال خلال حديثه :

— ده خطيبك اللي كان معاكى انت ومامتك اول امسارح ؟
قلت وانا انظر من خلال نافذة السيارة :

— ايوه ؟ ..

قال :

— بس ده كبير ..

والتفت اليه وفى عيني نظرة متحفزة وقلت فى حدة :

— مالكش دعوه بيه ..

وكنت مستعدة ساعتها ان اضرب محمد بالقلم لو استمر
فى الحديث عن عبد السلام .. لقد شعرت ساعتها ان كل خليجة
منى تتحفز للدفاع عن خطيبي .. لا ادري لماذا .. ان محمد ام
يخطيء .. ان عبد السلام « كبير » .

فعلا .. واكثر من ذلك .. ان على طرف انفه ثقوبا صغيرة
.. وفى فكه سنة ذهبية .. وسرواله مهروول .. ولكنى لا اقبل
ان اسمع هذا الكلام من احد .. انى اقله لنفسى فقط .. و ..
ماذا اقول .. ربما لم اكن ادافع ساعتها عن عبد السلام ..
كنت ادافع عن نفسى .. عن نصيبي .. عن شخصيتى الضعيفة
.. عن استسلامى .

وقال محمد وهو يبتلع ريقه:

— انا آسف ..

ثم مد يده وامسك بيدي وضغط عليها .. وتركتها له لحظة
ليحتفظ بها فى يده .. ثم عدت وسحبتهامنه بسرعة .. لماذا ..
لانى تذكرت عبد السلام وخشيت ان اقرن بين يده ويد
محمد .. اليد الطرية كقطع العجين الملساء واليد الساخنة
المتماسكة التى تضغط على يدي فى قوة ، تكاد تخنق اصابعى ..
ولم يدم لقاىي بمحمد اكثر من ربع ساعة .. ذهبت بمعدتها

الى زيارة صديقتى .. ثم عدت الى البيت ، كانى هائدة من
السينما .. لا شىء بقى من كل ما فعلته اكثر مما يبقى من ذهابتى
الى السينما .. ووقفت اخلع ثيابى فى المرآة ، واتأمل الكنز
العزیز .. ولم اتذكر ساعتها محمد .. ولكنى عدت اتذكر عبد
السلام ، ووجهه يطل على من المرآة .. وانقلبت شفتى رغما
عنى .. فى قرف .. ثم اتحمت فى خيالى صورة محمد .. اخذت
اتخيله كأنه صاحب هذا الكنز .. مكتشفه .. لا .. ان محمد
ينقصه شىء .. لا ادري ما هو .. ولكن يخيل الى انه لا يعرف
المطريق الى كنزى .. ولكن .. لابد انه يعرف اكثر من عبد
السلام ..

ونمت ليلتها ، وليست سعيدة .. وليست شقية .. وليست
نادمة .. ولا شىء .. فارغة ..

هل انبنى ضميرى لانى ذهبت الى لقاء شاب وانا مخطوبة
لغيره .. ابدا ..

ولم اقابل محمد مرة ثانية الا بعد شهر .. ربما الان ظروفى
ورقابة امى لم تكن تتيح لى لقاءه .. وربما لانى لم اكن متحمسة
لللقاء ، الى حد محاولة التغلب على ظروفى ، ورقابة امى ..
وربما لانى كنت لا زلت اتسلى بالتحدث فى التليفون مع
شبان غيره .

وكان لقاؤنا الثانى سريعا ايضا .. حاول خلاله ان يقبلنى
.. ولكنى لم اعطه الاخذى .. ثم فتحت باب السيارة وجريت منه
وبعد اربعة ايام ، حدد موعد كتب كتابى الى عبد السلام
.. وانشغلت فى اعداد ثوب الفرح ، وفى اعداد الحفل الكبير
الذى اقيم لى فى فندق سميراميس .. انشغلت كلى .. امتلا
مراغى حتى قمته .. لم اعد افكر فى محمد .. ولا فى خطيبي

عبد السلام .. ولم أعد أعاكس أحداً في التليفون .. بل تسييت
كفزي الغالى .. نسييت جسدى .. انى مشغولة منذ أن أفتح
عينى ، حتى أنام منهكة متعبة .. تعب لذيذ ..

ربما كان كل القصد من هذه الضجة التى تقام استعداداً
ليوم القران ، هو شغل وقت العروس .. حتى لا تفكر .. حتى
لا تحس .. حتى لا تخلو الى نفسها .. انه من نوع سلب
الإرادة .

ثم ..

وأنا فى « الكوشة » بدأت عيناى تدوران حولى من جديد ..
بدأت أفيق من الاستعدادات التى أخذتني كلى .. الثوب ارتديته
والطرحة البيضاء فوق رأسى .. وثرىا سالم زفتنى .. ونجاة
الصغيرة غنت .. والخاتم أصبح فى يدي اليسرى .. وكلمات
التهنئة أصبحت معادة مملة .. وخالاتى الخمس القين بأنفسهن
على المقاعد فى استرخاء .. وأمى هدها التعب ، وعيناها تغفوان
بين الحين والحين .. انتهى كل شيء .. وافقت لنفسى .. عدت
الى احساساتى .. عدت أحس وأنا فى الكوشة بشفتى ..
بعنتى .. بصدرى .. بساقتى .. ويمتلئ خيالى بصورة زوجى ،
دون أن أن التفت اليه .. وأرى الثقوب على انفه .. وسرواله
المهدل .. وتنقلب شفتى السفلى رغماً عنى .. وأشعر بالسخط
لأن هذا الرجل هو الذى تقرر أن يتشفتنى .. يكشف كفزي ..
وتدور عيناى فى وجوه الشبان الآخرين .. ترى .. من منهم
أحق بالكشافتى .. وأنا .. لا زلت فى الكوشة .. والورد
حولى .. والمدعوون سكارى ..

وعدت الى البيت ..

لست سعيدة ..

ولكنى متعبة ..

وكان الزفاف سيتأجل كثيراً .. فان عبد السلام بينى فيلا فى
السويس لم تتم بعد ، ولا نستطيع أن نشترى الجهاز قبل أن تتم ..
كل ما حدث بعد عقد القران ، أن أمى أصبحت تتركنى مع
عبد السلام وحدنا .. ولكن عبد السلام لا يحاول شيئاً .. انه
يقبلنى على خدى عند لقائنا .. ويقبلنى على خدى عند افتراقنا
.. ويقبل يدي أحيانا .. وفى مرة قبلنى فوق شفتى قبله سريعة
.. مرت كلمسة من الهواء البارد .. ارتبك بعدها .. واحمر
وجهه .. وادعيت أنا الخفر والحياء .. وحاول أن يقبلنى قبله
أخرى .. فقلت وأنا أنفر من جانبته :

— احنا اتفقنا على ايه !؟ ما فيش حاجه قبل ما نروح بيتنا ..

واستسلم الرجل الطيب ..

وبقيت عروساً عزراء ..

والواقع ن عبد السلام كان يفضل أن يجلس مع أمى وزوج
أمى .. على أن ينفرد بى .. كان يجد معها نفسه .. ويضيع
معى عن نفسه ..

والفراغ يحيط بى ..

وعدت أملاً فراغى بمعاكسة الشبان فى التليفون .. والتحدث

مع محمد .. وقد أصبحت أكثر حرية من قبل .. أمى تركتني
أفعل ما أشاء .. كأنها انتهت منى .. ورغم ذلك لم أفكر فى لقاء
محمد مرة أخرى .. كان يلح على كثيراً .. ولكنى كنت أرفض ..
لا أدري لماذا .. ربما لأنى كنت أتعالى عليه بعد أن عقد قرانى
.. أحسست انى أصبحت أكبر منه .. أصبح فى نظرى ..
عيل .. وأنا كبيرة .. زوجة .. أريد شيئاً كبيراً ..

وفى الأيام التى كان عبد السلام يبقى فيها فى القاهرة .

كنت اصر على ان يصحبني للعشاء فى الخارج كل ليلة .. وكنت
انتقى المحال التى تعودت ان اقرا عنها دون ان اراها .. الهيلتون
.. مينا هاوس .. روف سميراميس ..

وفى روف سميراميس ، رايت هاشم لأول مرة ..

الدكتور هاشم .. على سن ورمح .

رايته طويلا .. عريضا .. عيناه منتفختان كأنه مستيقظ
لتوه من النوم .. فيهما نظرات معلقة فى الهواء ، لا تدرى
أينظر بهما اليك ، أم انه لا يراك .. وشفتاه غليظتان ، منفرجتان
دائما نصف انفراجة .. لا تدرى ما بينهما .. ابتسامة .. أم
تأوه .. وأنفه اقنى .. قوى .. ان كل ما فيه قوى .. انه يشبه
المثل الأمريكى روبرت ميتشام ، ولو انه أقل طولا ، وأقل عرضا
.. ونظرت اليه طويلا .. انه من هذا الصنف من الناس الذين
تضطر بمجرد ان تراهم ، ان تنظر اليهم طويلا ، لأن فيهم شيئا
يميزهم عن بقية الناس .

ولا أدري هل كان ينظر الى بعينه المنتفختين أم ان عينيه
كانتا متجهتين نحوى ، بلا قصد .. ولكنى شعرت ان نظرتى
اليه تنقل أحاسيس عجيبة الى جسدى .. الى جسدى .. لا الى
قلبى ولا الى فهمى .. وبحركة غيرا ارادية وجدت نفسى أشد
ثوبى فوق ركبتي ثم أرفع كفى وأغطى بها ذراعى .. كأتى احمى
نفسى منهى ..

وداومت ليلتها النظر اليه .

نظرات مختلصة لا يلمحها زوجى الجالس بجانبى ..
ولا أدري ، لماذا تعمدت ان تكون نظراتى اليه بصراحة ، دون
ان أخشى زوجى .. فأنا لا أعرفه .. وليس بينى وبينه شيء
.. ولكنى أعود وانظر اليه .. وأغتاظ .. أغتاظ من نفسى ،

ومنه ويشتد غيظى .. ان منظره يثيرنى .. يجعلنى أفكر ان
اقوم وأضربه بالقلم .. وأشد أنفه الكبير .. انه يبدو مغرورا ..
متعاليا .. كأنه يملك الدنيا كلها .

ورآه زوجى ، فهمس فى صوت مبهور كأنه رأى شيئا رائعا
.. كأنه رأى نابليون بونابرت ، أو روبرت ميتشام ..

— ده الدكتور هاشم ..

وكانت أول مرة أسمع اسمه .. سمعته من زوجى عبد
السلام ..

واغتظت ساعتها من عبد السلام .. اغتظت منه أكثر من
غيظى من منظر الدكتور هاشم .. لماذا انبهر كل هذا الانبهار
.. لماذا لا تكون له شخصية قوية لا تنبهر بأمثال الدكتور هاشم ..
وشعرت به صغيرا ، تافها .. شعرت بالسخط عليه ، والقرف
منه .

وعاد يقول وهو لا يزال مبهورا وعيناه معلقتان بالدكتور
هاشم ، وكأنه يبتهل اليه :

— ده دكتور شاطر قوى ، مع انه لسه صغير .. تصورى
ان ابن عمى غلب مع دكاترة مصر .. ما حدش عرف يخففه
الا الدكتور هاشم ..

ولم ارد عليه .. هزرت كتفى ، وقلبت شفتى .. كأتى
لا أبالى ..

ورفع زوجى عنقه فى زهو ، كأنه يتباهى بأنه يجلس فى
نفس المكان الذى يجلس فيه الدكتور هاشم .. ثم قال والبهرة
تطل من عينيه :

— اقوم اسلم عليه .. ده مؤكد عارفنى من أيام ما كان
بيعالج ابن عمى .

وصرخت فيه صرخة هامة حادة :

— لا .. اذا كان عارفك يبجى هو يسلم عليك ..
ونظر الى فى دهشة .. وسكت ..

ولم يتعرف الدكتور هاشم على زوجى ، ولم يات لمصافحته .. بل لم ار فى نظراته المعلقة فى الهواء ، انى اثرت انتباهه ، او لفت نظره .. وعدت الى البيت وانا احس بالفشل .. لم اكن انسب فشلى الى الدكتور هاشم .. لا .. فانا لا اعرفه .. ولا يعرفنى .. ولكن لابد انه هو الذى اثار فى الاحساس بالفشل ..

وقبلنى زوجى فى السيارة امام البيت .. قبلنى على خدى .. ثم عاد الى الفندق الذى تعود ان يقيم فيه ، كلما جاء الى القاهرة .. وجلست مع امى اروي لها اخبارى .. قلت لها كل شىء .. وبين كل كلمة واخرى اهم ان اخبرها انى رايت ضمن من رايت الدكتور هاشم .. ولكنى اؤجل الخبر .. واخيرا .. فى آخر نشرة الاخبار ، قلت لها بلا مبالاة :

— وشفنا الدكتور هاشم ..

وانبهرت امى كما انبهر زوجى عبد السلام ، وقالت :

— والنبي جند .. وكان مع مين ؟

قلت وانا مندھشة من انبهارها :

— مع شوية رجاله وستات .

وعادت امى تقول وبهرتها لا تخفت :

— تعرفى انه هو اللى عالج سوسو بنت حسنيه هاشم .. واعادها للحياة .. ده بيقولوا عليه انه معجزة ..
وحنييت راسى فى يأس .. كانى صدمت لان امى لا تريد ان تغتاف معى من الدكتور هاشم ..

واستطردت امى وهى تمصص شفيتها :

— انا عارفه الراجل ده ما بيتجوزش ليه .. ده ما فيهبش حاجه ناقصه على الجواز ابدا ..

وقمت من جانبها وانا اتنهد .. دون ان ارد عليها .

ووقفت امام مرأتى ، وقد خلعت ثيابى ، اتامل جسدى .. وأحذق فيه اكثر من كل يوم .. واتامل كل خط .. كل ثنية .. وقفز الى ذهنى تساؤل مفاجىء كأنه انطلاقة برق شقت ظلام فراغى !

هل يمكن ان يكون الدكتور هاشم هو زوجى ، بدلا من عبد السلام ؟

— ٢ —

.. ومن يومها لم استطع ان انزع صورة الدكتور هاشم من راسى .. والسؤال يعود ويتردد فى صدرى .. لماذا لا اتزوج هاشم بدلا من عبد السلام .. واحس ان هذا التساؤل نوع من الخيال .. نوع من احلام اليقظة البعيدة .. كانى احلم بالزواج من روك هدسون ، او روبرت ميتشام .. ولكن .. لماذا يكون زواجى بالدكتور هاشم مجرد حلم .. لماذا اعتبره شيئا كبيرا بعيدا كروك هدسون ، او روبرت ميتشام ، انه رجل عادى .. مجرد طبيب ناجح .. واى فتاة يتزوجها لن تزيد عنى فى شىء بل انا اجمل من اى بنت يمكن ان يتزوجها .. كل ما هناك انى قليلة البخت ، ليكون نصيبى من الرجال ، رجلا كعبد السلام .. وامى عبيطة لتتركنى اتزوج عبد السلام .. انها لا تستطيع

أن تقدر قيمة جمالى .. لا تستطيع أن تقدر قيمة الكنز الذى سيكتشفه الرجل الذى يتزوجنى ..

واقفز من فراشى واقف أمام مرأتى لأطمئن على كنزى .

وفجأة .. بدأ يداخلنى شك فى قيمة هذا الكنز .. بدأت أتذكر رأى الناس الذين لا يعجبهم جمالى .. وأبخلق فى المرأة لتأكد أن لون بشرتى ليس أصفر ، كما يقولون . أبيض كاللبن الحليب .. وأن عيني ليستنا جاحظتين .. ورفعت صدرى بكفى . كائى أزن ثقله لتأكد من أنه ليس صغيراً .. واستندرت أمام المرأة لتأكد من أن ظهري ليس ممسوحاً .. والشك يفتك بى .. انها المرة الأولى التى أفقد فيها ثقتى بنفسى الى هذا الحد .. ثقتى بجمالك .. والدكتور هاشم هو السبب .. هو الذى أثار فى نفسى الشك .. هو الذى يقلقنى .. ولكن .. الدكتور هاشم ليس له ذنب .. انه لا يعرفنى .. بل لعله لم يرنى .. ولكنه خيالى .. طموحى .. انى أكره أن أصف نفسى بالطموح .. لست طموحة .. أن الفتاة الطموحة ، هى التى ينقصها شيء .. وأنا لا ينقصنى شيء .. ثم من هو الدكتور هاشم ، ليثير طموحى .. انه رجل كبقية الرجال .. بإشارة واحدة يسقط تحت قدمى .. وكل ما أحتاج اليه هو أن أتخلص من خيالى .. وأحمد الله على نصيبي ، وأسكت ..

ولكنها لم تكن المرة الوحيدة التى رايت فيها هاشم .. لقد رايتة بعدها مرة أخرى عندما ذهبت أنا وزوجى لتناول عشاءنا فى الهيلتون .. ومرة ثالثة عندما ذهبتا الى مينا هاوس .. كل مكان أذهب اليه أراه فيه .. كأن القدر يشد أهدنا الى الآخر .. بل أن زوج خالتى أوصانا مرة أن نذهب .. زوجى وأنا .. لتناول عشاءنا فى مطعم « الجريون » .. ولم أكن قد ذهبت

الى هذا المطعم ولا سمعت به .. وعندما ذهبت .. رأيتة .. هاشم .. واقفا مستنداً الى حافة البار ، يتناول كأساً من الويسكى .. وكدت أبكى من الغيظ .. انى لا أريد أن أراه .. انه يثير خيالى ، وخيالى يقلقنى .. ورغم ذلك فانى لم أتوقف عن اختلاس النظر اليه .. ولم أر منه الا هذه النظرة المعلقة فى الهواء التى تطل من عينيه المنتفضتين ، والتى لا ادري أيرانى بها ، أم لا يرانى .. وهاتان الشفتان المنفرجتان ، واللثان لا ادري ، أبينهما ابتسامة ، أم تأوه .. وزوجى بجانبى ينظر اليه مبهوراً ، وابتسامته سائلة على شفتيه ، كأنه لم يفقد الأمل فى أن يتعرف عليه هاشم يوماً ، ويتقدم لمصافحته ..

وليلتها عدت الى البيت ، وأنا أعانى الاحساس بالفشل .. الاحساس الذى يلازمنى دائماً كلما عدت بعد أن أرى هاشم .. احساس بانى لم أستطع أن الفت نظره .. لم أستطع أن ادخل حياته ، حتى ولو من خلال نظرة عابرة .. ولكنى فى هذه الليلة تعذبت أكثر .. عذبنى سخطى .. وحيرتى .. وضعفى .. وفى اليوم التالى قمت متعبة .. والغيظ يهدنى .. واخذت أطوف بحجرات البيت ، وليس لى طاقة لأبدل قميص النوم .. أو أمشط شعرى .. أو أنظر الى وجهى فى المرآة .. وصورة هاشم تلاقنى فى كل غرفة .. وتقفز أمام عيني فى كل خطوة والغيظ منه يشد أعصابى ، ويثيرنى .. أريد أن أضربه .. أن أشد أنفه الكبير .. أن أسخر منه .. أن أمرطه ..

وفى الساعة الواحدة والنصف .. رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم عيادة الدكتور هاشم ، وصرخت فى التومرجى الذى رد على :

وعندما جاء زوجى ليتناول طعام الغداء ، عندنا ، قلت له
فى اصرار لا داعى له ، اننا سنتعشى الليلة فى مينا هاوس ..
قلتها بصوت عال ، كانى اريد ان يسمعى الدكتور هاشم .

وليلتها .. عندما وقفت امام المرأة الاستعد للخروج ، وجدت
نفسى اغير من تسريحة شعرى .. تركته يتهدل على عينى ..
انه هكذا اكثر اثاره ، واكثر اجتذابا للأنظار .. ثم تعمدت ان
أضع « سوتيان » محشوا بالقطن ، كنت قد اشتريته قبلها
بأسبوعين .. وأخذت فى أصبغى مسحة من قلم الروج ، ودعكت
بها وجنتى حتى أتأكد من انها ليستا صفراوين كما يقول البعض
.. وأكثر من وضع الكحل فوق جفنى حتى يقلل الظل من
انتساعهما .. حتى لا يبدوان بارزتين كما يقولون .. وارتديت
ثوبى الأبيض .. انه ثوب ضيق .. مثير .. واستندرت امام
المرأة .. هل حقيقة أن ظهرى ممسوح .. لا .. انى لا اراه
ممسوحا ..

ولكن .. من يدرى .. وعدت وخلعت الثوب وجئت بشال
من الحرير . ولففته أسفل ظهرى .. كما تفعل الراقصات
.. ثم ارتديت فوقه الثوب .. ان البروز واضح الآن .. والثوب
أصبح أكثر اثاره ..

وكنت أفعل كل ذلك ، وانا انكر على نفسى انى أفكر فى
هاشم ، أو اتخيله .. كنت مستجمعة بكل ارادتى حتى لا أنساق
الى خيالى .. كنت مستجمعة كل ارادتى لأكذب على نفسى ..

وركبت بجانب زوجى فى سيارته ، واتجهنا الى مينا هاوس
كما اتفقنا فى الصباح .. وأنا صامته .. أحاول ان أوكد لنفسى
انى فعلا اريد ان أذهب الى مينا هاوس . لن اغير رأىى ..

— من فضلك ادبنى الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— مين حضرتك ؟

قلت :

— احنا عندنا حاله مستعجله . وعايزين الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— دقيقه واحده ، من فضلك ..

و .. وسمعت صوت هاشم الأول مرة .. غليظا ، عميقا ،
بطيئا . كأنه بثئاب .. وقلت فى حدة بمجرد ان سمعت صوته :

— تسمح تقول لى ، حاتسهر فين الليله ؟ ..

وقال دون أن تبدو عليه الدهشة :

— أقدر أعرف ، ليه ؟ ..

قلت وأنا اشد حدة :

— علشان ما استهرش فى الحقه اللى تسهر فيها ..

قال ببساطة :

— طيب ما تسهريش الليلة فى سميراميس ..

ثم وضع سماعة التليفون ..

المجرم ، السافل ، لقد وضع سماعة التليفون قبل ان
أضعها .. انها غلطتى .. كان يجب أن التى السماعة فى وجهه
قبل ان أسمع رده على سؤالى .

وعاودنى الاحساس بالفضول .. اقسى ، وأمر .. والغيظ
يفربنى ..

ابدا .. لن أغير رأيتي .. و .. ولكن ، قبل أن نصل الى
كوبرى قصر النيل ، التفت الى زوجى وقلت مبتسمة :

— ايه رايتك نروح سميراميس .. اقرب ..

وابتسم زوجى ابتسامة كبيرة كشفت عن سنننه الذهبية فى
جانب فكه ، وقال :

— زى ما انتى عايزه .. اللى تأمرى بيه .. انتى الليلة

تتاكلى اكل ..:

وقلت فى يأس :

— متشكرة ..

لماذا سمع كلامى .. لماذا لا يعاوننى على اجتياز أزمى ..
لماذا لا يمحينى من نفسى .. ولكنه لا يدرى .. لا يدرى انى
منطلقة وراء خيالى .. وفى خيالى زوج آخر غيره ..

وذهبت الى سميراميس .. وجاء هاشم متأخرا ، وجلس
على مائدة مزدحمة بالرجال والنساء ، وادار رأسه على بقية
الموائد بمجرد أن جلس .. وخيل الى أنه يبحث عنى .. غرور
.. ان رأسه لم يتوقف عندى .. وليس فى عينيه سوى هذه
البنظرة المعلقة فى الهواء .. وشفته متفرجتان هذه الانفراجة
التي لا تدل على ابتسام ولا على تأوه ..

ومن يومها يئست من الهروب من خيالى .. استسلمت
له .. واعترفت انى أتمنى لو كان الدكتور هاشم زوجى بدلا من
عبد السلام .. واعترفت ان هذه الأمنية تستبد بى .. لا أدرى
كيف أحققها .. ولا أدرى كيف أتخلص منها .. وأصبحت أخرج
مع زوجى فى الايام التي يقيم خلالها فى القاهرة ، كاتى ذاهبة
الى لقاء هاشم .. أو ذاهبة للبحث عنه .. وكنت دائما أجده ..
كانى اعرف خطواته .. شىء غريب .. ولكن هذا هو ما كان

يحدث .. وفى مرة ذهبت الى الهيلتون ، وانتظرت الى الساعة
الحادية عشرة ، ولم يظهر هاشم .. فقلت لزوجى :

— أنا متضايقه .. الناس الليلة دى دمها ثقيل .. تعالى
نروح مينى هاوس .. عايزه أشم هواء ..

وذهبت الى مينى هاوس .. ورأيت هاشم هناك ..

وأصبحت استثقل الايام التي يعود فيها زوجى الى السويس .
لانى لا أخرج ولا ارى هاشم .. وأصبحت أنتظر عودته من
السويس ، كاتى أنتظر هاشم .. وألح عليه أن يطيل بقاءه
فى القاهرة .. والمسكين سعيد .. يظن انى أزداد تعلقا به ..

وفى كل ليلة أعود لأجلس مع أمى وأدفعها دفعا الى التحدث
عن هاشم .. بل انى كنت أجر الحديث عن هاشم فى كل مجتمع
يضمنى .. مع صديقاتى .. مع خالاتى .. أريد أن اعرف عنه
كل شىء .. وعرفت أنه يقيم مع أخته وزوجها فى فيلا بالمعادي
.. وانه أعلن خطبته منذ خمس سنوات ، ثم فسحها بعد
شهرين .. لا أحد يدرى السبب ، على وجه التحديد .. وأن
سيدة مشهورة اسمها ناهد ، أحبته منذ عامين .. ثم انفصلا ،
ولا أحد يدرى لماذا .. ربما لأنها كانت أكبر منه .. و .. و ..
كل ما يعرفه الناس ، عرفته .. وخيالى يتجسد أمامى .. ويتجسد
أكثر .. انى أكاد أحس بهاشم ينام فى سريرى .. وأنفاسه فوق
وسادتى .. وأتقلب فى نومى ، وأجذب الملاء معى ، فأحلم بانى
جذبتها من فوقه وهو راقد بجانبى .. فأصحو من نومى .. وأبتسم
.. أبتسم له .. كانى اعتذر بابتسامتى لانى جذبت الملاء من
فوقه ..

وكل شىء يبدو سهلا أمامى .. انى أستطيع أن أصل اليه
.. وأستطيع أن اتزوجه .. ربما كانت غلطتى وغلطه أمى .



انما لم نختر عبد السلام ، ولكن عبد السلام هو الذى اختارنى .. لو اننى انتظرت حتى اختار انا .. حتى التقى بالرجل الذى اريده واقمر الزواج به ، فربما تزوجت الدكتور هاشم .. واصبحت احمل الاسم الكبير .. حرم الدكتور هاشم .. كل البنات يفعلن هذا .. يخترن الرجل ، ثم يضعن خطة ليدفعنه الى الزواج ..

ولكنى لم اضع خطة ..

صدقونى انى لم اضع خطة ..

تصرفت تلقائيا ، بلا تفكير ..

اتصلت بعيادته فى الصباح ، وطلبت تحديد موعد لكشف خاص .. وحدد لى التومرجى موعدا فى الساعة الواحدة بعد الظهر .. وحاولت وانا واقفة امام المرأة ان اعتنى بزىنتى اعتناء خاصا .. ولكنى لم استطع .. كنت مرتبكة .. لا .. لم اكن مرتبكة .. كنت ساهمة .. ولم اجد صعوبة يومها فى الخروج من البيت وحدى .. انى متزوجة .. وامى لم يعد لها حق على .. وذهبت وليس فى راسى كلمة واحدة مما سأقوله لهاشم .. ليس فى راسى شيء .. ساهمة .. كل ما فعلته وانا ادخل العمارة التى تقع فيها العيادة هو انى خلعت دبلة انزواج من اصبعى والقيت بها فى حقيبتي .. لم يكن هذا جزءا من الخطة ، أبدا .. ولكن فعلته لانى خلعت ان تظل دبلة الزواج فى اصبعى وانا فى طريقى الى الرجل الذى اريده .

وجلست فى غرفة الانتظار المخصصة للسيدات .. انها مزدحمة .. نساء وبنات كثيرات .. ولا ادرى لماذا خيل الى انهن كلهن اصحاء .. ليست بينهن مريضة واحدة .. ولكنهن مثلى جئن ليتعرفن بالدكتور هاشم .. فقط ليتعرفن به .. وكرهتهن جميعا .. وكانت بينهن فتاة فى مثل سننى .. ماذا تفعل

هذه الفتاة هنا .. انها لا تبدو مريضة .. وجنتاها فى لون
الطماطم .. وعيناها وقحتان .. وجسدها ممتلئ بالعافية ..
تستطيع ان تهد جبلا .. ونظرت اليها كأنى أحاول أن أخنقها بهيئتي
.. لا بد أنها من البنات المائعات ، الفارغات ، اللاتى يترددن
على عيادات الأطباء لقطع الوقت .. وابتسمت .. ابتسمت
ساخرة من نفسى .. انى أنا أيضا من البنات المائعات الفارغات ..

وأدرت عيني عن الفتاة .. وابتسامتى التى أسخر بها من
نفسى لا يزال طعمها بين شفتى .. وسقطت عيناى فوق أصبعى
الذى خلعت منه خاتم الزواج .. وداهمنى احساس مفاجيء
بأنى عارية .. فغطيت أصبعى بكفى ، بسرعة ، كأنى أعطى
نفسى ..

وحاولت أن أهدأ .. حاولت أن أجمع ذهني المشتت لأفكر
فيها أفعله .. ربما كنت مجنونة .. ربما كان من الأسلم لى
أن أطرد كل هذه الخيالات من رأسى وأعود الى بيتى . والى زوجى
الرجل الطيب ..

ولكنى لم أهدأ .. وجاء التومرجى وأخذ منى جنيهين أجر
الكشف .. وأعطانى ايصالا .. ونظرت الى الايصال ، وعدت
أبتسم ساخرة من نفسى .. انها المرة الأولى التى تدفع فيها فتاة
ثمن لقاءها مع رجل .. جنيهان لأرى رجلى .. لأرى خيالى ..
انه احساس مهين .. احساس أذلنى .. وحاولت أن أقتع نفسى
بأنى أذفغ ثمن تذكرة سينما .. كأنى فى طريقي لأرى فيلما
لروبرت ميتشام .. ان روبرت ميتشام أيضا يملا خيالى .. كل
ما هناك أن تذكرة الدكتور هشام أغلى قليلا من تذكرة روبرت
ميتشام .. ولكن .. لا .. انى لا أحس بهذه الرجفة ، ولا بهذا
الارتباك وأنا ذاهبة الى السينما ، حتى لو كان البطل هو روبرت

ميتشام .. وعاودنى الاحساس المهين .. احساس بأنى أذفغ
ثمن لقاءى بالرجل الذى اخترته .. كأنى اشترينته بالفلوس ..
وحاولت أن أطرد هذا الاحساس ، لأعود وأفكر فى هدوء
.. ولكنى لم أستطع .. السيدة العجوز التى تجلس بجانبى مالت
على بكل جسمها ، وسألتنى :

— وانتى يا حلوه بتشتكى من ايه ؟

وترددت برهة .. لم أكن قد قررت نوع المرض الذى أذفغ
.. كأن الموضوع قد غاب عنى حتى هذه اللحظة .. وقلت فى
تلعلم :

— بادوخ .. وعندى صداع مستمر ..

وقالت السيدة العجوز وهى تبتسم واثقة كأنها تعلم كل
شئ :

— يبقى عندك مصران أعور .. أصل بنت أختى كان عندها
.. و ..

وانقذنى منها التومرجى المهب .. جاء دورى :

— اتفضلى يا أفندم ..

وخيل الى أنى تشبثت بمقعدى برهة .. لا أريد ان أذهب
اليه .. أريد أن أعود الى بيتى .. ولكنى تماكنت نفسى وقمت
والرجفة تسرى فى دمي .. وسرت وراء التومرجى ، وأنا أشعر
بعيون المنتظرات تلتسع ظهري ، كأنهن يرين رجفتى ويعرفن
سرها ، وكأنهن يحسدننى لأنى سبقتهن الى الجنة .

ووجدت نفسى معه ..

مع الدكتور هاشم ..

لأول مرة ..

فى غرفة مكتب هادئة .. غامقة اللون .. خافتة الضوء

.. ينطلق فيها هواء رطب ، من مكيف الهواء .. وفوق المكتب ألتان للتليفون ، احداهما بيضاء .. وهو واقف .. طويلا .. عريضا .. أنفه قوى .. ويرتدى حلته كاملة ، وليس فوقها معطف أبيض . كما تصورت .. كأنه واقف ليستقبل مدعويه فى بيته ..

وانطلقت من بين عينيه المنتفختين نظرة بارقة .. كأنها نظرة دهشة .. كأنه فوجيء .. ثم أرخى عينيه عنى سريعا ، وابتسم ابتسامة خفيفة مرت بين شفثيه المنفرجتين بسرعة .. ثم أشار الى مقعد عريض بجانب المكتب ، وقال فى صوت خفيض :
- اتفضلى ..

ولف حول المكتب وجلس على كرسية .. وجلست أنا على حافة المقعد .. والرجفة لا تزال تسرى فى دمي .. حائرة أين أضع نظرات عيني .. هل أنظر اليه .. هل أنظر امامى .. هل أنظر الى حذائى .. ولا أدرى ماذا كان لون وجهى ساعتها .. هل كان أحمر ، أم أصفر .. ولم أدر هل أتكلم أم أسكت .. ولكنى .. فجأة .. وجدت نفسى انطلق بالكلام كأنى أفر به من ارتباكى :

- أنا يا دكتور بأحس بدوخه .. ودايما عندى صداع .. وماليش نفس للأكل .. ولما بقوم من النوم باقى داخه .. ولا ..

وقاطعنى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من درج المكتب ، وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت :

- الاسم من فضلك ؟ ..

وقلت وأنا مستطردة فى الكلام :

- ميتو ..

ورفع الى عينيه فى دهشة ، وابتسامة كبيرة تملأ شفثيه ..

واستدركت قائلة :

- أمينة .. أمينة سالم ..

قال وهو يكتب ؟ ..

- السيدة ؟ ..

وترددت قليلا ثم قلت :

- آنسة ..

انى لم أكذب .. انى آنسة فعلا ، لم ازف بعد الى زوجى .. واسترحت لانى أقنعت نفسى بأنى لست كاذبة ..

وعاد يسألنى ، وقد سحّب ابتسامته من بين شفثيه . واكتسى وجهه بمظهر الجد :

- السن ..

- تسعناشر ..

ورفع الى عينيه فى نظرة سريعة ، كأنه اكتشف كذبنى .. لا .. لا يمكن أن يكون قد اكتشف كذبنى . انى طويلة ، وكل من يرانى يقدر عمرى بأكثر من سبعة عشر عاما ..

وعاد يسألنى :

- عملتى عمليات قبل كده ..

قلت وأنا أنتهز فرصة احناء رأسه وهو يكتب ، لاملأ عينى منه :

- المصران الأعور .. واللوز ..

قال :

- اتحصيتى وانتى صغيره .. فأكره عييتى بايه ؟

وبدأت اشعر بالضيق .. انه يسألنى كأنى فتاة صغيرة .. وطريقة سؤاله تسد فى وجهى كل الأبواب .. كأنه صدق

انى مريضة .. وكذت أصرخ فى وجهه أتى لست مريضة ..

ثم أقوم واضربه بالقلم .. وأشد أنفه الكبير .. ولكنى تمايلت
نفسى ، وقلت :

— عييت بالحصبة .. ومش فأكره أكثر من كده ..
واعتدل فى مقعده ، ونظر الى نظرة جادة ، وقال :

— قوليلى بأه .. ايه اللى تاعبك ..

ولم اتحمل نظراته الجادة ، أرخيت عيني ، وأخذت أعدد
له كل ما خطر لى من مظاهر المرض .. صداع .. دوخه ..
مغص .. ضعف الشهية .. امسك .. أسهال .. قلبى ..
جنبى ..

ونظر الى فى حيرة .. وقال وهو يتنهد كأنه يلعن مهنته :
— نشوف ..

وضغط على جرس بجانبه ، وانحنى يكتب شيئاً فى الورقة
التي أمامه ..

وفتح باب فى داخل الغرفة ، وأطلت منه ممرضة سميئة
يبدو عليها أنها فى الأربعين من عمرها .. أجنبية .. ربما كانت
يونانية .. وأشارت الى ، وقالت بلكنتها المكسرة :

— اتفضللى ..

وخفت ..

لا أدري لماذا ..

ولكنى خفت ..

وبقيت فى مقعدى .. ونظرت الى هاشم كأنى استغيث
به .. وكان هاشم لا يزال يكتب .. ورفع رأسه ، واتسعت
عيناه كأنه دهش لأنى لا زلت فى مقعدى .. وقال هو الآخر وهو
يشير الى الباب الذى فتح :

— اتفضللى ..

وقمت ، وركبتاى ترتعشان .. ونظرت اليه نظرة أخيرة
كأنى استحلته أن يكون رفيقاً بى .. أو يعذر جنونى .. ودخلت
حجرة الكشف ، وأغلقت الممرضة الباب وراءنا .. ثم أشارت
الى « بارفان » موضوع فى جانب الغرفة وقالت بلهجتها العربية
المكسرة :

— اتفضللى اقلعى ..

قلت وأنا أبتلع ريقى بصعوبة :

— ضرورى ..

قالت دون أن يهتز لها رمش :

— ضرورى يا مدام ..

قلت والدموع تقفز الى عيني :

— مش ممكن الدكتور يكشف على من فوق الفستان ..
قالت :

— لا .. مش ممكن يا مدام ..

ووقفت أمامها مبهوتة كأنى سمعت فى الأرض .. وعادت
تقول فى ضيق ..

— اتفضللى ..

قلت وأنفاسى تتلاحق فى صدرى :

— أطلع ايه ؟

قالت :

— كله .. كله ..

وحنيت رأسى .. وخطوت وراء البارفان كأنى أحتمى به
.. أحتمى به .. أحتمى به من الممرضة ومن الدكتور ، ومن
نفسى .. ووقفت برهة وأنا لا أتحرك .. لماذا أعرض نفسى
لكل هذا الهوان .. انى لم أفكر فى أن كل هذا يمكن أن يحدث

لى .. و .. ولكنى لا استطيع ان اراجع .. كذبتى كبرت الى حد انى لم اعد استطيع ان اهرب منها ..

ثم ماذا لو خلعت ثيابى امام الطبيب .. كل النساء يخلعن ثيابهن امام الاطباء .. ومنذ خمس سنوات ذهبت الى الطبيب مع امى ، وكشف على .. انى لا افعل شيئا اكثر مما تفعله اى بنت تذهب الى طبيب ..

وكنت احاول ان اقنع نفسى .. ان اضحك على نفسى .. ولكنى لم استطع .. ربما لانى لم اذهب الى الطبيب لانى مريضة ؛ بل لانى امرأة .. ولم اذهب اليه كطبيب ، بل ذهبت اليه كرجل .. وبدأت اخلع ثوبى فى بياء .. وخجل .. خجل ينطلق فى صدرى كصاروخ النار ، وبصهر وجنتى .. اكثر من خجل .. انه احساس بالفضيحة .. والدموع تتجمع فى عيني .. دموع فضيحتى .. ودموع ذلى .. وفى وسط كل هذه الاحاسيس الصارخة ، تذكرت انى ارتدى قميصا داخليا عاديا من الجرسية .. ان عندى قميصا داخليا ابيض من « البرلون » الطبيعى ، مطرز بالادانتيل ، على جنبيه ، وفى ذيله ، لماذا لم البسة .. يا ربى !

والدموع المحبوسة لا تزال تحرق عيني .. واطللت برأسى من خلف البارفان الاطمئن الى ان الدكتور لم يدخل الحجرة بعد .. ثم خطوت نحو الممرضة ، ووقفت امامها صامتا خجلة ..

وقالت الممرضة بمجرد ان رفعت عينيها الى :
— لسه يا بدام .. الستوتيان .. والجرتير كمان .. خليك بالكوملزون بس ..
قلت فى حدة :

— لا .. كفايه كده ..

قالت وهى تبتسم كائى لست الفتاة الاولى :

— مش ممكن يا حبيبتى .. عايزه الدكتور يكشف عليك ازاي ..

ثم مدت يدها بسرعة فى ظهرى ، وفكت مريط الستوتيان .. وانحنت تحاول ان تفك الجرتير ، ولكنى سبقتها اليه .. ثم سحبتنى من يدي ، وارقدتنى فوق اريكة الكشف ، وغطتنى بملاءة بيضاء ..

وجذبت الملاءة حتى عنقى ، وتشبهت بها ، بكل اصابعى العشر .. وفى عيني نظرات خائفة مذعورة .. وذهبت الممرضة ، وفتحت الباب ، ليدخل هاشم .. لم ينظر الى ..

لم ينظر الى قطعة منى .. جلس على مقعد موضوع بجانب الاريكة التى ارقد عليها .. وناولته الممرضة سماعته فعلق طرفيها فى اذنيه ، ثم حاول ان يجذب الملاءة من فوق صدرى .. ولكنى تشبعت بها .. ونظرت اليه بعيني الخائفتين .. ارجوه .. اتوسل اليه .. استغيث به .. ونظر الى نظرة جامدة ملأت عينيه المنتفتحين ، وقال فى لهجة حازمة صارمة :

— ارجوكى .. ونظرت اليه مليا .. والدموع تكاد تقفز من عيني .. ثم ادبرت رأسى عنه ورفعت ذراعى وغطيت بها عيني .. لا اريد ان اراه .. لا .. لا اريد ان ارى نفسى .. وكل قطعة من جسدى متوترة ، كأنها تتحفز للدفاع عن نفسها .. احسبت باصابعه تقترب من صدرى .. هل هى اصابعه

أم موهبة السماع .. لا أدري .. ولكنى أحس بطرقات عنيفة
على باب الكنز .. انى اكتشف .. لأول مرة أحس انى اكتشف
.. وأنا خائفة .. خائفة .. أموت من الخوف ..

وسمعت صوته يأمرنى :

— خدى نفس طويل ..

كيف استطيع ان أتففس .. انى لا استطيع .. نفسى مقطوع
.. مزق .. مزقه الخوف .. والخجل .. والرهبة ..
وانت ..

وعاد يأمرنى :

— اتففسى ..

وتففست كائى أشد نفسى من بئر عميقة .. وصدرى منتفض
.. ثائر .. حساس .. يحس بكل حركة من أصابعه .. ربما
كان يتخيل حركات لم تحدث .. فينتفض أكثر .. وذراعى فوق
عينى المغمضين .. وفجأة أحس كائى ساهيم .. كائى سارتاح
.. سأسستسلم .. فأرفع ذراعى ، وأفتح عينى .. حتى أرى
النور .. الأفيق .. كأن النور دش يفيقنى .

وسمعتة يقول :

— اتفضلى اتعدى ..

ثم مد يده وأمسك بذراعى ، ليساعدنى على ان اعتدل
من رقدتى .. وجلست فوق الأريكة ، وأنا الف الملاءة فوق
صدرى وأرتجف ..

ووضع سماعته فوق ظهرى ، من تحت قميصى .. وكل
ما أحس به أنفاسه الساخنة تلمح ظهرى .. وأصابعه الباردة
تصطدم بلحمى .. ويقول :

— اتففسى من فضلك ..

يا لك من قاس .. اعفنى من التنفس .. لم يعد فى شىء
يتنفس .. انى أتصيب عرقا .. الا ترى ..

ولكنى تنفست .. لأنه يريدنى أن أتففس ..

وعاد وأرقدنى .. ونظرت اليه نظرة سريعة .. ان وجهه
صارم ، جاد . كأنه لم يكتشف شيئاً .. كأن ليس بين يديه
كنز .. كائى مجرد كيس من القطن ، لم تشعر أصابعه بسخونته
.. برجفته .. بتحفضه ..

ومد يده من تحت الملاءة .. وضغط على بطنى ، وهو يقول :

— حاسه بوجع ..

يا مجنون .. الا تكفى أصابعك لتؤلمنى .. انها تؤلم كل
قطعة منى .. انها تشعل النار فى أعصابى .. فى راسى ..
انى أحس بها تحت جلدى ..

وعدت أغمض عينى ، وأضع ذراعى فوقهما ، واجبت
هامسة :

— لا ...

ونقل أصابعه ، يضغط بها فوق كل بطنى ، كأنه طفل يلهو
بكرة منفوخة نصف انتفاخة .. ثم قاس النبض .. وقاس ضغط
الدم ..

ثم قام فجأة من جانبى .. هو يقول :

— متشكر ..

واختفى فى الحجرة المجاورة ..

وساعدتنى الممرضة على القيام من فوق الأريكة .. وأنا
تعبد .. منهوكة .. هدنى الخجل .. وهدنى المقاومة .. مقاومة
أحاسيسى التى أثارها أصابع الدكتور ها ..

وارتديت ثيابي ، وأنا أشعر بدوار يكاد يوقعني على الأرض ..

وفتحت لي الممرضة الباب ، وخرجت اليه ..

وكان واقفا بعيدا عن مكتبي ، واستقبلني وظل ابتسامته خفيفة يلعب فوق أسنانه البيضاء القوية .. وقال :

— انتي ما عندكيش حاجة .. وأنا كتبت لك دوا للأعصاب .. حبه واحده قبل النوم .

ومد لي يده بورقة العلاج ..

وتناولتها منه بيد مرتعشة .. وظللت واقفة أبطلق في وجهه بكل عيني .. لم أتحرك .. لا أستطيع .. لا يمكن أن ينتهي كل ما فعلته عند هذا الحد .. لأبدي أن يحدث شيء آخر .. لا أدري ما هو .. ربما أردت ساعتها أن يسألني عن عنوان بيتي ليأتي ويخطبني .. لم لا .. لقد طرق أبواب كنزى .. وزوجى عبد السلام رآنى فى الشارع ، وتتبعنى الى أن عرف البيت ، وجاء وخطبني فى اليوم التالى .. فلماذا لا يفعل مثله .. وربما كنت أريد أقل من ذلك .. كلمة .. أى كلمة ..

ولكنه صامت .. ينظر فى عيني المعلقتين بعينيه .. ولا يتكلم ..

ولا كلمة .. فقط اتسعت ابتسامته ..

ووجدت نفسى أقول له بصوت مرتعش :

— أنا شفتك قبل كده كتير يا دكتور ..

وقال وابتسامته تقفز الى عينيه :

— وأنا كمان شفتك كتير ..

ثم سكت ..

وابتسمت .. الحمد لله .. لقد كان يرانى كلما رأيته ..

وقد كنت أعتقد انى لم ألفت نظره ..

ولكنى لا أريد أن أتحرك ..

لا يمكن أن يكون هذا هو كل شيء .

وأنا واقفة امامه كالصنم البارد .. وعيناي معلقتان فى عينيه .. وشفتاي ترتجفان .. بينهما كلام كثير لا أستطيع أن أحده ، ولا أن أنطق به ..

واتسعت ابتسامته ..

وجذب ورقة العلاج من يدي ، ثم انحنى على مكتبي ، وكتب عليها رقما ، ثم أعادها الى وهو يقول ، مبتسما :

— لو حسيتى بتعب مرة ثانية .. أتصلنى بى فى النبرة دى .. مع السلامة .

ونظرت اليه متسائلة ..

ثم سحبت نظرتى ..

وخرجت ..

ساهرة ..

وبصمات أصابعه فوق جسدى ..

غريبة .. غريبة هذه الثقة التى تشعر بها فى انفسنا ، ونحن فى هذا العمر .. ثقة هائلة ضخمة .. ثقة التفاؤل ، والحيوية الدافقة .. أننا نسير فى الحياة كمياه الجدول الصغير ، تقفز فرحة فوق الصخور التى تعترضها وهى لا تعلم أن هناك .. فى نهاية الطريق .. سيبتلعها البحر الكبير ..

ونحن لا نرى البحر الكبير .. لا نسمع به .. نتدفق فرحات .. ساخرات .. واتقات من انفسنا .. الى أن يبتلعنا .. هذا البحر الكبير ..

وقد خرجت من عيادة الدكتور هاشم وأنا أحس احساسا جارفا بالثقة فى نفسى .. أحس بالقوة .. لم أحس بالقوة قدر

ما أحسست بها فى هذا اليوم .. صحيح ان الرجفة كانت لا تزال تسرى تحت جلدى .. ولكنها رجفة لذيدة .. الرجفة التى تعقب المغامرة الناجحة .. كائى قفزت من فوق سور عال ، ووقعت سالمة .. وضحكت ساعتها .. ضحكت فى سرى ضحكة كبيرة ملأت كل صدرى .. كائى انتصرت .. انتصرت على الدكتور هاشم .. خدعته .. ووصلت اليه ..

وعدت الى البيت ..

ووقفت فجأة أمام الباب ، قبل ان امد يدي واضغط على الجرس ..

لقد كدت أنسى ..

وفتحت حقيبتى ، واخرجت منها خاتم الزواج ، واعدته الى اصبعى .. ولم اشعر انى غطيت اصبعى العارية .. لم اشعر بانى كنت عارية ، كما شعرت عندما خلعتة .. بل شعرت انى وضعت فى اصبعى شيئاً ثقيلاً ..

ودخلت الى امى .. وجلست بجانبها أكذب عليها . لم اقل لها طبعاً انى كنت عند الدكتور هاشم .. قلت لها انى كنت اطوف بالدكاكين .. واكتشفت ساعتها انى أستطيع ان أجيد الكذب .. وانى أجيد تجنب الدخول فى التفاصيل حتى لا يكتشف كذبنى .. وتسلمت من جانب امى بسرعة .. تسلمت الى مرأتى .. ووقفت امامها انظر الى نفسى بعينين ملهوفتين ، كائى سارى شيئاً جديد حدث لى .. حدث لجسدى .. ربما كنت أنتظر ان ارى بطنى منفوخاً .. أو صدرى وقد كبر وامتلأ .. وابتسمت وهذه الخيالات تدور فى راسى .. ثم بدأت اخلع ثيابى ، وبين كل لحظة واخرى انظر الى مرأتى وابحث فى جسدى عن شيء ..

عن آثار اصابعه .. لا .. لم يترك اثراً .. ولكنى أحس بأصابعه كلها .. أحس بها فوق بطنى وصدرى .. وظهري .. وصورته تملاً راسى .. عيناه المنفتختان .. وانفه الكبير القوى .. وشفته المنفرجتان نصف انفراجة .

وارتديت قميصى ، ووقدت فى فراشى أحلم .. وعيناي مفتوحتان .. انه قريب منى جداً .. أراه فى عيادته .. فى غرفة المكتب .. وفى غرفة الكشف .. انه يفكر فى .. لابد ان يفكر فى .. لعل تفكيره فى يلهيه عن تركيز عقله فى الكشف على مرضاه .. لا .. انى أعفیه من التفكير فى ليتفرغ بكل عقله لمرضاه . ثم ارى فى خيالى هذه الفتاة التى رأيتها فى غرفة الانتظار ، وقد دخلت غرفة الكشف .. أراها وهى تخرج ملابسها كما خلعتها .. وترقد على الأريكة الطويلة .. وأصابعه تصطدم بصدرها .. وقلبى يتلوى .. ولكن .. لا .. هذه الفتاة شىء آخر .. وأصدق بسرعة انها شىء آخر .. لا يمكن ان يكون قد ابتسم لها هذه الابتسامة التى ابتسمها لى .. ولا يمكن ان يكون قد كتب لها رقم التليفون الذى كتبه لى .. وأجرى الى حقيبتى وأفتحتها ، وأخرج ورقة العلاج التى اعطاها لى ، وأقرأ رقم التليفون .. انه رقم غير الرقم المكتوب فى الدفتر .. لعله رقم التليفون الآخر .. التليفون الأبيض ..

وأهم بأن أجرى الى التليفون وأدير الرقم ..

لا .. يا بت اتقلى ..

وتقلت ..

ودرت فى أنحاء البيت بخطوات راقصة ، وفى عيني ضحكة كبيرة ، وفى قلبى زغرودة .. وكل شىء أحبه .. أحب امى .. وأخوتى .. وزوج امى .. والمقاعد .. والسناثر .. والجدران

.. السعادة تكاد تطير بى .. ويشق ستعادتي بين الحين والآخر ،
خط من الحياء ، كلما تذكرت نفسي وأنا عارية معه فى غرفة
الكشف .. ثم اضحك .. اضحك على نفسي .. سعيدة بنفسى ..
هل تذكرت زوجى ..

ابدا .. نسيته .. كأنه ليس شيئا فى حياتى .. كأنه ليس
عقبة فى طريق أحلامى ..

وعندما جاء من السويس فى نفس المساء .. لم أصدم
به .. لم أفق من أحلامى .. كأنه شىء موجود فى حياتى ولا شأن
له بى .. كأخى من أمى .. كابن عمى .. واستقبلته بابتسامة
أكبر من الابتسامة التى تعودها منى .. واهتمت به أكثر من
كل يوم .. الشىء الوحيد الذى تغير هو أنى لم أطلب منه أن
نخرج لتناول عشاءنا فى الخارج .. لم أعد أريد أن أبدو به
امام الناس .. لا أريد أن يرانى هاشم معه .. انه لا يعلم أنى
متزوجة ..

وذهبت مع زوجى ليلتها الى السينما ثم خرجنا واشترينا
قطعا من الساندويتش تناولها فى السيارة .. والدكتور هاشم
معنا .. فى خيالى .. فى السينما .. وفى السيارة .. وتفكيرى
فيه يتطور بسرعة .. بدأت أفكر فى المشكلة التى ستواجهنى
عندما يطلبنى للزواج .. سأضطر للطلاق من زوجى .. كيف ..
لا أدرى .. ولكن .. لا يهم .. لابد أن أمى ستساعدنى يومها ،
على الطلاق .. انها لن تتردد فى مساعدتى خصوصا اذا كنت
سأتزوج رجلا كالدكتور هاشم ..

ولم أتم ليلتها ..

أنام لحظات ، وأصحو لأفكر من جديد ..

ولكى لم أكن متعبة .. فى الصباح .. لم أفقد شيئا من
حيويتى واندفاعى ..

وقاومت التليفون حتى الساعة الثانية عشرة ..
ثم لم أستطع ..
أدرت الرقم ..
لا أحد يرد ..

ربما كان فى غرفة الكشف ..

وبعد ربع ساعة أدرت الرقم من جديد ..
وسمعت صوته ..

وارتجفت .. هذه الرجفة .. التى تسرى تحت جلدى ..
وقلت والرجفة تقفز الى حلقى :

— صباح الخير يا دكتور ..
ورد فى عجلة :

— صباح النور .. مين ..

قلت وأنا اجلس على المقعد الموضوع بجانب التليفون :

— مش عارفى ؟ ..

وفكر برهة سريعة ، ثم قال :

— آه .. ازيك دلوقت ..
قلت :

— أنا باتكلم علشان أشكرك .. أنا فعلا استريحت .. و ..
قال مقاطعا :

— العفو ..

قالها بسرعة كأنه فى عجلة لانتهاء الحديث ..

قلت :

انت مشغول ؟

قال فى لهجة أرق :

— فعلا .. العيادة مليانه .. ولغاية دلوقت ما شفتش
الا اثنين ..

قلت بسرعة كائى ادارى خجلى :

— طيب أضرب لك بعدين ..

قال :

— مش قبل الساعه ثلاثه ..

قلت :

— ان شاء الله . مع السلامة ..

ووضعت سماعة التليفون قبل ان يضعها ..

وأحسست بالضيق .. كأنه إهانتى .. ربما كنت انتظر

منه ساعتها أن يترك مرضاه ويتفرغ للحديث معى فى التليفون .

ولم اتصل به فى الساعة الثالثة .

تعهدت ألا اتصل به ..

ولا زلت أشعر بالضيق ..

ولكن مع مرور الساعات بدأت أهدأ .. بدأت التمس له

العذر .. أن مرضاه أحق به منى .. لو كان طبيبا يهمل مرضاه ،

لما أصبح مشهورا الى هذا الحد .. و .. و .. كلام كثير قلته

لنفسى .. الى أن صالحت نفسى عليه ، كائى كنت قد خاصمته ..

وفى اليوم التالى ، اتصلت به .. فى الساعة الثالثة ..

لا حد يرد ..

انتهى من مرضاه وانصرف ..

واتصلت به فى المساء ، فى موعد العيادة ..

انه مشغول ..

يتكلم بسرعة ..

كأنه يلقي كلماته ليسد بها فمى ..

ومرت عشرة أيام ، وأنا لا أستطيع أن أعيش معه فى
حديث يدوم أكثر من دقيقة .. واليأس يزحف على .. وأحلامى

تتبدد .. تكاد تتبدد كلها .. ولم تعد فكرة الزواج به تراودنى

بنفس الثقة .. بل أصبح الزواج به هو آخر ما أفكر فيه .. ان

كل ما أفكر فيه الآن هو أن أصل اليه من جديد .. انه أصعب

مما كنت أتصور .. ولكن .. لاشئ سهل ..

ورفعت سماعة التليفون ، وأدرت الرقم ، وقلت بمجرد أن

سمعت صوته :

— أنا تعبانه قوى يا دكتور ..

وخيل الى أنه ابتسم ..

لا أدرى لماذا .. انى لم أر ابتسامته .. ولم أسمعها ..

ولكنى متأكدة أنه ابتسم ..

وسمعته يقول فى ثقة ، وفى نفس العجلة التى تعود أن

يحادثنى بها :

— أشوفك ..

قلت بسرعة كائى أخاف أن يعود ويجرى منى :

— فىن ؟

ولم يبد عليه أنه اندهش من سؤالى .. ولم يضحك ..

بل انى لم أتخيله مبتسما فى هذه اللحظة .. وقال وكلماته تقفز

بعضها فوق بعض :

— تعرفى شارع حسن صبرى بالزمالك .. نمره اثنين

وتلاتين .. شقة أربعتاشر ..

قلت :

— بس .. و ..

قال مقاطعا وبسرعة :

— الساعة اربعة كويس ؟

وسكت برهة .. أفكر .. كائى انتبهت الى ما أفعله ..
ثم قلت بصوت محند كائى اتحداه :

— كويس ..

والقيت سماعة التليفون ، دون أن أقول له مع السلامة ..
كائى أقذفه بها فى وجهه ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على الفراش منكئة
على وجهى ، وأخذت أضرب الوسادة بكلتا يدي .. مغتظة ..
مغتظة .. أحس أنه قهرنى .. انتصر على .. انى لن اذهب .
لن اذهب .. ماذا يعتبرنى هذا الرجل .. واحدة كبقية البنات ؟
ثم ..

خف غيظى .. لماذا اغتاظ .. انى لا يمكن أن انتظر من هاشم
أن يسير ورائى فى الشارع الى أن يعرف عنوان بيتى ، ثم يأتى
ليخطبنى كما فعل عبد السلام .. ان هذا الصنف من الرجال
لا يمكن أن يتزوج هكذا .. لابد أن يسبق زواجه قصة حب
كبيرة .. ولا يمكن أن يكفى ما حدث بينى وبينه حتى الآن ليكون
قصة حب ..

ولكنه يريدنى ان القاه فى شقة خاصة ..
وماله ..

ان صديقتى هدى تقابل حبيبها فى شقته .. وسميرة ..
ومحمد عنده شقة خاصة يستأجرها هو وبعض أصدقائه وحاول
أن يدعونى اليها عندما كنت أحداثه فى التليفون .. وفى مصر
الجديدة عمارة فيها شقة خاصة يستأجرها بعض شباب النادى ،
يعرفها كثير من صديقاتى وكنت أمر من أمامها وأرفع عيني اليها

فى تردد كائى انتظر أن أرى فى شرفاتها رجلا عاريا ، أو فتاة
عادية .. لا .. من الطبيعى أن يمتلك هاشم شقة خاصة ..
ومن الطبيعى أن يقابلنى فيها ، فهو رجل مشهور لا يستطيع أن
يبدو معى فى السيارة ، وأنا متزوجة ، لا يصح أن أبدو مع رجل
غير زوجى ..

ولكن ، لماذا اذهب اليه ؟

وخيل الى ساعتها أن فكرة الزواج به ليست ستوى وهم ..
ليست ستوى حجة أبرر بها اندفاعى وراء أزمى التى يسببها
فراغ حياتى .. اندفاعى وراء البحث عن شىء أشبع به غرورى ،
وافقتانى بنفسى ..

يجب أن أقاوم ..

لن اذهب ..

ولكن جسدى كله يؤلمنى .. وبصمات أصابعه تحرقنى ..
انى لا زلت أحس بها منذ كشف على فى عيادته ..

وكل عروقى تجذبنى اليه ..

والحيرة تعذبنى ..

انى لا أستطيع أن اتخذ قرارا .. وخرجت من غرفتى كائى
أفر من نفسى .. وجلست بجانب أمى كائى أحتفى بها .. وفكرت
مائة مرة أن أقول لها كل شىء .. لماذا لا أصارحها .. ربما
لو صارحتها ، حتى لو اضطررت أن أخفى بعض التفاصيل ،
لساعدتنى على نفسى .. لانتشلتنى من أزمى .. لأنقذت حياتى
كلها ..

ولكنى لم أقل لها شيئا ..

وبقيت أعانى أزمة التردد .. وعروقى كلها منتفخة ، تشدنى
الى هاشم ..

وفى الساعة الثالثة والنصف ، لم اعد أستطيع أن أقاوم .

خرجت ..

اليه ..

والرجفة تسرى تحت جلدى ..

ودرت أبحث فى شوارع مصر الجديدة عن « تاكسى » ..
وخطواتى سريعة ملهوفة كأتى هاربة من بيتها ..

وتنبهت وأنا فى « التاكسى » الى انى لم أقف أمام مرأتى
طويلا .. فأخرجت مرأتى الصغيرة ، وغرزت عيني فيها ..
ان لوني ممتع .. وخط الكحل تحت عيني ، مرتعش .. والأحمر
فوق شفتى متماوج ، ناحية ثقيلة ، وناحية خفيفة .. وبدأت
أصلح من زينتى .. وأقرص وجنتى حتى يحتقنا بدمائى .. ولم
أكن ساعتها معجبة بنفسى .. لم أكن أعى احساساتى .. كأن
عقلى الذى أعيش به ، متوقف .. أنا التى أوقفته .. لا أريد ان
أفكر .. لا أريد أن أعى .. لا أريد أن أفهم شيئا مما حولى ،
أو مما فى داخلى ..

كل ما تذكرته ساعتها أن خلعت خاتم الزواج من أصبعى
والقيت به فى حقيبتى ..

ونزلت من التاكسى أمام باب العمارة .

لم يبذل السائق جهدا فى معرفة العنوان .. كأن كل سائقى
التاكسى يعرفون أين تذهب البنات .. يذهبن الى شقة الدكتور
هاشم !

ونظرت فى ساعتى .. الخامسة الا ربعا .. ياه تأخرت
كثيرا ..

أحسن !! .

ودخلت المصعد ، وأنا اشعر كأتى أسير بزمبرك .. كأتى

عروسة من خشب .. كل شىء فى صامت .. عقلى صامت ..
قلبى صامت .. أعصابى صامته .. جسدى صامت .. صمت
الرهبة فى انتظار الحدث الكبير ..

ولم أبحث عن رقم الشقة .. كأتى أعرفها .. أول شقة
رفعت عيني الى رقمها .. كان الرقم أربعة عشر ..

ولم ترتعش يدي وأنا أضغط على جرس الباب .. يدي
قطعة من الخشب .

وفتح لى الباب .. مرتديا القميص والبنطلون .. وياقة القميص
مفتوحة ، تبدو من خلالها حافة فائلته الداخلية .. وعقدة رباط
عنقه مدلاة على صدره .. وقال وعلى وجهه سحابة من الزهق :
— انتى اتأخرت قوى ..

وابتسمت .. دون أن أرد .. وربما شعرت فى ابتسامتى
بطعم الشماتة .. الشماتة فيه لأنى استطعت أن الطعه فى
انتظارى ..

— انتى عارفة انى لازم أكون فى العيادة الساعة خمسة
ونص .. كنت أحب أقعد معاكى أكثر من كده ..

ولم أرد ..

وهو واقف فى فتحة الباب كأنه لن يسمح لى بالدخول ..
وأنا راقفة أمامه .. صامته .. وعيناي معلقتان فى عينيه ..
وأخيرا تنبه .. وأزاح نفسه عن فتحة الباب .. وسحابة
الزهق لا تزال فوق وجهه .. وقال كأنه نادم على دعوتى :

— اتفضلى ..

وتقدمته الى الداخل .

ولا أدري لماذا شعرت وأنا أتقدمه أنه نظر الى سائتى ، كأن
عينيه لسعتها ..

واستقبلتني الصالة الخارجية للشقة .. خافتة الضوء كغرفة
مكتبه .. النافذة الخشبية مغلقة .. والاثاث كله « ستيل »
غامق .. شيء آخر غير ما تصورته .. انه اثاث بيت عائلة ،
لا اثاث شقة خصوصية .. شقة أعزب ..

وجلست على مقعد عريض .. تعمدت أن أجلس على
المقعد لا على الأريكة .. وفوق المائدة الصغيرة الموضوعة أمامي ،
فنجان شاي كبير به اثار قهوة .. وعقلي بدأ يتحرك .. وقلبي ..
وأعصابي .

وقال وهو يجلس بجانبى على طرف الأريكة .. ويستند
بذراعه على مسندها ، ويمسح بكف يده على شعره الاسود
المتوج :

— تحنى اعمل لك قهوة ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه نظرة سريعة :

— لا .. متشكرة ..

واتسعت ابتسامته حتى آخرها ، وقال :

— تعرفى أنا واخذ البيت ده ليه .. علشان اعمل لنفسى
فيه قهوة .. أنا احسن واحد يعمل قهوة .. يعنى أنفع دكتور
وأنفع قهوجى ..

ونظرت اليه وابتسامته سخيقة بين شفتى .. ولا أدري لماذا
شعر بساعتها انه انسان آخر غير الانسان الذى استقبلنى فى
العيادة .. ابتسامته ليست هادئة كما رأيتها .. وأنفه أكبر مما
كنت اعتقد .. وعينه أكثر انتفاخا وأكثر اتساعا ، وبينهما نظرة
تحاول أن تدارى نفسها ، حتى لا تقضح صاحبها .. نظرة تتسلل
الى ذراعى والى صدرى .. والى ساقى ..

وقلت وأنا أشد ثوبى فوق ساقى

— وما تعملش قهوه فى البيت الثانى ليه .

قال وهو يضحك :

— أختى ما تسمحش .. مش معقول تسيبنى ادخل المطبخ ..
قلت وأنا لا أنظر اليه :

— واخذ البيت ده ، بس علشان القهوة .

قال :

— وعلشان أستريح فيه .. معظم الأيام ما بقدرش أطلع
المعادى بعد العيادة باجى أستريح هنا ..

قلت فى تردد وأنا أنظر فى أصابع يدي :

— يعنى ما بتحش واحده ..

قال :

— باحب .. بس مش واحده ..

ونظرت اليه كانى لا أفهم ..

استطرد قائلا :

— باحب شغلى ..

وهدأت عيناه .. وضائق ابتسامته .. وسحب نظرتيه من
فوق ذراعى .. رأيتيه كما كان فى عيادته .. وعاد يقول كأنه
هائم :

— ما تعرفيش أنا باحب شغلى أد ايه .. باحبه زى الحب
اللى بتقرى عنه فى القصص .. باتعذب .. وافرح .. وساعه
أياس . وساعه يبقى كلى أمل .. ما تقدرش تتصورى
لما باكشف على عيان ، باحس بيايه .. باحس ان كل اللى فى
بطنه فى بطنى .. ولما بيقول الحته دى بتوجعنى .. باحس ان
نفس الحته بتوجعنى أنا .. واقعد أطل الألام اللى باحس بيه
.. واحاول أعرف أسبابه .. ولما بابص فى صورة أخته ، باحس

انى بابص فى السما .. بابص لرينا .. وزى ما بتبصى فى
السما وتسالى رينا ازاي خلق النجوم ، وايه أسرارها .. أنا
كمان بابص فى صورة الأشعة ، واسأل رينا ازاي خلق المصارين
دى ، وايه أسرارها ، وليه خلاها تتوجع .

وكان يتكلم كأنه يتنهد .. كأنه يحلم وفى عينيه حب ..
حب كبير .. حب حقيقى .. واحسست انى لم يعد لى مكان
فى عينيه .. الحب ملاهها على آخرهما ..

وقلت كائى أريد أن أقول أى شىء :
— علشان كده نجحت .. واشتهرت .
وقال مبتسما :

— الحب دايبا يرفع صاحبه ..

واحسست باحساساتى ترق .. وعقد الخوف والرهبة
والجمود ، تذوب .. أحسست انى أرتفع .. وأنى دخلت فى
عالم نظيف .. رقيق .. حالم .. وقلت وعيناي تستقران على
وجهه فى هدوء ، وكأنهما فراشتان حطتا على زهرة بعد سفر
طويل :

— أنا ما كنتش فاكراك رقيق للدرجة دى ..
وضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

— ما تطمينيش قوى . أنا مش دايبا رقيق ..

ثم نظر فى عينى .. وطافت عيناه بوجهى ، كأنه يرانى
لأول مرة .. كأنه يكتشف فى شىئا جديدا .. وطالت نظراته
الى .. واختفت ضحكته .. وتلاشت ابتسامته .. أن فى نظرتة
شىئا جادا .. فى نظرتة فكرة ، لا أدرى ما هى .. وأنا أنظر
ليه .. منتظرة أى شىء .. مطمئنة .. مستسلمة .. ولا أشبع
من النظر اليه . عيناي عشتنا فوق أنفه الكبير .

ومد يده ووضعها فوق يدى .. وشعرت بثقلها .. وحرارتها
.. لم تكن أصابعه ، صامته ، باردة كهذه الأصابع التى كان
يضغط بها على بطنى وأنا فى عيادته .. أن فى أصابعه حياة
جديدة .. انها أصابع تتكلم .. ترسل اشارات الى كل قطعة
منى .. الى قلبى .. الى عقلى .. الى صدرى .. الى خصرى ..
وفجأة ..

نظر الى ساعته الكبيرة ، وقال فى هلع :
— ياه .. أنا اتأخرت على العيادة .. الساعة خمس
وعشره ..
وأفقت ..

أفقت على كراهية العيادة ..

وعاد يقول ، وهو يقفز واقفا ، ويضم ياقة قميصه ، ويشد
عدة رباط عنقه الى أعلى :

— تحبى تنزلى الأول .. ولا أنزل أنا الأول .
قالها بلهجة حاسمة لا رقة فيها .. كأن مواعيد العيادة قدر
لا يحتمل النقاش ..

وانتفضت واقفة ، وأنا أشعر كائى أهنت وقلت :

— لا .. أنا حانزل الأول ..

وتقدمنى ، ووضع يده على مقبض الباب ..
وخطوت الى جانبه .. ورفعت عينى اليه .. ووقفت صامته
.. ولا زلت أنتظر شىئا ..

والتقت عيناه بعينى .. ونظرتة تنسكب من فوق أنفه الكبير
وتغرق وجهى كله ..

ورفع يده من على مقبض الباب ..

وخطا هذه المسافة القصيرة التى تفصلنى عنه .. ثم ..

دون أن يتكلم .. احتوانى بين ذراعيه .. فى رقة .. وحنان ..
وضغط خده بخدى .. وعقلى واع .. متنبه لكل حركة .. وذقنه
تشكى شكات خفيفة .. لأبد أنه يخلق فى المساء .. ولم أذب
.. ولكنى أريد أن أبقي هكذا .. أريد أن أعرف ماذا سيحدث
بعد .. وانسحب خده من فوق خدى .. ليضع مكانه شفتيه ..
.. فى قبلة صامتة .. وأغمضت عيني .. لا أدري لماذا ..
ولكنى لم أطق أن تظل عيني مفتوحتين .. ثم زحف بشفتيه ،
ولمس شفتي .. شفتي لا تتحركان .. صامتتان .. جاهلتان
.. تتلقيان الدرس الأول .. وبقيت شفثاه فوق شفثى برهة ..
برهة قصيرة أو طويلة ، لا أدري .. ولكنها برهة تمنيت أن
تطول .. وعيناي لا تزالان مطفأتين ..
ورفع شفثيه عن شفثى ..

وسمعه يقول :

— أنا آسف ..

وفتحت عيني لالتقى بعينه .. وفيهما تساؤل .. لماذا
الأسف .. ماذا حدث ..

واستطرد قائلاً :

— ما كانش لازم ابوسك .. فى أول مرة نتقاين .. مش
كده ..

وأرخيت عيني .. لم أرد .. لم يكن شيئاً من هذا قد خطر
على بالي ..

وعاد ووضع يده على أكرة الباب ، وهو يقول :

— حاشوفك امتي ؟

قلت وأنا لا أستطيع أن أبتلع ريقى .. وصوتى يتعثر فى
نشوتى :

— زى ما انت عايز ..

قال :

— بكرة الساعة اربعه ..

وهزرت رأسى موافقة ..

قال :

— بس ما تتأخريش

قلت وأنا أبتسم :

— حاضر ..

وفتح الباب ..

وخرجت ..

وسرت فى الشارع .. ساهمة .. لم أحاول أن أبحث عن
تاكسى .. انى لم أفق بعد .. أريد أن أسير ، لعلى أفيق ..
وقبلته لا تزال فوق شفثى .. تحرقهما .. وتسرى فى أعصابى ..
انى أحس بها فوق صدرى .. فى قدمى ..

ولمحت فى سيارته بعد لحظات .. سيارة بويك موديل العام
الماضى .. عام ١٩٥٤ .. ولم يلمحنى .. كان يجرى .. يجرى
فى جنون .. يجرى الى حبه الكبير .. الى عيادته ..

وجدت نفسى فى شارع ٢٦ يوليو .. وافقت لأركب تاكسى
الى مصر الجديدة .. وعدت ساهمة .. وسعادة غريبة تغمرنى ..
.. سعادة لا أستطيع أن أمسك بها .. وأحس أنها ليست
مستقرة .. تكاد تسقط منى ..

ودخلت البيت وأنا لا أزال ساهمة .. فى سعادة .. ولا أدري
ماذا قلت الأمى ..

ولكنى سمعتها تقول :

— فين دبلتك يا ميتو ..

وانتبهت ..

وأسعفنى ذكائى .. ذكائى الذى يصنع الكذب .. وقلت :
— أصل كنت باشوف شرايات نايلون .. وخفت ينقطعوا
وأنا باحط ايدى فيهم .. قلعت الدبلة ..

وبسرعة فتحت حقيبتى وأخرجت منها دبلة الزواج ، ووضعتها
فى اصبعى .. وعدت ساهمة .. ملهية عن كل شىء حتى الدبلة
التي وضعتها فى اصبعى ..

ورقدت فى فراشى .. وأنا أستعيد كل لحظة مرت بى ..
كل حركة .. كل لفظة ..

وأغمض عيني لأسمع صوته .. وأرى كل قطعة من قطع
الأثاث التي كانت تحيط بنا ..

ولكن ..

شىء غريب ..

أنى أحس بجسدى ..

أحس به كما لم أحس به من قبل .. أحس به كأن كل
مسامه تفتحت .. كل مسامه أفواه صغيرة تريد أن تشرب ..
وأرفع كفى وأضغط بهما على صدرى .. وعلى خصرى .. وعلى
ساقى .. وهاشم فى خيالى ..

أنا أريد هاشم ..

وقمت من فراشى ، وتسأللت الى التليفون .. وادرت رقمه
.. وسمعت صوته .. ولم أرد .. فقط ، ابتسمت له .. اكتفيت
بصوته ، وعدت الى غرفتى ..

انى أحب ..

كنت اياها أصدق الحب .. وأعتقد أن هذا هو الحب ..
وعشت هائمة فى الحب ..

و ..

وذهبت اليه فى اليوم القالى .. تأخرت نصف ساعة ..
واستقبلنى ، وسحابة الزهق والغيظ تكسو وجهه .. انى أحبه
أكثر وهو مفتاظ .. وقد ظل مفتاظا لحظات ، وأنا أخفى فى

صدرى ابتسامة كبيرة .. ثم التفت الى ، وقال :

— تعرفى لو تأخرت تانى ، حاعمل فيكى ايه .. حاضريك ..

قلت وأنا أنظر اليه وابتسامتى فى عيني :

— ما تقدرش ..

قال :

— أقدر .. انتى لسه ما تعرفنيش ..

ثم جذبنى من يدي ، ودخل بى الى المطبخ ، ليرينى كيف يصنع
لنفسه فنجان القهوة .. المطبخ مرتب ، نظيف .. لم ر فى حياتى
كل هذا الترتيب والنظافة .. وقلت وأنا أطوف بعيني فى أرجائه :

— ده انت ست بيت ممتاز ..

قال وهو يشعل البوتاجاز :

— مش انا ... ده عم محمود البواب ..

ثم بدأ يصنع القهوة كأنه يقوم بعملية حسابية .. كل شىء
بحساب .. وحاجباه معقودان كأنه يركز تفكيره كلة فى القهوة ..
وشرب القهوة ..

أخذت رشفة من فنجاله ..

وضحكنا .. كل شىء يضحك حولنا .. وكل قطعة منا
تضحك .. انه ليس الدكتور هاشم .. انه هاشم فقط .. مرح
.. بسيط .. وعيناه أكثر اتساعا .. وتبرقان أحيانا حتى

أخافهما .. وتهدان حتى أكاد أنام بينهما .. ولم يتعد شيئاً
.. لم أشعر أنه تعمد شيئاً .. ولكنى وجدت شفتى الجاهلتين

تلقين الدرس الثانى .. انه يمتصنى كلى .. واصابعه تضغط
على ذراعى ، كأنه يعصرنى .. ومسام جسدى تتفتح اكثر ..
الأمواه الصغيرة تشرب ، ولا ترتوى ..
وغصت أكثر ..

انى اغوص الى تحت .. الى أعماق أعماق الحب ..
أو ما كنت أعتقد أنه الحب ..

وذهبت الى لقائنا الثالث .. متأخرة أيضا .. ثلث ساعة ..
هل تعمدت أن أتأخر .. لا أدرى .. وتركنى أدخل ، ثم أغلق
الباب ورائى .. وقف امامى صامتا ، وعيناه المنتفتحتان ثائرتان
.. ووجهه متجهم .. شفناه منطبقتان .. وحاولت أن ابتسم ..
ولكنى لم أستطع .. انى خائفة منه .. ليس خوفا .. ولكنه
نوع من الترقب للمجهول .. احساس بانى مقبلة على مغامرة
جديدة .

وفجأة رفع كفه وصفعنى .. صفعة قوية .. واهتز كل
شئ أمام عيني ، وطنين فى أذنى .. وضعت يدي على خدى ،
وأنا أتهدد :

— آى ..

— أنا قلت لو أتأخرت حاضريك .

وصفعنى صفعة أخرى على خدى الثانى .. ثم جذبني
من شعري وأوقعنى على الأرض .. ثم وجدته فوقى .. ثم
لم أعد أدرى ما يحدث لى .. ان ما يحدث أسرع من أن الاحقه
بعقلى .. شفناه فوق شفتى ، ولا أكاد أستريح بينهما .. حتى
أجدهما فوق عنقى .. ولا أكاد أشعر بعنقى حتى أشعر بأصابعه
تفك أزرار « بلوزتى » .. وقطعة من جمعدى تتعري .. وقطعة

أخرى .. وهو مجنون .. لا يكف .. وأنا أقاوم فى استسلام
.. والأمواه الصغيرة تشرب ..

ومن يومها ..
تعودت أن أثيره ..
وتعود أن يضربنى ..

لم نعد نلتقى الا هكذا .. مجانين .. نكاد يمزق أحدنا
الآخر .. ثم نهذا .. وأعود كما كنت .. سنتى المكسورة الخفيفة
الدم ، تبتسم فى سذاجة البنات .. ويعود هاشم الى شخصية
الدكتور هاشم .. جادا ، وقورا ، نظراته الصارمة تطل من
فوق أنفه الكبير .. ويذهب الى حبة الاكبر .. الى عيادته .
وعشت فى هذا الجنون .. وفى كل لحظة جنون ، أدع
هاشم يكتشف منى أكثر .. الى أن تم اكتشافى .. اكتشافى
كلى .. لا .. ليس كل شئ .. ترك القليل لزوجى ..

هل كنت أفكر فى زوجى . هل أنبنى ضميرى .. هل احترت
.. هل شعرت بالخطيئة .. هل كرهته .. أبدا .. أبدا ..
لا شئ من كل هذا .. كأن زوجى موضوع آخر غير ما أفعله
.. كأن ما أفعله ليس له شأن به .. ولا يمسه من قريب أو من
بعيد .. يكفيه انى أخلع دبلته كلما ذهبت الى هاشم .. احتراما
له ..

وكنت أحيانا أفكر فى مصير علاقتى بهاشم .. فى المستقبل
.. وأعود الى خطط الزواج .. ولكن .. فى هذه الأيام كان
المهم هو أن ألقاه لا أن أتزوجه .. أصبحت أعيش للقائه لا للزواج
به .. اختفى احساسى بالمستقبل وراء احساسى بنشوة حاضرى
.. انى مندفعة .. مغمضة العينين .. مغمضة العقل ..

— الى أن كان يوم .. بعد ثلاثة شهور ..

وكان لقاؤنا على وشك أن ينتهى .. وهاشم راقد فى الفراش
عارى الصدر .. وعضلاته السمر مستريحة فى استرخاء ..
وأنا جالسة أمام المرآة بقميصى الداخلى أمشط شعرى .. وقلت
وأنا أبتسم لصورته المنعكسة أمامى من المرآة :

— بتحبنى أد ايه يا هاشم ..

ولم أكن أقصد السؤال .. كل ما هنالك انى كنت فى حاجة
لأن يدللى بكلمة حلوة ..

وقال وعلى شفتيه ابتسامة ضيقة :

— وانتى بتحبينى أد ايه ؟

قلت :

— لسه مش عارف ؟ !

قال :

— لا .. مش عارف !

قلت :

— كل ده ومش عارف ؟

قال :

— ساعات ما بصدقش انك بتحبينى ..

والتفت اليه وقلت فى دهشة :

— أمال كل ده يبقى ايه ؟

قال :

— يمكن عايزه تتجوزينى ..

واحتدت نظراتى .. نظرت اليه كئى أحاول أن اخنقه ..

وأنفاسى بدأت تثور فى صدرى ..

واستطرد قائلاً :

— كل اللى عرفتهم كانوا عايزين يجوزونى .. أنا باعتقد

ان الستات ما يعرفوش الحب ، انما يعرفوا الجواز ..
ما يقدروش يعيشوا بالحب .. انما يعيشوا بالجواز ..
وأدرت رأسى عنه ..

ثم مددت يدى والتقطت حقيبتى ، وأخرجت منها دبلة زواجى
.. والقبتها فى وجهه .. وعدت أنظر فى المرآة وأمشط شعرى
فى عصبية ..

والتقطت الدبلة ..

لحته فى المرآة يلتقطها ..

ثم اعتدل من رقدته ، وأخذ يحلق فيها ، وقال والدهشة
تملاً عينيه :

— ايه دى ؟

قلت وأنا أشد شعرى بأسنان المشط :

— دبلىتى ..

قال :

— انتى مخطوبة ..

قلت فى برود :

— مكتوب كتابى ..

وقفز من فوق الفراش وجاء الى جانبى والمفاجأة تنزف من
تحت جفنيه المنتفختين وقال فى صوت مبهور :

— من امتى ؟

قلت وأنا أشد شعرى :

— من زمان .. من قبل ما أعرفك ..

قال :

— وما قتلش ليه ؟

قلت وأنا أهز كتفى :

— كده ١٠٢٥

وسقط على ركبتيه ، واحتضننى وأنا جالسة على المقعد ،
ودفن وجهه فى عنقى ..

وقلت وأنا أشيح بوجهى عنه

— استريحت .. صدقت .. صدقت انى باحبك ..
وهمس

— يا حبيبتى ١٠٠٠

ولا أدرى لماذا كرهته ساعتها .. وظللت أكرهه طول اليوم ..
ولكنى لم أستطع أن أستمر فى كرهه .. انى أريده .. الأفواه
الصغيرة تريد أن تشرب ١٠٢٥

وعدت اليه ١٠٠١

كما تعودت أن أعود دائما ..

واندفعت أكثر .. وعواطفى تزداد سخبا .. لقد بدأت
أغار عليه من مرضاه .. ومن المجتمع الذى يعيش فيه ، بعيدا
عنى .. غيرة مكتومة لا أفصح عنها .. وكنت دائما أتساءل :
أين يذهب فى الليل .. انه يقدم لى كشف الحساب دائما ..
تعشى فى سميراميس ، ثم عاد الى البيت .. بيت أخته .. أو كان
مدعوا فى حفلة .. أو .. أو .. ولكنى لا أطمئن .. رجل مثله

لا يمكن أن يقضى كل الليالى وحده ١٠٠٠

وشارت فى رأسى فكرة مجنونة ١٠٢٥

لماذا لا ألقاه فى الليل

جننت ١٠٢٥

وكانت أمى تعطبنى مفتاح الشقة عندها أخرج مع زوجى
لنسهو فى الخارج ، حتى لا أزعج أحدا عندما أعود .. واتفقت
مع هاشم على أن ينتظرنى عند أول شارع صلاح الدين .. فى

الساعة الثانية عشرة والنصف .. بعد منتصف الليل .. وحاول
هاشم أن يرفض .. حاول أن يفيقنى من جنونى .. ولكنى
أصررت ، واتهمته أن له امرأة يقابلها فى الليل .. فاستسلم ..
وأخرجت مع زوجى .. ذهبا الى السينما .. ثم ادعيت
أن عندى صداعا .. وصدقنى المستكين .. وعاد بى الى البيت ..
وقبلنى على خدى .. لا يزال كل نصيبه منى ، قبلة على الخد ..
ونزلت من السيارة ، وهو يقول لى فى حنان عبيط :

— خدى اسيرينه ، وفنجان شاي .. واقفلى الشباك .
وانتظرت قليلا ، الى أن اطمأنت الى أن زوجى ابتعد بسيارته
.. ثم عدت أنزل .. الى الشارع .. وجريت الى حيث ينتظرنى
هاشم .. والقيت نفسى فى سيارته .. وانطلق وهو ينظر الى
فى دهشة من جرائى .. من جنونى .. وذهبنا الى شقة
الزمالك ..

ان البنات اللاتى يقطن ان كل ما يحدث فى الليل ، يمكن أن
يحدث فى النهار .. واهمات .. ان ما يحدث فى الليل أكثر ..
لا أدرى لماذا .. ربما لأن عيون الناس مغضبة .. وعيون
السماء مغضبة .. وقد أخذت فى الليل أكثر مما تعودت أن
أخذ فى النهار .. واعطيت أكثر !

وعدت فى الثامنة صباحا .. وبيتى كله نائم .. لم يشعر
بى أحد ..

واستمر جنونى ١٠٢٥

انى أعيش فى دوامة الجنون .. انى لا أهدأ .. أريد فى
كل يوم مغامرة .. وأثير هاشم ، وهاشم يضربنى .. والأفواه
الصغيرة تشرب ..

ثم ١٠٠٠



فجأة ..

وكانت قد مضت سبعة شهور على لقائى بهاشم .. عاد زوجى من السويد وهو مصر على أن يعجل بالزواج .. انه لا يريد أن ينتظر الى أن يتم بناء الفيلا وتجهيزها .. انه يحس أننا نبتعد أحدا عن الآخر .. ويريد أن نتزوج الأسبوع القادم .. ويصر .. فى عناد .. وأقنع أمى .. وأقنع زوج أمى .. وأقنع أبى .. وأقنع خالاتى الخمس .. والجميع فوق رأسى

يلحون .. ويصرن ..

— لا أحد يريد أن يسمعنى .. لقد انتظر الزوج طويلا .. وما يطالب به هو من حقه ..

وهرعت الى هاشم .. وقلت وأنا لا أنظر فى عينيه :

— أنا خلاص .. حاجوزا ..

قال :

— مش معقول .. امتى ؟

قلت :

— الخميس الجاي ..

وتجهم وجهه .. وأدار ظهره لى كأنه متأثر .. ولكنى شعرت

ساعتها أنه يمثل .. وقال وهو يتهدأ :

— على كل حال أنا كنت منتظر اليوم ده .. اليوم اللى تيجى

تقوللى نية أنك حتجوزى ، وتسافرى تعيشى فى السويد ..

وسكت برهة .. وأنا أنظر اليه بكل عينى .. ثم قلت وصوتى

يرتعش :

— هاشم .. انت ما تقدرش تتجوزنى ؟

ورفع الى عينيه فى لفطة سريعة ، ثم خفضهما ، وقال وهو

يدبر رأسه :

— لا ..
قلت فى حدة :
— ايه .

قال نى صوت صارم ، كأنه يرفض النقاش ، وهو لا ينظر لى :

— الأنى ما قررتش اتجوز! ..
وبكيت ..

انهمرت دموعى رغم ارادتى .. دموع فيها غيظ .. وفيها ذل .. وفيها استسلام لضعفى ..

وجاء الى .. وقال كلاما كثيرا لم اكن استمعه .. ولكنه يقبلنى .. ويقبلنى أكثر .. والأمواه الصغيرة تتفتح .. وأنا مستسلمة .. لا أستطيع أن أقاومه .. ولا أن أقاوم جسدى الذى يثيره .. والدموع فى عيني ..

ثم ..

تركنى ..
كلهم تركونى ..

تركونى أتزوج عبد السلام ..
و ..

وبدأت قصتى ..

— ٣ —

وتزوجت بلا فرح ..
وسافرت فى نفس الليلة الى السويس لأقيم فى بيت زوجى .. ومع أمه .. الى أن يتم اعداد الفيلا الجديدة التى بينها لى ..

هل أروى التفاصيل ؟

لا .. لست أول فتاة تتزوج رجلا لا تحبه .. والبنات اللاتى يتزوجن بلا حب ، حكاياتهن معروفة ..

ولكنى أتساءل اليوم .. لو لم يكن هاشم قد دخل حياتى ، هل كان يمكن أن أتعود على زوجى .. وأستسلم لتعودى عليه .. وأهنا بالحياة معه ، ونعيش فى التبات والنبات ، ونخلف صبيانا وبنات ؟ ..

ربما ..

ولكنى أيامها لم اكن أوّمن بأن الحياة هى تعود .. كنت أوّمن بأن الحياة هى الحب .. وكنت فى الوقت نفسه قد بدأت أتعود على هاشم .. لمساته .. أنفاسه .. هذه الساعات السريعة التى يختطفها من وقت مرضاه ليعطيها لى .. هذا الجنون العنيف الذى نعيشه معا ..

وربما كنت أستطيع يوم تزوجت أن أنسى هاشم .. أن أحرر نفسى من تعودى عليه .. فلم يكن قد مضى على علاقتنا أكثر من سبعة شهور .. ولكنى لم أحاول .. أبدا لم أحاول .. ولا للحظة واحدة حاولت أن أنساه .. ولا للحظة واحدة حاولت أن أكون

زوجة مخلصه .. لم يخطر على بالي أيامها موضوع الاخلاص
لزوجى .. زوجى نفسه لم يكن موضوعا أفكر فيه ..

ومنذ ركبت السيارة بجانب عبد السلام فى طريقنا الى
السويس ، وأنا أفكر فى هاشم .. وأفكر كيف أستطيع أن
القاه .. ومتى .. ورقدت على فراش زوجى وعنى لا يزال
وراء هاشم .. لا أحس بالرجل الآخر الذى يرقد بجانبى ..
لا أحس بما يريد ، ولا بما يحاول .. لست خائفة .. ولا مترقبة
.. مسام جسدى كلها منقبضة ، مزهومة .. كل ما أشعر به
هو رائحة البطارخ المنطلقة من فمه .. فأدير رأسى عنه حتى
أبتعد عن ريحها .. والمسكين يبذل كل ما يستطيع ، وهو يعتقد
أنى لا زلت صغيرة .. لا أستطيع بعد أن أكون زوجة ..
ونام ..

وتركنى أفكر .. فى هدوء .. وقد كنت نائمة يومها على
هاشم .. نائمة لأنه تركنى أتزوج .. كنت أحس أنه رمانى ..
جرح كرامتى .. ورغم ذلك كنت مندفعه نحوه بكل كيانى .. وكنت
أحيانا التمس له العذر .. أنه لم يخذعنى .. لم يعدنى بشيء
ثم تخلى عنى .. ثم أعود وأشعر كأتى أريد أن أنتقم منه .. أن
أذهب اليه لأذلة كما أذلتى .. ثم أعود وأرى فى خيالى طاقة
كبيرة من الأمل .. لعلى لا زلت أستطيع أن أتزوجه .. من
يدرى ! ..

وفى اليوم التالى .. يوم الصباحية خرج زوجى الى مكتبه
القريب من البيت .. وبقيت فى فراشى .. لا أريد أن أقوم منه ..
ليس هناك ما يدفعنى للقيام .. ولم أغسل وجهى .. ولا غيرت
قميصى .. ولا سرحت شعرى .. بل أتى - ربما لأول مرة -

لم أتلف على مرأتى .. وكل قطعة منى ملقاة فى إهمال ، كأنى
استغفيت عنها .. وصدرى مقبوض ..
وجاعت جماتى وبين شفثتها ابتسامه كبيرة ، وقالت وهى
تضع فى صوتها رنة الفرح :

— صباح الخير يا عروستنا .. السويس كلها مؤرور ..
ولم تفتح ابتسامتها قلبى .. بالعكس زادته انقباضا ..
أحسست كأنها ناظرة مدرسة جاءت لتبهنى الى واجباتى ..
وعادت تقول وهى لا تزال تعلق بين شفثتها ابتسامتها
الكبيرة :

— مش تقومى توضعى نفسك يا بنتى يمكن حد ييجى ..
دول ستات السويس كلهم عايزين يشوفوكى ..
وقلت وأنا أتأوه :

— مش قادره والنبنى يا طنط .. تعبانه مش عارفه مالى ..
ما اظنش حاقدر أقابل حد دلوقت .. خليفهم بعد الضهر ..
ونظرت الى من تحت جفنيها كأنها تختبرنى ، ثم استتردت
فرحتها بسرعة ، وقالت :

— وماله يا بنتى .. خليكى مستريحه .. أنا حاتصل بيهم
وأقول لهم الزياره بعد الضهر .. تحبى أجيب لك الفطار فى
السرير ..

قلت وأنا أدعى التعب :

— لو سمحت يا طنط .. ولو سمحت خللى السفرجى يجيب
لى التليفون علشان أكلم ماما ..
والتفتت الى لفته سريعة ، ثم عادت وقالت :

— وماله يا بنتى .. اللى مالوش خير فى أهله ، ما لوش
خير فى حد ..

وبعد برهة دخلت حماتي ، تحمل آلة التليفون بنفسها ،
وقالت وهي تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :
— أنا آسفة يا بنتي .. كنت باعزم السمعات اللي حايذورونا

بعد الظهر ..
وتمتت :

— متشكرة يا طنط ..
ورمتني حماتي بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..
واتصلت بأمي ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعي ..
.. أحسست أنني وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..
وقالت أُمي جزعة :

— مالك يا بنتي .. مالك يا ميتو ..
قلت وأنا أشهق :

— ما فيش حاجة يا مامي .. بس وحشتيني .. وحشتيني
قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدري حنانا :
— وبعدين يا ميتو .. ما تعيليش كده .. انتي كبرتى ..
قلت وأنا أحاول أن أكمم دموعي :
— تعاليلي يا مامي .. تعاليلي دلوقت .. مش معقول انك
تسيبيني لوحدي بالشكل ده ..
وقالت أُمي وهي تحاول أن تبدو حازمة :

— حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلي .. عامله ايه ؟
واخذت أروي لها أخباري .. كل أخباري .. وضيقى ..
والح عليها أن تأتي الي .. وهي تصبرني .. وتنصحنى ..
نصائح كثيرة تنطلق من أذني اليمنى لتخرج من أذني اليسرى ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تمد عينيها الي عنقي لتحتفي .. كأنها تبحث
من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبني .. وشعرت
بلهفة شديدة الي أُمي .. أحسست أنني أصبحت يقيمة .. أريد
ماما .. أريدها بجانبى .. لتحميني من هماتي ..

وجاء السفرجى بصينية الإفطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون
.. وبقيت ساكنة .. تناولت لقمتين من أفطاري .. ومعدتى
مقفولة ، تصد كل ما ألقىة اليها .. ثم ضغطت على الجرس
أنادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة أمره :

— تانى مره ما تجبش لى مرية لارنج .. ما بحبهاش ..
شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

— بس الست الكبيرة بتتكلم ..
قلت :

— طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تتمزق .. أبخرة الغيظ
متجمعة فى صدري .. واليوم الطويل ممتد أمامى كعُعبان يفتح
فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات ..
لا أدري أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس أنادى
السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

— روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلّة أدب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على

فراغى ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تمد عينيها الى عنقي لتختفى .. كأنها تبحث
من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبني .. وشعرت
بلهفة شديدة الى أمي .. أحسست أني أصبحت يتيمة .. أريد
ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من همتى ..

وجاء السفرجى بصينية الافطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون
.. وبقيت ساكنة .. تناولت لقمتين من أفطاري .. ومعدتى
مقفولة ، تصد كل ما القية اليها .. ثم ضغطت على الجرس
أنادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة أمرة :

— تانى مره ما تجيش لى مربة لارنج .. ما بحبهاش ..
شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

— بس الست الكبيرة بتتكلم ..
قلت :

— طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تتمزق .. أبخرة الفيظ
متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد أمامى كناعان يفتح
فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات ..
لا أدري أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس أنادى
السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

— روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة أدب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على

فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتى ، تحمل آلة التليفون بنفسها ،
وقالت وهى تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :

— أنا أسفة يا بنتى .. كنت باعزّم الستات اللى حايزورونا

بعد الظهر ..

وتمتت :

— متشكرة يا طنط ..

ورمتنى حماتى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى

.. أحسست أنى وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

— مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وأنا أشهق :

— ما فيش حاجة يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى

قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

— وبعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وأنا أحاول أن أكرم دموعى :

— تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول انك

تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت أمى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

— حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عامله ايه ؟

وأخذت أروى لها أخبارى .. كل أخبارى .. وضيقى ..

والح عليها أن تأتى الى .. وهى تصبرنى .. وتتصحنى ..

نصائح كثيرة تنطلق من أذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وتوصيني بزوجي عبد السلام .. ثم طلبت مني أن أنادي حماتي
لتحادثها .. ورفضت .. قلت لها أنها مشغولة .. ولكن أمي
أصرت .. وطلبت من السفرجي أن أنادي حماتي .. وأخذت
الأم والحماة تنافق احداهما الأخرى .. وأنا جالسة في السرير ،
وعلى شفتي ابتسامة باهتة ، وبقايا الدموع في عيني ..

وانتهت المحادثة ..

وحماتي واقفة بجانب فراشي كشبح العذاب ، تنظر الى
التليفون ..

وقلت أدعى التردد :

— أقدر أكلم بابا كيان ؟

قالت على الفور :

— طبعاً يا حبيبتى .. ده بيتك ، وتليفونك ..

وخرجت من الغرفة تاركة لى التليفون ..

ولم أشعر أن هذا البيت بيتى ، ولا أن هذا التليفون تليفونى
.. كنت أحس أنى فى بنسيون .. فى لوكاندة .. ضيفة عند
حماتي .. وقد بقى هذا الاحساس يصاحبنى دائماً .. لا أدرى
لماذا .. ولا أدرى لماذا كرهت حماتي .. أنها لم تضايقتنى فى
حياتى .. بالعكس كانت حريصة على عدم مضايقتى ، حرصاً
يصل الى حد مضايقتى ..

وانى أتساءل الآن .. هل لو انى أقمت مع زوجى فى بيت
وحدنا منذ اليوم الأول لزواجنا .. هل كنت أحببت بيتى .. وأحببت
حماتي ؟

ربما .. لست أدرى !

وأنا لا زلت فى فراشى .. والتليفون فى حجرى .. ولم

أكن أريد أن أحادث أبى .. انه لا ينتظر منى أن أحادثه .. ولكن
كان هناك شخص آخر أريد أن أحادثه ..

ونظرت الى الباب المفتوح .. باب غرفتى ..
وترددت فترة طويلة .. واليوم الطويل الفارغ يمتد أمامى
كشعبان يفتح فكية ليبتلعنى .. والضيق يزحف على صدرى ..

ثم لم أستطع ..

رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم الترنك ، وطلبت نمرة
هاشم .. طلبتها مستعجلة ..

ومضت نصف ساعة .. نصف ساعة هائلة .. كلى متحفزة
.. منتبهة .. انظر الى الباب المفتوح .. ثم انظر الى داخل
نفسى ، وأحس أحياناً بخوف من اندفاعى .. وأحياناً أحس أنى
اتهاقت على هاشم أكثر مما يجب .. تهافتاً يفقدنى احترامى
لنفسى .. وأحياناً تملأنى لذة المغامرة .. وابتسم وأنا أتخيل
ملامح الدهشة تكسو وجه هاشم عندما يسمع صوتى ..

وسمعت صوته ..

وارتج قلبى بين ضلوعى ..

وقال بلهجتة السريعة التى تعود أن يحادثنى بها :

— ازيك يا عروسه .. بتتكلمى منين ..

قلت ويدي الممسكة بسماعة التليفون ترتعش ، وابتسامتى
ترتعش :

— من السويس ..

قال :

— عارف انك بتتكلمى من السويس .. منين فى السويس ؟

قلت فى دهشة من سؤاله :

— من بيتي ..
قال وضحكة صغيرة بين كلماته :

— أما مجنونه صحيح ..
قلت وأنا انظر في الفراغ الذي أمامي بكل عيني كأنى أحاول
أن اثقب الفراغ بعيني لأراه !!

— وحشتك ..
قال بسرعة :

— قوى .. حاشوفك امتى ؟
قالها ببساطة كأنى لم أتزوج .. كان الزواج لا يمكن أن
يحول بينى وبين لقائه .. أو كأنه تعود على لقاء الزوجات .
وقلت كأنى اتحداه .. كأنى أرد على استهانتة بزواجى :

— أنت ناسى انى اتجوزت ..

قال :

— ممش ناسى .. ومش قادر أنسى أنك وحشانى ..
قلت وأنا أحاول أن أكون خبيثة :

— وعاجبك كده ؟

قال :

— عاجبنى ايه ؟

قلت :

— عاجبك انى اتجوزت ، ومش قادره اشوفك ..
قال فى لهجة واقفة لا حياة فيها :

— ما كانش ممكن غير كده .. على كل حال أنا ممش مهم ..
المهم انت .. المهم أنك تكونى سعيدة ..

قلت :

— يا ريت يا هاشم ..

وسمعت صوت أقدام تقترب من عرفتى .. ربما كانت أقدام
حماتى .. وقلت لهاشم بسرعة :

— حابقى اكلمك بعدين .. مع السلامه دلوقت ..

والقيت سماعة التليفون ..

والقيت رأسى على الوسادة .. مستريحة .. هائمة .. كأنى
أخذت جرعة من الحياة .. أشبعتنى .. مؤقتا .. وخيالى
كله مع هاشم .. ثم بدأ خيالى يسرى فى جسدى .. وأحس
بلمساته .. والأفواام الصغيرة .. مسامى .. تتفتح .. عطشى
تريد أن تشرب .. ولا تجد من يسقيها ..

وعاد زوجى .. ووجدنى كما تركنى فى الصباح .. بقميص
النوم .. مهوشة الشعر .. وأثار النوم ، مختلطة بالدموع
التي ذرفت ، تكسو عيني .. وابنسم لى كأنى أجمل فتاة فى
العالم .. وجلس على حافة الفراش ومال بجسده يقبلنى ..
وانقبضت مسامى كلها .. لم أعد أريد أن أشرب ..

وأزحته عنها وقلت فى رقة مفتعلة :

— أخرج دلوقتى لغاية ما البس ..

وقمت من الفراش .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ..
وارتديت « روب ديشامبر » من الحرير الطبيعى ، مشغولا
بالدانتييل .. ووقفت أمام المرآة .. وأنا أرى نفسى فى عيني
هاشم .. ان هاشم لم يرنى أبدا فى مثل هذا الزوب .. لم يرنى

أبدا كعروس فى يوم الصباحية ..

وتزينت ، كأنى أتزين لهاشم .. وخرجت لأتناول طعام الغداء

مع زوجى وحماتى ..

والحديث كله عن عائلات السويس اللاتى ساقابلهن هذا

المساء ..

وعدتاً الى غرفتنا بعد الغداء ..

لم اكن اريد ان اعود ..

ولكن زوجى سحبني من يدي وهو يقول :

— مش عايزه تستريحي شويه يا ميتو ..

واستسلمت له ، وسرت وراءه وأنا أشعر بحجر ثقيل أحمله

فى صدرى .. وحماتى تنظر الى ابنها فى سعادة وزهو .

وقلت له وأنا أعطيه أجمل ابتسامة أستطيع أن أعطيها له :

— خدنى فسحنى فى السويس شويه .

قال وهو يقترب منى ويلف ذراعيه حولي ، وسنده الذهبية

تلمع من خلال ابتسامته والثقوب الصغيرة تقفز فوق أنفه :

— ياما حافسحك .. حاحط السويس كلها تحت رجلكى ..

بس خيلنا مع بعض دلوقت ..

قلت فى توصل :

— علشان خاطرى ..

قال وهو يضع فمه فوق شفتى :

— علشان خاطرى أنا .. انتى خايفه يا حلوه ..

لقد اعتقدت أنى خائفة .. أو انى أتدل .. ويشتت أن أعفيه

منى .. واستسلمت ..

وحاول المسكين ..

محالوت مقرزة ..

انه لا يستطيع ..

لا يستطيع أن يكتشفنى ..

وأنا كلوح الثلج .. أشرد أحياناً وهو يحاول .. ثم انقبه

اليه برهة كأنى أفرج على قرد يقفز أمامى ..

وضاق بى ..

وتركنى ، وأنفاسه لاهثة ، والعرق يتفصد من جبينه .

والسخط فى عينيه ..

وقال :

— مش ممكن تكونى صغيره للدرجة دى ..

ثم بدأ يرتدى ثيابه ، وقال وهو يخرج ويصفق الباب وراءه :

— أنا راجع المكتب ..

ولم أهتم ..

لم أشعر حتى بالشفقة عليه ..

وجلست أفكر فى نصيبي .. فى أزمى .. دون أن أفكر

لحظة واحدة فى كيفية ارضاء هذا الزوج .. لم أفكر فى كيف

أصبح زوجة .. فقط أدور والف بعقلى داخل أزمى .. وأتهد

شوقاً الى هاشم ..

وأفقت على صوت حماتى وهى ترجونى أن أستعد لاستقبال

الضيوف ..

وبدأت أستعد ..

وخطر لى ساعته أن أغيظ سيدات السويس كلهن ..

لا أدري لماذا .. ولكنى أحسست ساعته انى أرقى منهن ..

آتية من باريس الى بلد من بلاد الأرياف ..

وارتديت أجمل ثيابى .. وتغاليت فى الاهتمام بشعري

وزينتى .. وخرجت اليهن بعد أن لطعتهن أكثر من نصف ساعة

.. وربما رأتى سيدات السويس جميلة ، ولكنى واثقة أنهن

أجمعن على أن دى ثقيل .. متقزحة .. وأرضى غرورى أن

يقلن عنى هذا الكلام ..

وعدت الى غرفتى ..

والليل ..

وزوجى المسكين ..

وفى اليوم التالى .. حادثت هاشم فى التليفون .. أصبحت
أحاده كل يوم .. وأحيانا أحاده مرتين فى اليوم .. وقد قال
لى أنى يجب أن احترس فان كشف حساب التليفون سيرسل الى
زوجى مسجلا فيه الأرقام التى طلبتها ، وبينها رقمه .. وقد
يسألنى زوجى عن هذا الرقم .. ويكشف شيئا ..
ولكنى أجبته بلا مبالاة :

— ما تخافش ..

كنت واثقة ان زوجى لن يكتشف شيئا .. ان الزوج
لا يكتشف شيئا الا اذا تعمد الاكتشاف .. وهولن يتعمد الاكتشاف
الا اذا بدأ الشك يداخله .. وزوجى لا يشك فى ..

والايام تمر ثقيلة .. طويلة .. والمسافة تبتعد يوما بعد يوم
بينى وبين زوجى .. وأعصابه تثور فى كل ليلة .. وبدأ يضع
اللوم على .. ثم .. ولم يكن قد انقضى ستة أيام على زواجى
.. طلبت منه أن نعود الى القاهرة لزيارة أمى .. ووافق
بسرعة ..

وفرحت ..

سافرت كائى على موعد مع هاشم ..
واختلنى عبد السلام بأمى بعد وصولنا .. اختلنى بها طويلا ،
بينما أسرعنا أنا الى غرفتى ، ورقدت على فراشى .. أتى لم
أجد بعد الفراش الذى يعوضنى عن فراشى ..
وخرج عبد السلام من البيت ، وجاءت أمى لتجلس معى ..
وبدأت تقول لى كلاما عجيبا جريئا .. أنها تعلمنى كيف أرضى
زوجى .. كيف أساعده ، كما قالت .. كيف أثيره .. أنا ..
هذه مسئوليتى أنا .. مستحيل .. وأمى تصر على التماهى فى

الموضوع .. ووجدت نفسى انساق معها .. نتحدث كصديقتين ..
كلاما يضحكنى .. اتعمد أن أسألها عن تفاصيل أكثر .. ثم أعطى
عينى بكفى ، وهى تجيبنى .. وأصيح وأنا أضحك .. مش
معقول .. وأمى تحتمل كل هذا الدلع منى ، وتزيدنى تفصيلا ..
ولم تكن أمى تعلم أنها تلقننى أول درس فى طريق طويل
مزقت على جانبيه حياتى .. لم تكن تدري أنها عندما كانت
تعلمنى كيف أكون لرجل لا أريده .. كانت تضع قدمى على
حافة الهاوية .. حتى لو كان هذا الرجل هو زوجى .. لا فرق
.. ان التى تتعود على رجل لا تريده .. تجد أمامها عشرات

الرجال لا تريدهم ..

واتصلت فى نفس اليوم بالدكتور هاشم .. طلبت منه أن
يلقانى فى اليوم التالى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وقال رغم
فرحته بى :

— ما أقدرش يا أمينه أنتى عارفه مواعيد العياده ..

قلت :

— بس أنا جوزى معايا .. وما قدرش أقابلك الا فى
البيعاد ده .. وما فيهاش حاجة لما تتأخر عن العياده شويه ..
قال فى حزم :

— مش ممكن ..

كائى لم أزد شيئا عنده بعد أن أصبحت زوجة .. حتى
ولا نصف ساعة من وقت مرضاه ..

وقلت وقد صدمنى فى لهفتى اليه :

— أمال أشوفك امتى ..

قال :

— أنتى عارفه .. يا الساعه أريعه .. يا الساعه تسعه ..

وكنت أستطيع أن أحدد موعدى معه مباشرة .. ولكنى شعرت بنوع من الكبرياء يدفعنى لأن أماطله .. وقلت :
— طيب لما أشوف .. لو قدرت حاتصل بيك تانى ..
وكنت أعلم أنى لن أستطيع أن أقاوم طويلا .. كنت أعلم أنى أضعف منه .. وأضعف من أن أقاومه ..
واتصلت به فى اليوم التالى .. وحددت معه موعدا فى

الساعة الرابعة ١٠٠٠

قلت لزوجى ولأى انى ذاهبة الى الحلاق .. وفعلا أوصلنى زوجى بسيارته الى الحلاق ، وافتقت معه على أن يعود ويأخذنى فى الساعة السادسة ١٠١٠

ودخلت محل الحلاق وحددت معه موعدا فى الساعة الخامسة والنصف .. ثم خرجت بسرعة ، وركبت تاكسى .. وذهبت الى هاشم ١٠٢٠

وكنت مفتاظة وأنا ذاهبة اليه .. كنت أشعر برجفة المغامرة ، ولكن شعورى بالغيظ كان أكبر .. لا أدري لماذا كل هذا الغيظ .. انى ذاهبة اليه كما كنت أذهب كل مرة .. فلماذا اغتاظ .. ربما أحسست ساعتها بأنى الأحق به بدل أن أتركه يلاحقنى .. ربما أحسست أنى أضحى بكل شىء ، وهو لا يضحى بشىء .. حتى ولا بنصف ساعة من وقت مرضاه ..

ووصلت اليه متأخرة ربع ساعة .. ولم يغضب .. ولم أر سحابة الزهق تكسو وجهه كما عودنى ..

شدنى من يدى ، وأغلق ورائى الباب .. ثم احتوانى فى صدره ، وهمس فى أذنى وهو يضغطنى بذراعيه :

— وحشائى .. وحشائى موت ١٠٣٠

ولم أسترح فى صدره .. كنت عصبية لا أستطيع أن أستريح

.. لا أستطيع أن أفرح بلقائه ولا أن أغضب .. لا أستطيع أن أستسلم ، ولا أن أقاوم ، لا أستطيع أن أثور ، ولا أن أهدأ .. لا أستطيع شيئا ..

وأبعدنى عنه ، ثم سحبنى من يدى وأجلسنى بجانبه فوق الأريكة .. وهو يقول وابتسامة كبيرة بين شفثيه .. ابتسامة أكبر مما تعودتها منه ١٠٤٠

— أحكىلى .. عامله ايه ؟

وبدأت أحكى له .. قلت له أنى زهقانة من عيشتى .. وأنى لا أطيق زوجى .. ولا بيتى .. ولا حماى .. ولا السويس كلها .. ولكنه لا يستمع لى .. انه يقول كلاما .. يوصينى بأن أصبر .. وأن أحتمل .. ولكن الكلام يخرج من فمه كأنه كلام محفوظ .. كأنه يردد كلمات لا يعينها .. وكأنه لا يسمع شكواى ولا يتأثر بها .. ويده تمتد الى شعرى تزيح خصلاته من فوق جبينى ، ثم تندس بين طياته .. ويقترّب منى .. ويلف ذراعه حولى .. ثم ينظر فى عينى ويقول فى لهجة رقيقة لم أعودها منه أيضا :

— انتى مظلومه يا أمينه .. مظلومه بجوزك .. ومظلومه

بى ١٠٥٠

ثم ضمنى اليه ..

ويده تمسح على ظهري ..

انى أعرف ما يريد ..

وأريد أن أبكى ..

أقاوم دموعى بكل ارادتى ..

والتقط شفثى بشفثيه .. لا .. لا أريد .. ان مسامى

منقبضة .. انها لا تفتح كعادتها معه .. ولكنى لست متضايقه ..
.. لا احس بهذا الضيق الذى اشعر به مع زوجى .. ولا بهذا
البرود .. كائى استير فى طريق اعرفه .. تعودت عليه .. حتى
لو لم اكن اريد السير فيه ..

واعطى لنفسه حرية اكثر ..
ملهوفا .. متعجلا .. حتى يلحق موعد العيادة ..
وبكيت ..

كان بكائى صامتا .. ولكنى لم استطع ان ابقيه صامتا ..
تكلم دمعى فى نشيج خافت .. وبكائى ونشيجى يثيره اكثر ..
وانا مستسلمة .. لا اقاوم ..
وتركى ..

ولا زالت الدموع تسيل على خدى ..
وضمنى فى رفق الى صدره واخذ يواسينى .. ويقول كلاما
يحاول ان يكون رقيقا .. ما فائدة الكلام .. كله كلام لا يحل
مشكلتى .. وهو متعجل .. انى اعرف انه على عجل .. يريد
ان يلحق بموعد العيادة ..

وابتعدت عنه ، وانا اقول كائى انغزه .. كائى الومه ..
كائى اكتشفه ؟

— انت اتأخرت على العيادة يا هاشم .. حاسينك بياه ..
ووقف صامتا ..

واستدرت له لأخرج ..

ولحق بى هاتفا ..

— حاشوفك امتى ؟

قلت وانا ابتسم له ابتسامة فيها مرارة وفيها سخريه :

— ما اعرفشن .. حا ابقى اتصل ببيك .

وخرجت ..

والذل يأكل اعصابى .. والغيظ .. والحيرة ..
وعدت الى الحلاق .. وجلست تحت يده .. وانا افكر فى
طريقة اخلص بها نفسى من هاشم .. هل يستطيع زوجى ان
يخلصنى منه .. ربما لو اتبعت الدرس الذى لقتته لى امى
لاستطعت ان اجعل منه شيئا اتعود عليه ..

وقررت ان اتبع دروس امى ..

ان ارضى زوجى ..

لعلنى اتعود عليه .. ولعله يخلصنى من هاشم ..
وجاء المسكين فى الساعة السادسة .. ومنحته أكبر ابتساماتى
.. كائى اعده بشيء كبير .. جديد .. ثم تركته ينتظرنى ساعة
كاملة الى ان انتهيت من الحلاق ..

وعدنا ليلتها الى السويس بعد ان تناولنا طعام العشاء فى

بيت امى ..

وهناك ..

فى غرفتنا ..

كنت متعبة .. لم استطع ان ابدأ فى تطبيق الدرس الذى
لقتته لى امى .. ثم .. كان كثيرا على ان اكون لرجلين فى ليلة
واحدة .. احس بنفسى رخيصة .. مبتذلة .. جسدى يقشعر ،

وجلدى يتكرمش ، كلما لمست جسد زوجى ..

ولكنى حاولت فى الليلة التالية ..

يا ربى .. ما اقسى المحاولة ..

انها عذاب .. ذل .. معدتى تتلوى ، استمر فى المحاولة
.. اعطيه كل ما اوصتنى به امى .. واكثر .. بل انى اغش من
هاشم واجول ان القته الفش ..

وفرح زوجى بالمحاولة ..
انه الآن ليس مسكينا ..

ولم أتصل بهاشم فى هذا اليوم .. ولا فى اليوم التالى ..
مرت ثلاثة أيام لم أتصل به .. والأيام تمتد أمامى طويلة ، فارغة ..
والزهق ، ثعبان يفتح فكيه المسمومتين ويبتلعنى ..
والمحاولات التى أبدلها لزوجى تقززنى .. وتبعدننى عنه أكثر

.. ومسام جسدى تزداد انقباضا ..
ثم ..

عدت أتصل بهاشم ..
وذهبت الى لقائه عندما جئنا الى القاهرة فى الأسبوع
التالى ..

وأصابتنى حالة اللامبالاة ..

لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
.. ولا مبالاة بعائلات السويس وبما يقولونه عنى .. ولا مبالاة
حتى بأمى ..

لا أبالى اذا ذهبت الى هاشم .. ما دمت اريده .. واللامبالاة
تدفعنى الى جراءة أكثر فى التحدث اليه من السويس .. انى
أتحدث اليه أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. ولا مبالاة فى لقائه
.. انى ألقاه كل يوم أقضيه فى القاهرة .. وأستطيع أن أتكرر
الأعذار لأذهب الى لقائه بعد الساعة التاسعة .. بعد أن تنتهى
مواعيد العيادة المبجلة .. وأبقى معه للعاشرة .. والحادية عشرة
.. بل انى عودت زوجى على أن يتركنى وحدى فى القاهرة
.. يوما أو يومين .. لأذهب الى هاشم بحرية أكثر ..
ولا أبالى أيضا وأنا راقدة بجانب زوجى .. انه شئ يسلىنى

.. تجلد جسدى فلم يعد يحس بضيق ، ولا بتقزز .. بل
أحيانا كان الزهق يشند بى .. وأدور فى غرفتى كأنى أدور فى
أحد أقفاص حديقة الحيوان .. أريد أى شئ أعمله .. شئ
يلهينى عن نفسى .. فأتصل بزوجى فى مكتبه .. وهو ييقى
فيه طول اليوم حتى الساعة الخامسة .. وأقول له فى دلال وكأنى
العب لعبة مسلية :

— عبد السلام .. تعالى ..
ويقول لى :

— ما اقدرش يا ميتو .. عندى شغل ..
وأقول كأنى أتلوى :

— اخص عليك .. أنا عايزاك ..

ويستسلم المسكين .. وأسرع أنا وأخلع ثيابى كلها .. وأرقد
فى الفراش وأعطى نفسى بالملاءة الخفيفة .. وانتظره وفى عيني
نظرة خبيثة .. ثم أتسلى برؤية عينيه الجاحظتين وهو يكشف
عنى الملاءة .. ولعابه السائل على ذقنه ، وهو يتحسس جسدى
.. وحركاته المضحكة وهو يحاول أن يأخذنى .. أتسلى ..
مجرد تسلية .. لقطع الوقت ..

لقد أصبح جسدى ، لعبتى ..
ولا أبالى ..

ولكن هذا الاحساس باللامبالاة كان ستارا شفافا فوق الأسى ،
والضياح ، والحيرة ، والتفكك الذى أحس به فى دخيلة نفسى
.. وكأن هذا الستار ينزاح أحيانا .. تطيره ذكرى أو فكرة ..

فأرى من ورائه عذابى .. وأبكى ..

كنت أبكى كثيرا فى غرفتى .. وغرفتى هى المكان الوحيد
الذى أملكه فى هذا البيت .. وبالباقى تملكه حماتى .. تركته

والعب بجسدى ..

لعبتى الوحيدة ..

ولكنى مع الأيام ، سئمت اللعبة .. وبدأ ستار اللامبالاة
يتمزق .. وأجد نفسى مضطرة لأن أواجه مشكلتى .. بكل ثقلها
بكل بشاعتها .

وكنت أعلم حل مشكلتى ..

لها .. لم أحاول أن أخذه منها .. كنت ضعيفة الشخصية الى
حد أنى لا أستطيع أن أقف أمام شخصيتها .. أو أن أطالب
بشيء .. كل ما أستطيعه هو أن أبتعد عنها .. وأن تتركنى فى
حالى .. لزهدى .. للأيام الطويلة الفارغة .. و ..

الحل الوحيد .. أن أتزوج هاشم ..

انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجعل منى زوجة كاملة
.. الوحيد الذى يستطيع أن يملأ فراغى .. الوحيد الذى أستطيع
أن أنتظره دون أن أزهدى .. حتى لو ظل فى عيادته شهرا .. و ..
ولكنى حامل ..

يا خرابى ..

ابن من هذا الذى يتسج حياته فى داخلى ..

— [٤] —

كانت مفاجأة لى عندما اكتشفت انى حامل ..

مفاجأة كبيرة ..

ذهلت ..

وكنت أعلم أنه سيأتى اليوم الذى أحمل فيه .. ولكنى كنت

انصور هذا اليوم بعيدا .. بعيدا جدا .. بعد سنتين ..
ثلاث .. أربع سنوات .. والكلمات الكثيرة التى كنت أسممها
وتتمنى لى أن ألد ، وعقبال البكارى .. وعائزين نفرح بالنونو
.. ويا لله هاتى لنا بنت حلوه زى أمها .. كل هذه الكلمات
لم تكن تقرب هذا اليوم فى خيالى .. حتى أحاديث أمى ، ولعة
عينها وهى تسألنى عن حالى كلما التقينا .. ونظرة حماتى
التى تستقبلنى بها كل صباح ، وتتبعها لى وأنا أنتظرشارة
أنوثتى كل شهر .. كل هذا لم يدفعنى الى الاحساس بأنى قد
أحمل فى أى يوم قريب ..

ربما لأنى كنت أعيش فى أزمى .. كنت أعيش عمري
ساعة بساعة .. يوما بيوم .. وكان عقلى .. وكانت أحاسيسى
.. وكان جسدى .. كان كل شىء موزعا بين زوجى وهاشم ..
لا شىء غيرهما يشغل بالى .. أو أفكر فيه .. أو أنتظره ..
وفى علاقتى مع زوجى ومع هاشم ، لم أكن أنتظر أن أحمل
من أحدهما .. هكذا بسرعة ..

كنت أحيانا أخاف .. أخاف من الحمل .. ولكنه كان نوعا
من التدلل أكثر منه خوفا .. وكنت فى هذه الأحيان أدعى أنى
أحتاط .. وأفعل ما تفعله النساء اللاتى يحتطن من الحمل ..
ولكنه كان أيضا نوعا من التظاهر .. التظاهر باستعمال حقوقى
كامرأة فى اشعار رجلها — أو رجلها — بأنوثتها المفتحة للأومة
.. تمامها كما لبست الكعب العالى لأتظاهر بأنى أصبحت بنتا
كبيرة وكما دخنت السجائر فقط لأتظاهر بأنى أصبحت زوجة من
حقها أن تدخن ..

ولكنى كنت أزهدى من هفه الاحتياطات وأكسل عنها ..

خصوصا مع هاشم ..

انى أنصهر معه الى حد أن أنسى كل شيء ، الا اللحظة
التي نعيشها معا ..

وأعتقد أن هذا يحدث لنا جميعا ..

اننا ضعيفات ..

ولولا ضعفنا لما زادت نسبة عمليات الاجهاض الى هذا
الحد .. واغتنى أطباء من وراء ضعفنا ..

ولكنى أيامها لم أكن أحس بأنى ضعيفة .. كنت لا مبالية
.. وكنت لا أصدق أن هذا اليوم سيأتى بهذه السرعة ..

الى أن فوجئت ..

وذهلت ..

وكان أول ما طرأ على ذهنى أن أسأل نفسى .. من الذى
وضع فى داخلى هذا الجنين ..

وتمنيت أن يكون هاشم ، أبا لابنى أو ابنتى .. أبا أزهو به
.. أفخر به .. ويرث عنه ابنى قوة شخصيته ، وذكاءه ،

وأنفه الكبير .. وضحكت ضحكة صامتة وأنا أتصور ابنى وله
أنف كأنف هاشم .. ثم فجأة سقطت ضحكتى منى .. وخفت ..

الى حد أن انزع قلبى .. كيف يكون الجنين لهاشم ، وأنا زوجة
لعبد السلام ..

ولم أتبين ساعتها تفاصيل المشكلة .. ولكنى وجدت نفسى
غارقة فى ضباب أسود كثيف .. تطل مته كلمة الحرام .. وأخاف

على ابنى من الحرام .. أخاف عليه من الله .. ومن الناس ..
ومن الأيام .. أخاف على ابنى لا على نفسى .. ودموعى حائرة

بين رموش عيني ..

ثم .. من خلال هذا الضباب الكثيف انفتحت طاقة رايت
منها أن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو لزوجى عبد السلام .

ولا أدري كيف استطعت أن أتأكد انى حملت من زوجى
لا من هاشم ..

لقد أخذت أتذكر .. وبقدرة خارقة تذكرت جميع الليالى
التي كنت فيها لزوجى خلال الخمسة الأشهر التي مرت على

زواجنا ..

انها لا تتجاوز ست ليال .. سبع ..

وتذكرت كل التفاصيل .. كل أحاسيسى .. كلها .. شئ
عجيب أن أتذكر كل هذه التفاصيل ، وبهذه الدقة ..

وليلة معينة بالذات .. حملت فيها ..

لا أدري كيف تأكدت أن هذه الليلة بالذات هى التي حملت
فيها .. ليست ليلة أخرى .. ولا أدري هل تستطيع كل زوجة

أن تكتشف الساعة التي حملت فيها ..

لا أدري ..

ولكنى تأكدت ..

وازداد تأكدي بمجرد احساس تلقائى ..

الحمد لله .. ان ابنى ابن حلال .. لن أخاف عليه من
الله ، ولا من الناس ولا من الأيام ..

ولكن ..

عندما تأكدت ، واسترحت الى تأكدي بدأت أشعر بنوع من
الندم .. ومن الغيظ .. اغتظت لانى حملت من زوجى عبد السلام

.. كأنه لم يكن يستحق أن أحمل منه .. لم أشعر بهذه الرقة
وهذا التفتح للحياة الوليدة ، الذى تشعر به كل زوجة جديدة

تتلهم على الأمومة .. شعرت أن هناك قيادا ينطلق من بطنى
ليشد وثاقي الى الرجل الذى لا أريده ..

وعدت أتمنى من جديد أن يكون الجنين لهاشم .. وأغمض

عيني وأستريح لهذه الأمنية .. وأبتسم .. ثم يسرح بى خيالى ..
ربما لو تاكد هاشم أن الجنين له ، لطلقتنى من زوجى ،
وتزوجنى .. انه لن يرضى أن ينسب ابنه الى رجل آخر ..
أو على الأقل يعيش مع رجل آخر .. حتى لو كان ابن حرام ..
وترعجنى كلمة الحرام .. أنتفض .. لا ياربى .. لا تجعله
لهاشم .. للحرام .. اجعله للحلال .. لعبد السلام ..

ثم أعود وأهدأ .. وتعاوندى الأحلام .. من أين يتأكد هاشم .
انى حملت منه .. انه لن يتأكد الا اذا ولدت وكان المولود شبيها
له .. أو لزوجى .. ولكن قد لا يكون المولود شبيها له ،
ولا لزوجى .. قد يكون بنتا شبيها لى .. وأعيش طول عمرى
حائرة فيها .. وقد تعقدنى هذه الحيرة .. و ..

وفى لحظات تخبطى .. فى نفس اللحظة التى كنت اعانى
فيها كل هذه الأفكار السوداء .. أبلغت زوجى أنى حامل ..
وفرحت المسكين .. كاد يطير من الفرح .. ووقف أمامى
كالعبيط ، وفرحته تسيل على شفثيه .. لا يدرى ماذا يقول ،
ولا ماذا يفعل لى ..

وفرحت حماتى .. فرحت كأنها أخذت منى شيئا ، كأنها
استردت قيمة المهر والشبكة ..

وفرحت أمى .. جاءت الى السويس ، وأقامت معى أربعة
أيام ، ثم أخذتنى معها الى القاهرة لتعرضنى على طبيب وتزداد
تأكدًا .. فهى لا تثق فى أطباء السويس ..

الوحيدة التى لم تفرح .. أنا .. و ..

ولم أتل شيئا لهاشم ..

ذهبت اليه فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الى القاهرة مع
أمى .. ذهبت اليه باحساس جديد .. غريب .. كنت أحس

انى لست ذاهبة اليه وحدى .. كان معى انسان آخر .. مخلوق
آخر غريب عنى يعيش فى داخلى .. وهذا المخلوق يراقبنى
ويحاسببنى .. ويخاف منى .. ان هاشم لن يأخذنى هذه المرة
وحدى .. انه سياتخذ معى هذا المخلوق الآخر الذى ليس له
ارادة ، الا ارادتى .. فما ذنبه .. انه لا يحب هاشم كما أحبه
.. ولا يريد هاشم كما أريده .. فما ذنبه ..

وعقدنى هذا الاحساس ..

وربما لاحظ هاشم الخطوط العميقة التى رسمتها مشكلتى
فوق جبينى .. فقد سألنى بمجرد أن جلست بجانبه :

— مالك ..

قلت وأنا أفر كل أنفاسى :

— ولا حاجة ..

قال ملهوفًا :

— مش ممكن .. انتى مش زى عوايدك .. عمرى ما شفتك
مبوزه للدرجه دى .

قلت وأنا ألقى عيني فى راحة يدى :

— متضايقه ..

قال فى بساطة :

— من ايه .. حصلت حاجه جديده ..

ورفعت عيني اليه وقلت فى حدة :

— يعنى ضرورى تحصل حاجه جديده علشان أتضايق .
مش كفايه اللى أنا فيه ..

ومال بظهره على مسند الأريكة .. وتنفس فى ضيق ..

كأنى أفسدت متعته .. وأقلقت راحته .. وسكت .. لم يرد
على ...

وبقيت ساكنة معه برهة ، ثم رفعت رأسي إليه ، وعلقت
عيني بعينية وقلت كائى أستغيث به :

— هاشم .. أنا لازم أطلق .. أنا حاتجنن .. مش طايقه
جوزى .. مش طايقاه .. قرفانه منه .. وقرفانه من نفسى
.. وقرفانه من عيشتى .. لو ما اطلقتش حانتحر ..

واطلت نظرة حنان من تحت جفنيه المنتفختين ، وقال وهو
يمسح بيده على شعري :

— ما تبقيش مجبونة .. لو كل واحدة متضايقه بن جوزها
طلقته .. ولو كل واحد متضايق من مراته طلقها .. ما كانش
النهاده فيه حد متجوز .. الطلاق مش سهل .. الطلاق حاجه
كبيرة .. الطلاق يعنى بيت اتهد .. وانتي لسه ما لحتيش
تتجوزى .. لسه ما حاولتيش كفايه .. يمكن لو حاولت أكثر من
كده تقدرى تعيشى معاه ..

انه يحدثنى كائى امرأة غريبة عنه .. كأنه ليس أصل
شقاى ومصيبتى .. ينصحنى كما تنصح امينة السعيد قارئاتها .
ونظرت اليه فى لوم .. أكثر من لوم .. وقلت فى حدة :

— أنا مش متضايقه منه وبس .. أنا باحب واحد تانى
غيره .. نسيت ! ؟

وابعد يده التى يمسح بها على شعري وأدار وجهه عنى .
وقال فى صوت صارم :

— يبقى تسيبى التانى .. أهون من الطلاق ..

واتسعت عيناى وامتلاتا بالدهشة والالام ، وشهقت :

— انت تقدر تسيبى يا هاشم .

وقال فى برود :

— أنا ما اقدرش اسيبك . لأن ما فيش سبب يخلينى اسيبك
.. انما انتى تقدرى تسيبىنى الآن عندك سبب تسيبىنى علشانته
.. لو كان لازم تختارى بين بيتك وبينى .. يبقى لازم تختارى
البيت .. لأن مالكىش مستقبل معايا ..
هكذا قالها بكل صراحة ..

ورفعت رأسي كائى أحاول أن أحتفظ بكرامتى ، وقلت وأنا
أحاول أن أنظر اليه نظرة ساخرة :

— على كل حال أنا لو اطلقت مش حا اطلق علشانك .
حا اطلق لأنى مش طايقه الرجل اللى اتجوزته .. ومش طايقه
أعرفك وأنا متجوزه .. وأنا مش خايفه من المستقبل .. أنا
لسه صغيره وحلوه .. ألف راجل يتمنوا يتجوزونى .. وأى
واحد فيهم أحسن من اللى أنا متجوزاه ..

ولم يرد على ..

قام من جانبي واتجه الى مكتبة صغيرة معلقة فى الحائط ،
وأخذ يقلب فى بعض المجلات الطبية ..

واستطردت قائلة وأنا أكاد أخنقه بعينى :

— أنا اللى مخلينى أعرفك لغاية دلوقت انى متجوزه الرجل
ده .. يمكن لو اتجوزت واحد تانى يقدر يخلينى اسيبك ..

ولم يرد على ايضا ..

واضطرتت أن أسكت .. وعاودى الاحساس مرة ثانية
انى لست وحدى .. معى انسان آخر فى بطنى .. وخيل الى
انى أسأل هذا الانسان رايه .. أستشيريه .. أطلب منه أن
يعاوننى .. يمنحنى قوة تحفظ لى كرامتى ، وتشد أراذلى ..
وعيناى منكستان كائى أنظر بهما فى داخلى الى الانسان الآخر ..
ومشكلتى كلها لا تزال مرتسمة فى خطوط عميقة محفورة فوق

جيبني .. وصدرى يضيق بانفاسي .. رثاى كأنهما منفاخ ينفخ
الدموع الى عيني .. ولكي لا أبكى ..

ولم يلحظ هاشم ان فى داخلى انسانا آخر .. ان بطنى
لم ينتفخ الى حد ان يلحظه احد ..

ولكنه التفت الى بعد فترة طويلة ، وقال وهو يطوى المجلة
الطبية ويلقى بها فى المكتبة :

— احنا بنتخانق على ايه دلوقت ؟

قلت فى يأس :

— مش عارفه ؟

قال :

— طيب زعلانه منى ليه ؟

قلت وأنا أشد ياسا :

— مش زعلانه ..

وجاء وجلس بجانبى ، وقال وهو يدس أصابعه فى خيوط
شعرى ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة :

— انتى مجنونه ..

ثم قرب شفتيه من شفتى ..

وأشحت عنه بوجهى بسرعة وعنف ..

لا أريده ان يقبلنى ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال وهو يضع ذراعه فوق كفتى :

— مش عايزه تبوسينى ؟

قلت :

— سيبنى يا هاشم من فضلك .. أنا متضايقه ..

ثم انتفضت من جانبه ، وقمت واقفة فى منتصف الغرفة .

ولحق بى ونظر الى كأنه يحاول ان يكتشف سرى ، ثم أحاطنى

بذراعيه وجذبنى بقوة الى صدره ، وهو يقول :

— ما تبقيش مجنونه .. انتى عمرك ما حاتضايقى منى ..

ثم سقط بشفتيه فوق شفتى .. يقبلنى هذه القبلة العنيفة

التي أعرفها جيدا عندما يريد ان ينتهى منى بسرعة ليلحق موعد

العيادة ..

ونزعت شفتى من بين شفتيه بالقوة .. وتركت قبلته تسقط

على كفتى فى عصبية كائى اصرخ ، وأنا احاول ان أنخلص من

بين ذراعيه :

— مش قادره يا هاشم .. سيبنى .. سيبنى .. مش

قادره أبدا ..

وكنت فعلا لا أستطيع ..

ربما لأول مرة أشعر أننى لا اطيق قبلة هاشم ..

ورفع رأسه النائم فوق عنقى ... ونظر الى والدهشة تملأ

عينيه .. ثم أفلتنى من بين ذراعيه .. ووقف أمامى وعلى شفتيه

ابتسامة فاترة .. لا مبالية .. كأنه يحاول ان يقنعنى بأنه لم

يخسر شيئا كبيرا .. ولا يهتم ..

وساويت شعرى بيدي .. وساويت ثوبى ، وقلت وأنا

لا أنظر اليه :

— أنا لازم أنزل بأه ..

ولم يرد ..

ظل واقفا مكانه وعلى شفتيه نفس الابتسامة ..

وتقدمت نحو الباب ..

وهو لا يزال واقفا مكانه ..

ووضعت يدي فوق مقبض الباب ..



وهو لا يزال مكانه .. لا ينطق .
وترددت قليلا .. ثم عدت اليه ، وقبلته قبلة سريعة فوق
خده .. وقلت وأنا اعود ناحية الباب :

— ما تزعلش منى .. حابقى اضربك .

وسمعه يقول :

— مع السلامة ..

وخرجت ..

وعلى شفتى ابتسامة صغيرة .. كنت سعيدة لانى قاومته
.. الانى لأول مرة لم اعطه ما يريد .. وكنت انظر الى الانسان
الذى فى داخلى كانى اتباهى امامه بقوة ارادتى ..

وركبت سيارة اجرة ، وأنا أفكر فى .. الطلاق ..

نعم .. الطلاق ..

وكنت وأنا أفكر فى الطلاق أشعر كانى اتحدى هاشم .. انى
لا اريد الطلاق فقط لانى لا أطيق زوجى .. ولا لانى أخونه ..
ولكن لأنحدى هاشم .. لأقنعه بانى سأطلق حتى لو لم يعدنى
بالزواج .. لأقنعه انى لست فى حاجة الى وعد منه ، حتى
أطلق ..

وشعرت برجفة وفكرة الطلاق تلح على .. ولكن هذه
الرجفة لم تحل دون استمرارى فى التفكير .. كنت أحس بخطورة
ما أفكر فيه .. ولكن احساسى بالخطورة يسوقنى امامه ..
لا أستطيع أن أنظر خلفى .. انى منساقه بكل عقلى الى التفكير
فى الطلاق ..

ووصلت الى البيت ، واستقبلنى زوج امى مهلا ، واحتضنى
بين ذراعيه وقبلنى فوق جبيني ، وهو يقول بلهجته العسكرية :

— والله كبرت يا ميتو .. وحاتخلفى ..

انه يحبني منذ تزوجت .. لانه لم يعد مسؤولا عنى ..
واستقبلتني اُمى فى لهفة ، وهى تصيح :
— أتأخرت كده ليه يا ميتو .. ما فيش نزول البلد اليومين
دول .. لازم تستريحى فى السرير على طول ..
واخوتى الصغار يلعبون حولى ، وأنا لا أراهم الا كخيال .
وكلام كثير بقال ، لى ولا أسمعه ..
انى أفكر فى الطلاق ..
لا أستطيع أن اكف عن التفكير فيه .. وكلما اصطدم تفكيرى
بعقبة ، بررتها لنفسى ..

كنت أقول لنفسى .. كيف اطلب الطلاق ، وأنا حامل ..
فترد نفسى قائلة .. هذا أفضل بدل أن يولد الطفل ليعيش
مع أم خائفة وأب مخدوع .. انك تطلين الطلاق من أجل طفلك .
وكنت أقول لنفسى .. الأفضل أن انتظر الى أن يولد الطفل
.. فترد نفسى قائلة .. أبدا .. الآن أفضل .. حتى لا يقيدك
الطفل فى مسعى الطلاق ..

ولم يكن تفكيرى فى الجنين الذى أحمله هو كل ما يخطر
لى وأنا مستسلمة لتفكيرى فى الطلاق ..

أبدا .. كان الجنين آخر ما أفكر فيه .. كان فى بطنى ،
ولكنى لم أكن فى هذه السن أستطيع أن أقدر خطورة ما أنا
مقدمة عليه بالنسبة له .. ولا أن أقدر قيمة عواطفى نحوه ..
كان كل تفكيرى فى هاشم ..

كانت المقارنة بينه وبين زوجى ، تشعرنى بالفارق الكبير
بينهما .. فى المركز .. فى المظهر .. فى الشخصية .. فى
الرجولة .. فى كل شيء .. فاذا كنت أستطيع أن يكون لى رجل
مثل هاشم ، فلماذا أتزوج رجلا كعبد السلام .. واذا كنت قد

تزوجته فلماذا أستسلم لقدرى .. لماذا لا اغامر .. انى صغيره
.. وحلوة .. وفى عمرى متسع للمغامرة ..

وكنت مغرورة ..
حبنى لهاشم ملائى غرورا ، وقوة ..

ولم أكن أعرف انى مغرورة ..

ولكنى كنت أعرف انى قوية ..

ولكن ..

كيف أطلق .. كيف أجبر زوجى الذى يحبني على طلاقى ..
أن يطلقنى بلا سبب .. ثم كيف أقتع عائلتى بالطلاق ؟
لا أدرى ..

ولكن لا بد أن هناك وسيلة ما ..

واتصل بى زوجى بعد يومين من السويس وطلب منى أن
أعود اليه .. ولكنى رفضت .. قلت له انى تعبانة .. ولن أحتمل
السفر الى السويس ورجة السيارة طول الطريق . وصدقتنى
المسكين الملهوف على الجنين الذى فى بطنى .. وصدقتنى اُمى
.. ولم أذهب اليه .

ذهبت الى هاشم ..

وفى هذه المرة لم أستطع أن أقاومه .. كنت فى حاجة اليه
.. كنت فى حاجة الى شيء عنيف يلهينى .. شيء أعنف من
أفكارى .. وأعنف من هذا المخلوق الذى يعيش فى داخلى ..
وكان هاشم يستطيع دائما أن يكون أعنف من كل شيء .. ولكنه
عندما هم أن يضربنى فى هذه المرة ، كما عودنى .. قلت له
فى توصل :

— لا .. ماتضربنيش .. علشان خاطرى ..

كأنى كنت أريد أن احتفظ بشيء من أجل هذا المخلوق الذى

يعيش فى داخلى .. كنت أريد أن ابدو أمامه محترمة ..

ولكن هاشم ضربنى ..

ونسيت كل شىء ..

عشت فى كل لحظات الجنون ..

ثم أفقت ..

وأفاق مسترخيا بجانبى ..

وعندما أفقت ، أفقت معى كل أفكارى دفعة واحدة ..
وأدرت رأسى بعيدا عنه .. أفكر .. أفكر ..

واستدار لى بعد برهة ، وعاد وأخذنى بين ذراعيه .. فى
رقعة .. وهدهوء .. وقال فى صوت حنون صاف .. وأنفاسه
منتظمة كخريف الجدول العذب :

— أنا باحبك قوى يا أمينه ..

ورفعت اليه عيني فى نظرة سريعة .. كانت المرة الأولى التى
ينطق فيها هذه الكلمة .. أحبك .. وقالها فى صدق .. وعمق ..
كل خلجة من وجهه تقولها .. وصدقته .. وعندما صدقته ،
انفتح أمامى طريق مفروش بالورد .. طريق ينطلق النور على
جانبيه ..

ودسست وجهى فى عنقه ، وضغطته الى صدرى .. الى
قلبى .. بكل حنانى .. بكل ما أملكه من طاعة عاطفية ..
وهيمست ، وهيمستى تقفز فوق شلال عواطفى :

— وأنا كمان يا هاشم .. باحبك قوى .. قوى ..

واستراح كل منا فى صدر الآخر .. وفوق ثغرينا ابتسامتان
هادئتان كفراشتين نامتا على أوراق الورد ..

وعدت أفكر .. وفى تفكيرى حلاوة .. وهدهوء .. كأنفاسه

وأنفاسى .. ووجدت نفسى أقول له رغم ارادتى ، وكأنى لم اعد
احتمل أن أخفى عنه شيئا :

— هاشم .. أنا حامل ..

وقفز رأسه من فوق الوسادة ، وقال وقد اضطرب صوته
وضاع منه الحنان :

— بتقولى ايه ؟

وأدرت رأسى اليه ، وقلت وعيني فوق أنفه الكبير :

— أنا حامل ..

قال كأنه انزعج :

— بتتكلمى جد ؟

وهزرت رموش عيني بالإيجاب ..

قال وهو أشد انزعاجا .

— من امتى ؟

قلت :

— فى التانى ..

قال فى غيظ :

— أما مجنونة صحيح ..

ونظر فى عيني صامتا .. كأنه ينتظر منى شيئا أقوله ..
وفى نظرانه شىء غريب .. كأنه يتحفز للدفاع عن نفسه .

ولم أقل شيئا ..

وأراح رأسه على الوسادة .. ولمحت سحابة من الحيرة تمر
على وجهه .. وتمتم فى صوت خفيض :

— ومالك مستعجله كده ؟

قلت وأنا انظر اليه سعيدة بحيرته :

— يعنى كنت عايزنى أعمل ايه ؟

قال :

— كان لازم تحتاطى .. انت لسه ما بقالكيش خمس شهور متجوزه .. لسه ما ستقرتيش فى جوازك .. كان لازم تستنى لغاية ما تستقرى .. لغاية ما تنظمى عيشتك ، لغاية ما تبنى حياة كويسة لابنك .. مش معقول انك من يومين تقولى انك عايزه تتطلقى .. والنهارده تقولى انك حامل ..

ونظر كل منا فى عينى الآخر .. وفى عيوننا تساؤل لا نريد أن نفسح عنه .. والحيرة تكسو وجهه .. وسعادتى بحيرته تزداد .. وكنت سبب حيرته .. وكان يحس انى أعلم سبب هذه الحيرة .. انه يريد أن يسألنى ممن حملت .. ولكنه لا يستطيع أن يفصح عن سؤاله .. وأنا لا اجيبه ولا اريحه .. وقلت وأنا ادعى الغضب :

— واشمعى أنا اللى احتاط ..

ونزع ذراعه من تحت رأسى ، واعتدل جالسا فوق السرير وقال وعيناه ضائعتان فى فراغ الغرفة :

— علشان انتى اللى بتحلى .. الراجل ما بيجبلش .. والمشكلة مشكلتك .. مش مشكلة جوزك ..

وقفز من جانبى ، وبدأ يرتدى ثيابه ..

ونظرت اليه فى عتاب .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش نصف عارية .. كان قاسيا فى كلمته .. وقاسيا عندما ذكر زوجى .. لا يمكن أن يكون زوجى وحده هو المسؤول ..

والتفت الى وهو واقف أمام المرأة .. يشد رباط عنقه .. وقميصه مهدل فوق ساقيه العاريتين .. وحاجباه معقودان فوق عينيه .. وهم أن يتكلم .. على طرف لسانه سؤال أعرقه جيدا .. ولكنه لم يتكلم ..

ولا أنا ..

ولا ادرى لماذا لا نستطيع ان نواجه الموضوع ببساطة .. ربما لان كلينا يحترم المخلوق الذى يتكون فى داخلى .. ويخاف عليه .. يخاف عليه من كلمة الحرام ..

واكمل ارتداء ثيابه .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش .. وخطا نحوى وعلى شفقيه ابتسامة لا مبالية يحاول أن يبدد بها أفكاره .. مخاوفه وحيرته ..

وجلس بجانب جسدى على حافة الفراش وقال وهو يمسخ يده على كتفى العارية ، ويتسّم لى ابتسامة كبيرة تهتز بحيرته :

— أنا مضطر أنزل قبلك .. تأخرت على العيادة ..

وكنت أعلم أن فى وقته متسعا لينتظرنى الى ان أردى ثيابى ، وأذهب قبله .. ولكنى كنت أحس بما يعانى به .. كنت أحس بحيرته ، وقلقه ، وحاجته الى أن يخلو بنفسه .. ليفكر .. وأنا أيضا كنت فى حاجة لأن أخلو بنفسى لأفكر .. فهزرت رأسى وأفاقه على أن يتركى قبل أن أتركه ..

وعاد يقول فى حنان مهتز .. كأنه حنان مفتعل :

— مين الدكتور اللى شافك ؟

قلت وأنا ابتسم فى خفر ، كأنى أحسست ساعتها ان ليس من حق طبيب غيره أن يرانى :

— الدكتور صادق فوده ..

قال :

— مدهش .. ده استاذ كبير ..

ثم انحنى وقبلنى قبله سريعة على خدى .. ورفع رأسه .. وظل برهة ينظر الى بعينين مشفقتين كأنه يواسينى فى

مشكلتى .. ثم عاد الى برأسه وقبلنى فوق شفتى .. قبله طويلة هادئة ..

وقام من جانبي قائلاً :

— خدى بالك من نفسك .. وكلمينى بالليل فى التليفون ..
بعد العيادة .. حاستناكى ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة أقبل بها أنفه الكبير ..
وخرج ..

وتركنى أفكر .. وتفكيرى يفتح لى أبوابا كبيرة من الأمل ..
ويصل بى الى قمم عالية من السعادة .. أنه يحبني ..
أنا متأكدة اليوم أكثر من أى يوم مضى من أنه يحبني .. حب
أستطيع أن أضع فوقه كل حياتى .. أن أغامر بكل عمري ..
أن أطلق زوجى ..

وقلت لنفسى .. ربما كانت مشكلتى مع هاشم أنه عرفنى
وأنا متزوجة .. لو أنه عرفنى قبل أن أتزوج .. وأحبني كل
هذا الحب .. فمن يدري .. ربما كان قد تزوجنى .. كل
ما احتاج اليه اليوم أعرفه وأنا حرة ..

أحمله كل مسؤوليتى ..

أملأ عليه كل حياتى ..

وبعدها .. سيتزوجنى ..

ولكنه لا يريد الزواج .. أنه يقول انه لم يقرر ان يتزوج
.. ولا يهيك يا بت .. أنه كلام يقوله كل الرجال .. أنه غرور
الرجل الذى تغذى على تهافت البنات عليه بلا مقابل .. بلا زواج
.. ولكن فى لحظة ما .. تثور شهامة الرجل .. ويضعف أمام
حبه .. ويضيق بالتشرد .. ويتزوج .. وأنا فى انتظار هذه
اللحظة ..

بل يجب أن أسعى الى هذه اللحظة ، وأن أضع خطة للوصول
اليها .. وأنا ذكية .. أستطيع أن أعتد على ذكائى . وجمالى
.. وحب ..

ولكن ..

أولا ..

كيف أستطيع أن أتخلص من هذا الزوج .. المسكين ..
لا أدري ..

لا أدري الا اننى يجب أن أحاول .. وأحاول كل شيء ..
وقمت من الفراش ، ودرت فى أنحاء الشقة وأنا بمقيصى
الداخلى ، وقدمائى حافيتان .. وعينائى تقبلان الجدران .. وقطع
الاثاث .. وأشعر بقوة غريبة .. قوة تملؤنى ثقة فى نفسى ،
وتحررنى من شخصيتى الضعيفة .. أصبحت قادره على كل
شيء .. نسيت لحظات الضعف التى تمر بى .. لن أكون أبدا
ضعيفة بعد اليوم ..

وابتسمت للجدران وقطع الأثاث .. كائى أودعها .. اننى
لا أستطيع أن أقيم فى هذه الشقة بعد أن أتزوج هاشم .. أنها
صغيرة .. لا تليق بالدكتور هاشم ، ولا بحرم الدكتور هاشم ..
ثم من أدراى بالنساء اللاتى جنن قبلنى الى هذه الشقة .. بل
ربما لا يزال هناك نساء يجنن الى اليوم وأنا هناك مرمية فى
السويس .. ولسعنى صاروخ من الغيرة .. ولكنى ابتسمت
لنفسى أطمئنها .. ابتسامة قوية أتوعد بها كل النساء اللاتى
يلاحقن هاشم .. وجرى خيالى يبحث عن شقة أخرى واسعة ..
مطلة على النيل .. فى عمارة لبيتون .. وأطعم أوبيسون ..
وسرير « كابتونيه » .. والجدران فى لون الورد ..

وبدأت ارتدى ثيابى ، وأنا طائرة على أجنحة خيالى ..

وابتسمت فى سعادة .. وخبث ..
وانتهى حديثنا على لقاء فى الغد ..
وزوج أمى يشخط فى أولاده ..
وأمى تصلى صلاة العشاء ..
ورفعت رأسى فى ابتهاج ..
يارب .. الطلاق ..

- ٥ -

عندما تريد المرأة ، تستطيع دائما أن تفعل ما تريد .. لا شئ
يستطيع أن يصدها .. لا شئ يستطيع أن يقهرها .. الا الزمن .
وقد فعلت فى حياتى كل ما أردته .. لم يستطع أحد أن يقف
فى طريقى .. ذبحت كل من حاول أن يصدنى أو يعدل رأسى ..
وكل الذين ذبحتهم ناس أحبونى .. أعطونى قلوبهم فشققتها
بسكين من شهواتى .. وخضت فوق جراحهم .. الى أن وجدت
فى آخر الطريق صخرة هائلة .. مخيفة .. فظيعة .. اسمها
الزمن .. يقف فوقها هاشم كالشبح .. لا أستطيع أن أمسك
به .. لا أستطيع أن أتاله .. لا أستطيع أن أذبحه ..
وكل الذين ذبحتهم ، لم أتعهد أن أذبحهم .. لم أتمن ذبحهم
.. فقط ذبحتهم لأثيق طريقى .. الوحيد الذى تمنيت ذبحه هو
هاشم .. تمنيت أن أمزق لحمه قطعاً صغيرة ، وأرميها للكلاب
.. ولم أستطع .. انه لا يزال واقفاً هناك .. كالشبح ..
أراه وأنا مفتحة العينين ، وأراه وأنا مغمضة العينين ، وأمد
يدى لأخنقه ، فأسمع ضحكته الساخرة ..

وغدت الى البيت ..
هائمة ..

وزوج أمى فرح بى ..
بالجنين ..

وأمى تعود وتوصينى بأن استريح فى السرير رحمة
بالجنين ..
واخوتى الصغار يلعبون حولى وأراهم كالخيال ..
وأفكر فى هاشم ..
وفى الساعة التاسعة كلمته فى التليفون .. وسمعت صوته
يقول مبتسماً :

— تانى مره ما تشغليش مخى للدرجه دى .. النهارده
ما عرفتش أشتغل خالص .. العيان اللى كنت باكتشف عليه نص
ساعه .. خد منى ساعه ..
الى هذه الدرجة يحبنى ..
أصبحت مشكلتى مشكلته ..
وقلت فى دلال :
— أنا شغلتك بأيه يا هاشم ..
وقال وأنا أرى ابتسامته فى خيالى :
— مش عارف .. أما نتقابل أبقى أقولك ..
وتحدثنا طويلاً ..

الأول مرة يطول حديثنا الى هذا الحد ، ولا يتلهف للذهاب
الى أصدقائه بعد انتهاء عيادته ، كما عودنى ..
شئ جديد ..
كل هذا الحب .. وكل هذا الاهتمام ..
ربما اعتقد أن الجنين له ..

و .. ولكن ..

لماذا أقول هذا الكلام الآن وأنا لا زلت في بداية قصتي ..
ربما لأنى وأنا في البداية تطل على النهاية .. ربما لأنى أعيش
في النهاية ، بينما البداية لم تعد سوى ذكرى .. ذكرى أيام
مهما امتلأت بالدموع الا أن فيها حلاوة .. حلاوة شبابى ..
وحلاوة الأمل .. وحلاوة ثقنى في نفسى .. وحلاوة نصف الحقيقة
التي نراها في شبابنا .. ثم نكبر .. ونكبر .. وكلما كبرنا كبر
ما نراه من الحقيقة ، الى أن نراها كلها .. ونصف الحقيقة أجمل
وأروع من الحقيقة كلها .. الحقيقة كالقمر .. نصفه منير رائع ،
ونصفه الآخر مظلم مخيف ..

انى أعيش الآن في التصف المظلم المخيف ..

وكنت أعيش في النصف المنير وأنا أفكر في الطلاق من زوجى
.. وكان النور الذى يشع من حولى .. نور الزهو بنفسى ، ونور
افتتاني بجمالى وشبابى .. يخفى عنى بشاعة تفكيرى .. يخفى
عنى حتى احساسى بالأمومة التى تتحرك في أحشائى ..

ولم يكن هناك سبب للطلاق الا انى اريده .. لم يكن زواجى
يحول دون لقائى بهاشم .. ولم يعدنى هاشم بالزواج حتى أطلق
من أجل مستقبل أفضل .. ثم .. فى بطنى جنين .. وزوجى
يحبنى ..

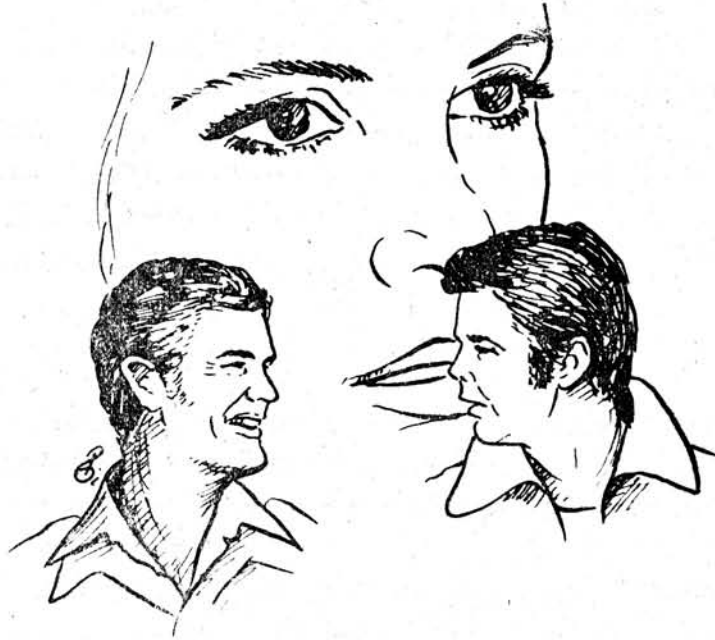
ولكنى أريد الطلاق ..

وكان يجب أن أخلق سببا ..

لا لأقنع به نفسى ..

انى لست فى حاجة الى اقناع نفسى .. يكفى اننى لا احب
زوجى .. ولكن .. لأقنع به أمى ..

وقد أقمت فى بيت أمى شهرا .. وكل يوم يتصل بى زوجى



فى التليفون ويلج على ان اذهب اليه .. فارفض محتجة بمرضى .
وخوفى على الجنين .. ويأتى الى القاهرة كل أسبوع ، ولا يكاد
يصل حتى يجدىنى فى السرير .. مدعية المرض .. ويجلس
بجانبي وهو ينظر الى بعينين ملهوفتين ، فأروى له كل ما أعرفه
عن تفاصيل فترة الوحم .. وأنا لم أتوحم .. لم أشعر بشيء
من كل ما سمعته .. لم تنقلب معدتى ، ولم اشته شيئا آكله ..
ولا كانت تضايقتى رائحة الدخان .. لا شيء أبدا .. كأننى
لست حاملا .. كنت فقط أدعى كل ذلك كلما جاء زوجى الى
القاهرة .. الى حد أنى حرمت عليه ان ينام بجانبى ، أو يقبلنى ،
بحجة انى لا أطيق رائحته .. من الوحم .. ويرضح المسكين
لأوامرى ، ويبتسم قائلا :

— ده بابن عليه طالع واد متعب .. زى امه !

فأقول لأخفف عنه :

— زى أبوه !

ويمتلئ غرورا ، وينفث صدره كالديك الرومى ، كأنه
يرى ابنه ، ويراه شبيها له .. ثم ينصرف لينام فى أحد الفنادق .
فلم يكن فى بيت أمى سرير ينام فيه الا سريرى .. وأنا أحرمه
من سريرى .. المسكين ..

وقد لاحظت أمى مغالاتى فى التدلل على زوجى . ولاحظت
قسوتى فى معاملته .. ولحظت انى أخرج كل يوم تقريبا .
كلما عاد زوجى الى السويس ، وأبقى فى البيت كلما جاء الى
القاهرة .. وبدأت تشك فى الأسباب التى أدعيها لأبقى فى
بيتها ..

ولكنها لم تتكلم .. أو أنها تتكلم بعينها فقط .. تنظر الى
بعينين ثابتتين كأنها تحاول أن تكتشف سرى .. وخفت من عينها

.. وبدأت أنتقل الى فصل ثان من المسرحية التى أمثلها .. بدأت
أدعى الوجود .. والشroud .. وأبقى فى غرفتى دائما .. وحيدة
.. وكلما دخلت على أمى وجدتنى ساهمة .. أتهد .. كأنى على
وشك البكاء ..

وتنظر الى وتسكت .. وعيناها تثقبان صدرى تحاولان أن
تكتشفا سرى ..

وفى يوم عدت من لقاء هاشم ، ووضعت على وجهى قناع
الوجود والزهو قبل أن أدخل البيت .. وأسرعت الى غرفتى .
وخلعت ثيابى ، وجلست فى سريرى ورأسى بين يدى .. كأنى
أتالم .

وتركتنى أمى فترة طويلة ، ثم جاءت الى وجلست بجانبى .
وقالت وكلماتها تخرج من تحت أسنانها كأنها تحاول أن تضغط
على نفسها حتى لا تصرخ :

— مالك يا ميتو ..

وقلت وأنا لا أنظر اليها :

— ولا حاجه يا ماما ..

وسكتت برهة ، ثم قالت وصوتها يرتعش :

— تسمى تقوللى أنتى بتروحي فين كل يوم والتانى ؟ .

قلت :

— ولا حته .. بامشى .. بأفضل أمشى من غير ما اعرف
أنا رايحه فين ..

ثم رفعت عيني اليها واستطردت كأنى أصرخ :

— من زهقى يا ماما .. أنتى مش عارفه فى ايه .. عمرك
ما سألتى نفسك بننى بنحس بايه .. عمرك ما سألتى نفسك
إذا كنت انا سعيدة ولا بانسه .. خلاص .. جوزتىنى ورميتينى

.. ما بقتش اهمك .. زى ما اكون كنت بلوه وانزاحت من عليكى ..

وارتسم الجزع على وجه امى وقالت فى لهفة :

— ايه بس اللي حصل يا ميتو ..

قلت وقد بدأت احس بعينى تحرقانى من شدة ضغطى عليهما حتى ابكى :

— اللي حصل ، حصل من زمان ، من يوم ما جوزيتى ما تتصوريش انا متعذبة اد ايه يا ماما .. خلاص مش قادره استحمل .. مش قادره اعيش معاه .. مش طايقاه .. مش طايقاه ولا يوم زياده ..

وشهقت امى وهى تخبط بيدها على صدرها :

— ده كلام حد يقوله يا بنتى ..

وأفلحت فى استدرار دموعى ، ورميت نفسى فوق صدرها ، وقلت وانا أنشج :

— خلصينى يا ماما .. وحياتى عندك تخلصينى .. زى ما رميتينى انقذينى .

وأزاحتنى امى من على صدرها ، وقالت وهى تنظر فى وجهى :

— انا مش فاهمه حاجه ابدأ .. احكىلى .. خلىنى افهم .

قلت وانا ابحث عن منديل لاجفف دموعى :

— كان لازم تفهمى من زمان .. جوزيتى واحد اكبر منى بعشرين سنه .. وشكله وحش .. وبلدى .. ودمه ثقيل .. وريحة بقة سمك ويطارخ .. و ..

وقاطعتنى امى قائللة :

— هو انا جوزته لك من غير ما تشوفيه .. ما قلتيش الكلام ده من الاول ليه ..

قلت فى حدة :

— كنت صغيره .. وكنت باسمع كلامك .. يعنى الحق على اللى سمعت كلامك ..

قالت :

— بس الراجل ما يتعيش بشكله .. وما كئاش شمينا ريحة بقة ..

قلت صارخة :

— مش بس شكله .. ده راجل نتن .. يقرف ..

ما بيستحمش الا مره كل شهر .. وما بنعرفش نتكلم انا وهو كلمتين على بعض .. وامه .. عمرك ما سالتينى حماتى عامله معايا ايه .. تصورى يا ماما انها قافله على كل حاجة فى البيت بالمفتاح .. لو حبيت اطلع حتة جينه من الفريجدير لازم استأذنها .. ما اطلبش حاجه من السفرجى الا لما يروح يقول لها .. بتعاملنى زى ما اكون كلبه فى البيت ، بتوكلها وتلبسها علشان يلعب بيها ابنها .. و ..

وعادت امى تقاطعنى :

— بكره الفيلا تخلص ، وتقعدى فيها لوحدك .. وتستريحى من خلقة حماتك .

وعدت اصرخ وانا اضرب وسائد السرير بقبضة يدي :

— وايه عرفنى انها مش حاتيجى تقعد معايا ..

وقالت امى فى لهجة حازمة :

— ما تقدرش .. فى الحالة دى انا اللى حاتكلم ..

قلت وقد عادت دموعى تنهمر :

— حتى لو تعسدت لوحدي .. مش حاقدر .. انتي
ما تتصوريش يا ماما انا عايشه فى السويس ازاي .. عايشه
مسجونة فى اوده واحده .. ما بقدرش أخرج من اودتى لغاية
الصالة .. باحس انى تهت .. باحس انى غريبه .. وكل أهل
السويس بيكرهونى .. وانا باكرهم .. من أول ما رحنت هناك
وانا بافكر فى الطلاق ..

واتسعت عينا امي كأنها ذعرت ، وقالت فى صوت منفعل :

— ما تجيبيش الكلمه دى على لسانك .. وما تنسفش انك
حامل .. بدل ما تفكرى فى الطلاق ، فكرى فى البنت ولا الولد
اللى جاتجيبه .. واستحملى علشان خاطره ..

ونظرت اليها بكل عيني وقلت كأنى اتحداها :

— واشمعى انتي ما استحملتيش علشان خاطرى ..
اشمعى انتي اتطلقتى من بابا .

ولم تستطع امي أن تواجه عيني .. نكست عينيها ، وقالت
فى صوت حزين متهدج :

— انا استحملت كثير علشان خاطرك يا بنتى .. استحملت
ثلاث سنين .. وكنت مستعدة استحمل أكثر ..
قلت ببجاجة :

— وعمايزانى استحمل انا كمان ثلاث سنين وبعدين أطلق ..
طيب ما اطلق من دلوقتى أحسن .. والحق أتجوز جوازَه عدله ..
وقالت فى صوت خفيض :

— ابوكى ما كانش زى عبد السلام ..

وارتفع صوتى كأنى اذافع عن أبى :

— على الأقل أبويا بنى آدم .. راجل شكله حلو وبيفهم ..
انها انتي مجوزانى حيوان ..

وقامت امي من جانبى ، كأنها لدغت ، وقالت وهى تخرج من
غرفنى :

— أنتي عصبية اليومين دول يا ميتو ، بعدين نبقى نتكلم ..

وخرجت وانا انتظر خلفها بعينين ملؤهما التصميم ..

لقد أعلنت الحرب ..

ويجب أن أستمر فيها ..

الحرب فى سبيل الطلاق ..

وشعرت بثقل هذه الحرب على صدرى .. وطريق التحدى
العنيف والتصميم الاعمى يمتد امامى .. ورأسى كخليفة النحل ..
يملؤه الطنبن .. كلمات وصور تقفز فى خيالى وأحاول أن أمسك
بها لأعد مشهدا بينى وبين زوجى ، أو بينى وبين امي ..
فلا أستطيع ..

وتعبت .. تعبت أعصابى .. وقيمت لأحداث هاشم فى
التليفون لعله يريحنى .. لعله يسكت هذا الطنين فى رأسى .. انه
الوحيد الذى أستطيع أن أجا إليه فى هذه الأيام .. أجا إليه
بكل أفكارى ، وكل أحاسيسى .. وهو الوحيد الذى يجب أن
يقف بجانبى فى أزمى .. انى أفعل كل ذلك من أجله .. ولانى
أحبه .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه كعادته .. وكان على
موعد مع أصدقائه بعد العيادة .. فألقى الى بكلمتين سريعتين ،
كأنه يلقي بقطعة عظم الى كلبه المدلل ، وتركنى بعد أن وعدنى بأن
يلقانى غدا .

وعدت الى سريرى ذليلة .. مقهورة .. ان هاشم لا يحس
بى .. لا يحس بكل هذه الزواجع التى تهب على رأسى .. لا يحس
بطريق الشوك الذى أسير فيه حافية القدمين ، لأصل إليه ..
انه لا يحس بى الا عندهما ينالنى .. فقط عندهما ينالنى .. ساعتها

أحس أنه لى كله .. أحس أنه يشعر بكل قطعة منى ، بكل نفس من أنفاسى .. وبعدها .. يضيع منى .. يضيع بين مرضاه وأصدقائه .. ويتركى وحدى .. كأنه انتهى منى الى الأبد ..

وقضيت الليل أحاول أن أقنع نفسى بأن أعدل عن الطلاق .. على الأقل أترك نفسى لقدرى دون أن أتعمد شيئاً .. أترك نفسى لله يدير شئونى .. وكانت تمر بى لحظات يخيل الى ائى أقتنعت .. ولكن لا يلبث عنادى وأطماعى أن يغلباتى فأعود أفكر فى الطلاق ، وأرسم طريقى اليه ..

وذهبت الى هاشم فى اليوم التالى .. واستوقفتنى امى قبل أن أخرج ، وقالت وهى تنظر الى بعينيها اللثابتين :

— رايحه فين ؟

قلت فى برود وتحد :

— خارجه ..

قالت وهى تخفض من صوتها حتى لا يسمعها زوجها :

— عارفه انك خارجه .. وعايظه اعرف رايحه فين ؟

قلت وأنا أفتح الباب :

— مش عارفه .. حاتمشى فى البلد .. ويمكن أفوت على صاحبتى ناهد ..

ثم خرجت .. وتركتها واقفة مبهوتة والالم يطل من عينيها .. ووصلت الى شقة هاشم فى الساعة الرابعة تماماً .. وضغطت على جرس الباب .. ولم يفتح لى أحد .. أنه لم يأت بعد .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى أصل فيها قبله .. ربما كانت المرة الثانية أو الثالثة .. وابتسمت ساخرة من نفسى وأنا أتذكر الأيام التى كان يأتى فيها قبلى ، وأتعمد أن أدعه ينتظرنى .. لأثيره .. ويضربنى ..

ووقفت بجانب الباب المغلق .. مسكينة .. ذليلة .. وكلما سمعت صوت المصعد ، أو كلما فتح باب من أبواب الشقق المجاورة ، أدت وجهى الى الحائط ، حتى لا يرانى أحد ويرى ذلى ..

وجاء هاشم فى الساعة الرابعة والربع .. وقال فى لهفة صادقة ، وهو يميل على خدى يقبله ، ويخرج سلسلة مفاتيحه من جيب بنطلونه ، ويفتح الباب :

— أنا آسف يا أمينة .. تصورى ائى كنت فى العيادة لغاية دلوقت .. ولسه ما تغدتش .. يدوبك خلصت آخر عيان وجيت على طول ..

ولم ارد عليه ..

لا أريد أن ألومه .. ولا أريد أن أحاسبه .. ولا أريد أن أحدثه عن مشاكلى .. كل ما أريده هو أن يمدحنى لحظات أستريح فيها من أفكارى ..

ولكن هاشم كان متعباً فعلاً ..لقى بنفسه على الأريكة ، وأغمض عينيه المجهدين كأنه على وشك أن ينام ..

وحاولت أن أجرد الى الكلام ..

ولكنه يرد على بكلمات مقتضبة تخرج من بين جفونه المغضبة ..

وتركته ، وقمت أدور فى أنحاء الغرفة .. أحرك المقاعد بلا سبب .. وأقلب فى الكتب الطبية ثم ألقها باهمال .. وأفتح الراديو ثم أغلقه .. وأرفع منفضة السجائر ثم ألقها بعنف كأنى أحاول أن أحطمها .. وهو يفتح عينيه وينظر الى ، ثم يعود ويغمضهما .. ثم قال فى صوت منهوك :

— اسكتى با امينه .. انا تعبان .. سيبينى شويه لغاية
ما استريح ..

ولم ارد عليه ..
داومت على ازعاجه ..
وصرخ :

— بالقولك تعبان .. اسكتى ..

ورفعت الوسادة الملقاة فوق أحد المقاعد ، وقذفته بها ،
وأنا أقول مدعية الغضب وبين شففى أحدى ابتيساماتى ..
أغريه بها ..

— وأنا ذنبى ايه ما شفكش الا وانت تعبان .
والتقط الوسادة .. واحتفظ بها بجانبه .. وقال وهو ينظر
الى فى غيظ :

— امينه .. أرجوكى .. ربع ساعه بس ..
ولكنى لم أرحمه ..

رفعت الوسادة الأخرى وقذفته بها فى وجهه وأنا أقول :
— ولا دقيقه .. اعتبرنى عيانه من بتوعك .. واقعد كلمنى ..
وانفحت عيانه الى آخر وسعهما ، كأنه يهيم بأن يقتلنى ، ثم
التقط الوسادة وقذفنى بها .. فى عنف .. بكل قوة ذراعيه .
واصطدمت بوجهى فى قنوسه ، خيل الى معها أن رأسى يكاد
يطير من فوق عنقى .. وساح شعرى فوق عينى ، وسمعتة يقول
فى غيظ :

— انتى ما فيش فى قلبك رحمة ..
وثرت ..

أو على الأصح افتعلت ثورة ..
ورفعت منفضة السجائر فى يدي كأنى أهم بأن أقذفه بها .

فهب من جلسته ، وأسرع ، الى ، وانتزع من يدي منفضة السجائر
.. ثم أمسك بشعري .. بكل أصابعه .. بكل قسوته .. وحاول
أن يوقعنى على الأرض ..
وصرخت :

— هاشم .. حاسب بطنى ..

وتوقف برهة .. كأنه يقرر ماذا يفعل بى .. وأصابعه
كلها لا تزال قابضة على شعري .. ثم جذبني من شعري الى
الغرفة الأخرى ..

وأذاب كل تعبته فى جسدى ..
وقال وهو راقد بجانبى ينظر الى سقف الغرفة ، وقد انتظمت
أنفاسه ، ويده ملقاة فى حنان ورفق فوق بطنى المنتفخ :

— تعرفى .. أنا ساعات بيتهيألى انه ابنى ..
والتفت اليه كأنه فاجأنى ..

كانت المرة الأولى التى يطرق فيها هذا الموضوع بصراحة ..
لقد مضى شهر أو أكثر منذ أبلغته أنني حامل ، وكلانا يتجنب
الحديث عن الجنين .. كلانا لا يريد أن يعرف ابن من هذا ..
وقلت كائى صدمت :

— ما تقولش كده يا هاشم .. بعيد الشر ..

وقال كأنه لم يسمعنى .. ولا يزال ينظر الى السقف كأنه
يحللم :

— تصورى لو كان ابنى .. ده أنا اتجنن .. أموت ..

قلت وأنا سعيدة بأحلامه :

— ليه ؟

قال وقد التفت الى لفتة سريعة كأنه دهش من سؤالى ،
ثم عاد ينظر الى السقف :

— ليه ازاي .. تصورى انى ابقى عارف انه ابنى ، وأشوفه
عايش مع راجل تانى ..

قلت وأنا أبتسم ابتسامة صغيرة كأنى أطمئنه :

— مش حايعيش مع راجل تانى ..

والتفت الى بسرعة ، وقال :

— ازاي ده ؟

قلت فى هدوء :

— علشان حااتطلق ..

واستدار الى بكل جسمه .. ووجهه قريب جدا من وجهى
.. وأنفه الكبير يصطدم بأنفى .. وشفته تتنفسان فى شفتى
.. وقال فى صوت رزين عاقل :

— اسمعى يا امينه .. اسمعيني كويس .. انتى لازم

تنزلى اللى فى بطنك ده .. لازم تستطلى نفسك .. و ..

وقاطعته وأنا أبتعد عنه كأنى لدغت منه ، وقلت فى حدة :

— ما تقولش كده .. مالكش دعوه باللى فى بطنى ..

قال :

— اسمعيني بس يا امينه .. ما تبقبش انانيه .. و ..

وعدت أقاطعه :

— تبقى دكتور وتقول كده يا هاشم .. لو جت لك واحده

ست وقالت لك سقطنى .. تسقطها ..

قال وهو يتهد كأنه يستعين بالصبر :

— عارف انى دكتور .. وعارف ان الدين يمنع ، والطب

يمنع ، والقانون يمنع .. انها فيه حاجه ربنا مش ممكن يرضى

بيها ، وهو انك تخلفى فى ظروفك .. تخلفى واننى

مش عارفه ابن مين اللى حاخلفبه .. وتخلفى وانت عارفه انك

حا تطلقى ، وحياء ابنك تتشرد .. والطب يسمح بالاجهاض
لما تكون الأم مريضة ما تستحملش الحمل ، واننى ظروفك كلها
مريضة ، ما تستحملش الحمل .. حتى القانون .. ما فيش
قاضى عادل ممكن يوافق على انك تخلفى .. و ..

وقاطعته فى تحد :

— من فضلك اسكت .. انت خايف من المسؤولية ..

قال وهو بيتسم فى يأس :

— أنا مش خايف من المسؤولية .. ما فيش مسؤولية على

.. انها أنا باكلهم بضميرى .. وبعقلى .. واحب أقول لك

انك انانية .. بتفكرى فى نفسك بس .. لو فكرت فى اللى

حاخلفيه .. لو فكرت فيه لحظة واحدة بس كنتى تسمى

كلامى ..

وقلت وأنا أقوم من جانبه وأبدأ فى ارتداء ثيابى بعصبية :

— طبعاً بافكر فى نفسى .. افرض انى مت وأنا باسقط

نفسى ..

قال فى هدوء :

— مش حاتموتى .. انتى صحتك كويسه .. لو كان هيجرى

لك حاجه ، كان اول واحد يخاف عليكى أنا ..

قلت :

— انت ما بتخافش على .. انت بتخاف على نفسك ..

على كل حال اطمئن .. ده لا ابنك ، ولا ابن جوزى .. ابنى أنا

.. وأنا حره فيه ..

وقال وهو ينظر الى فى زهق :

— انتى مجنونه .. وملحوسه .. وغبيه .. وانانيه ..

وما فيش فايده انك تفهمى .. والحق على أنا اللى خايف عليكى ..

قلت :

— ما حدثش .. انما لازم أسقط نفسي ..
قالت وهي تنظر الى كأنها تنظر الى مجنونة :
— ليه .. ايه اللي جد ..

قلت :

— ما فيش حاجه جدت .. انما ما دام حاطلق يبقى لازم
أسقط ..

ونسيت أمي حرصها على ألا يصل صوتانا الى سماع زوجها ،
وصرخت :

— مش حاتطلقي .. ومش حاتسقطي .. فاهمه .. دلج
البنات ده آخرته مش كويسه .. وأنا كلمت عبد السلام في
التليفون ، وزمانه جاي .. اما أشوف آخرتك ايه ..
وجاء زوجي من السويس ..

وعقدنا مؤتمرا .. أنا ، وأمى ، وهو .. وقالت له أمى
كل ما شكوته لها .. شكواي من أمه .. ومن أهل السويس
.. ولكنها لم تقل له أني لا أحبه ، ولا أطيعه .. وعبد السلام
يتلقى الشكوى بقلب ملهوف على .. ويدافع عن أمه حينها ..
ثم يعد بأن يريحني من كل ما أشكو منه .. ثم قال وعيناه
مخلصتان :

— ما يصحش تزعلي نفسك اليومين دول يا ميتو ..
ما تنسيش انك حامل .. ولازم تحاسبني على ابننا ..
وصرخت :

— مش عايزاه .. أنا حاسقط نفسي .. يغور هو وأبوه .
وجحظت عينا عبد السلام كأنه أختنق ..
وقالت أمى وهي تنظر اليه كأنها تستعطفه :
— ما تسمعش كلامها يا عبد السلام .. دى عصبية ..
والحمل تابعها ..

وابتدأ يرتدى ثيابه هو الآخر ..

ووقفت أضافحه قبل أن أخرج ..
وحاول كل منا أن يحتفظ بغضبه ..
ولم نستطع ..

ابتسم كل منا الآخر .. وفتح لي ذراعيه ، لأرتمي بينهما ..
وأضمه بكل قلبي .. وقلت وأنا أتلقى قبلكه على خدي :
— ما تبقاشي تقول لي اني غيبه يا هاشم .. الكلمه دى
بتزعلني ..

قال وهو يضغطني اليه كأنه يعتذر لي :

— أنا كمان غيبى .. كل واحد فينا له ناحية ذكاء وناحية غباء
.. تعرفي ايه أذكي حاجه فيكي ..

قلت وأنا أنظر اليه بعينين ضاحكتين :

— ايه ؟

قال مبتسما :

— بوستك .. شفايفك ..

ثم انحنى بتلقى قبلي الذكيه ..

وخرجت وأنا سعيدة .. وأكثر سعادة من أى يوم آخر
بالجنين الذى يتحرك في أحشائي .. انى أريده ليحترق فيه
هاشم .. ليظل طول حياته يتساءل اذا كان ابنه أم لا .. أريده
كسلاح أتحداه به .. وأثيره به .. وأقوى به عليه ..

ولكنى عندما عدت الى البيت وجلست مع أمى بعد أن وضعت
على وجهي قناع التجهم والشroud ، قلت وأنا أدعى الاصرار :

— ماما .. أنا حاسقط نفسي ..

وخبطت أمى على صدرها من قسوة المفاجأة ، وقالت :

— مين اللي شار عليكى الشوره المهيبه دى ..

واطمان عبد السلام ..

ولكنى داومت على تهديده باجهاض نفسى .. كنت اذا جلست معه أو مع أمى أصررت على الاجهاض .. وكلما ذهبت للقاء هاشم أصررت على ابقاء الجنين .. كأتى اتحدى هذا وذاك .. أو أتدلل على هذا وذاك ..

وقد بقى زوجى فى القاهرة ثلاثة أيام .. والكلام لا يكف عنى .. أمى تتكلم .. وعبد السلام يتكلم .. وذالاتى الخمس يتكلمن .. وزوج أمى يتكلم .. وأخيرا اضطررت مجبرة على أن أعود معة الى السويس .. ليكف الكلام عنى .

الوحيد الذى وقف بجانبى هذه الأيام كان أبى .. لم يتكلم .. هز كتفيه عندما استدعته أمى ليشارك فى أحد المؤتمرات التى تتسلى العائلة بعقدتها على حسابى .. وقال :

— ما دام مش عايزاه .. خلاص تطلق ..

هكذا بكل بساطة ..

وأسرعت أمى بتوصيله الى الباب .. وزوج أمى يودعه بنظرة احتقار ، كأنه يتهمه بالاحلال ..

وما كدت أصل الى السويس حتى أشعلت فى البيت نارا .. لم أكن أدرى أنى أستطيع أن أكون قاسية الى هذا الحد .. وقحة .. مجرمة .. لم أكن أدرى أنى أحمل فى صدرى كل هذه الطاقة المدمرة .. لقد جننت عبد السلام ..

وجننت أمه .. لم أترك لهما ساعة واحدة يعيشانها فى هدوء .. أقيم ثورة لكل صغيرة .. وأصرخ فى وجهه .. طلقنى .. مش عايزاك .. مش طايقاك .. واحرم عليه فراشى .. وحجرتى .. وأهين أمه أمامه .. وأجبره على أن يسافر بى الى القاهرة فى أوقات عمله .. وأتركه عندما نصل لأقابل هاشم

.. ثم أعود معه تحت ضغط أمى .. والمسكين يعتقد أن كل ذلك بسبب أزمات عصبية تصيبنى نتيجة الحمل .. أمى اقتنعت بذلك ..

ووقفت يوما فوق الدولاب ورميت نفسى على الأرض ، أمام عينيه ، لأقتل ابنه .. وصرخ يومها المسكين ثم بكى .. ولكن صراخه لم يفزعنى ، وبكاؤه لم يثر شفقتى .. أثار قرفى .. ولم يسقط الجنين ، ظل فى مكانه ، سليما .. كأنه يتشبث بى ، ويتشبث بالحياة ..

ولم تكن هذه القوة التى أواجه بها زوجى وأمه ، دليلا على انى اكتسبت شخصية جديدة قوية .. أبدا .. لم أشعر بأنه أصبحت له شخصية .. كل ما شعرت به أنى تجردت من كل شيء .. تجردت من الحياء .. تجردت من المنطق .. تجردت من الشفقة .. تجردت من كل المقاييس .. من كل المبادئ .. وكنت وأنا أثير فى البيت كل هذه الزوابع المفتعلة ، أشعر بالخوف .. خوف كبير .. خوف من نفسى ، وخوف على نفسى .. وأشعر بدمائى تجرى باردة مثلجة فى عروقى ، كدماء الثعابين .. وأنظر الى مرأتى ، فأرى وجهى أصفر ممتعنا ، كأتى سأموت .. كأتى ميتة .. ولا أستطيع أن أواجه زوجى أو أمه وأنا هادئة .. لا أستطيع أن أرفع عينى ، الى عيني أحدهما .. انما أبقى بعيدة ، منزوية ، أثير فى نفسى ، وأتلمس أسباب الثورة ، الى أن أثور فعلا ، وأخرج عليهما كالمجنونة ، لأفتعل زوبعة جديدة ..

وزوجى وأمه يتحملان فى صبر ، من أجل الجنين الذى أحمله فى بطنى .. وينظران الى فى اشفاق كأتى مجنونة ... ومرت ثلاثة شهور ..

أصبحت فى السادس ..

بطنى كبير مدلى حتى يصل الى ركبتى ..

وتأخر زوجى يوما فى مكتبه .. وفجأة .. بلا سابق تفكير ..
.. قمت وارتديت ثيابى .. وسألتنى أمه قبل أن أخرج فى صوت
يرتعش خوفا منى :

— الى أين ..

وقلت دون ن التفت اليها :

— خارجه ..

وخرجت ..

وركبت سيارة أجرة من سيارات السويس ، وأمرت السائق
أن يسافر بى الى القاهرة ، وأنا أحمل فى راسى تصميمها هائلا
بأن تكون هذه آخر محاولة أحصل بها على الطلاق ..

ووصلت القاهرة فى الساعة الثامنة مساء .. ونزلت من
السيارة فى ميدان الأوبرا .. وأخذت أسير فى الشوارع ..
وكنت أحاول أن أضيع الوقت الى أن ينتهى هاشم من عيادته فى
الساعة التاسعة .. ولكنى تعبت قبل أن تصل الساعة الى
الثامنة والنصف .. البطن الثقيل الذى أحمله أتعبنى ..
فاتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال فى عجلة بمجرد أن سمع
صوتى :

— جيتى امتى ؟

قلت :

— دلوقتى .. ولازم اشوفك حالا ..

قال :

— مش ممكن .. ده أنا لسه قدامى كثير ..

قلت :

١٢٤

— بس أنا فى الشارع .. وتعبانه .. مش لاقية حته
أروحها .. وما اقدرش أروح قبل ما اشوفك ..
قال فى عجلة :

— طيب روحى الشقه وخلي عم محمود البواب يفتح لك
.. اذا ما رضيش خليه يكلمنى فى التليفون ..
قلت فى استسلام :

— حاضر ..

وركبت تاكسى الى الزمالك .. ووقفت أمام عم محمود
البواب فى استخداء ، وطلبت منه كائى استجديه أن يفتح لى
شقة الدكتور هاشم .. واذا أراد أن يتأكد ، يستطيع أن يحدث
الدكتور بالتليفون ..

ونظر عم محمود الى بطنى المنتفخ ، وقلب شفثيه فى
امتعاض ، ثم قام فى تكاسل دون أن يتفوه بكلمة ، وتقدمنى الى
المصعد .. وفتح لى باب الشقة ، وتركنى أدخل ، ثم تذفنى
بنظرة جارحة .. وأغلق الباب ورائى ..

ودخلت الى حجرة النوم .. والقيت نفسى على السرير ..
كنت متعبة .. محطة .. وحاولت أن أنام .. ولكنى لم أنم
.. أذناى معلقتان بصوت أسلاك المصعد الذى ينبعث من شبك
المطيخ .. كلما دارت الأسلاك . ظننت أن هاشم سيدخل بعد
دقائق ..

ولكن هاشم تأخر كثيرا ..

الساعة العاشرة ، ولم يصل ..

وقمت وصنعت لنفسى فنجان قهوة .. لم اكن أريد أن
أشرب القهوة .. انما كنت أريد أن أسلى نفسى بشيء أصنعه .
وجلست فى الصالة الخارجية ، وأمامى فنجان القهوة ..

وجاء هاشم فى الساعة العاشرة والنصف ..
وأسرع الى ملهونا ، وجلس بجانبى وقال وهو يضع ذراعيه
حول كتفى :

— ايه .. حصل ايه يا أمينه ؟

وانهمرت دموى فجأة .. دموع التعب .. والضياح ..
ووجدت نفسى أسقط من فوق الأريكة ، وأركع تحت قدمى هاشم ،
وبطنى مدلى أمامى ، كأن الجنين يركع أيضا تحت قدميه ..
ورفعت اليه عينى ودموى . وقلت فى توسل :

— أنا لازم اطلق يا هاشم .. لازم .. لازم .. خلاص ،
مش قادره .. ما تسبنيش أرجع السويس تانى .. ما تخليهمش
يرجعونى تانى ..

وقال فى صوت حنون وهو يحتضن وجهى بكفيه :

— طيب بتعيطى ليه يا أمينه .. كل حاجه ممكنه .. بس ..

قلت أقاطعه وأنا أتشنج :

— ما فيش بس .. ما تحاولش تقول حاجه .. مش حا اسمع
.. مش حاسمع .

قال وهو يبتسم لى كأنه يشفق على :

— خلاص .. اطلقى .. أنا ما كنتش موافق .. انما ما دام
حالتك بقت كده .. موافق ..

ثم رفعنى من على الأرض ، وأجلسنى بجانبه ، وأخذ يشرب
دموى بشفتيه فى قبلات سريعة هادئة .. ثم قال :

— بس .. حانطلقى ازاي .. يمكن ما يرضاش يطلقتك .
قلت :

— لازم يرضى ..

وهز رأسه وسكت ..

ثم قال بعد برهة :

— ونكرتى حاتمى ايه بعدما تطلقى .
ونظرت اليه كأنى أسأله نفس السؤال .. ثم أحنيت رأسى ،
وقلت :

— ما فكرتش .. أما اطلق الأول ، وبعدين أفكر ..

وهز رأسه صامتاً ..

لم يقل شيئاً ..

لم يعدنى بشيء ..

كأنه لبس سبب كل مصيبتى .. كأنى لا اطلق من أجله ..
كأنه لا دخل له فى قصتى ..

وأخذت أروى له كل ما حدث لى فى السويس .. وهو
يستمع صامتاً .. ثم قال :

— مش تقومى تروحي بأه .. الساعة بقت اتناشر ..

قلت :

— لا .. مش دلوقت ..

قال وهو ينظر لى فى تعجب :

— بس انتى اتأخرتى قوى ..

قلت :

— ما تخافش .. مش حا أقول لك خلينى عندك ..

قال وهو ينظر لى فى شفقة :

— أنا مش خايف منك يا أمينه ..

أنا خايف عليكى ..

قلت والدموع تعاودنى :

— ما تخافش على .. أنا عارفة باعمل ايه ..

وأخذت أبكى ..

واقترب يشرب دموعى .. فى رفق .. وأخذنى بين ذراعيه
.. فى هدوء .. ليس ثائرا ولا مجنونا ككل مرة .. كأننا نحن
الاثنين نلعب الكشينة فى صمت لتلهى عن تفكيرنا ..

وابقيته دعى حتى الثالثة صباحا ..

ثم خرجنا :١٠٠

ولأول مرة أركب سيارته بجانبه .. بل أول مرة أركب معه
المصعد .. نزلت معه ، وركبت بجانبه .. ولم أشعر بحرج
والسيارة تشق بنا شوارع القاهرة .. بالعكس ، كنت أطل
من نافذة السيارة ، وأتمنى أن يراى كل الناس .. مزهوية ..
متباهية .. بجانب الدكتور هاشم ..

وظلمت منه أن يوصلنى الى بيت خالتى سعدية التى تسكن
بجانبنا فى مصر الجديدة .. وكانت تعيش مع بنتيها .. وزوجها
مات ..

وسألنى هاشم فى دهشة :

— مش حاتروحى عند ماما ؟

قلت :

— لا .. كده أحسن ..

قال :

— ليه .. ناويه تعملى ايه ؟ ..

قلت :

— بعدين حاتعرف ..

ووصلت الى بيت خالتى :١٠٠

وتفاصيل الخطة التى وضعتها تملأ رأسى ..

وضغطت الجرس بيد مثلجة ، وكل ما فى داخلى يرتعش

.. ومرت فترة خيل الى انها سنة .. ثم اضيئت الأنوار داخل
البيت .. ثم سمعت صوت خالتى يرتجف من الخوف :

— مين ؟

وقلت فى صوت هامس :

— أنا أمينه .. ميتو ..

وفتحت خالتى شراعة الباب ، وما كادت تلمحنى حتى فتحت
الباب بسرعة .. واحتضنتنى بين ذراعيها ، وهى تقول :

— ميتو .. حبيبتى .. دى الدنيا مقلوبه عليكى .. كنتى

مين يا بنتى ..

ولم أرد عليها ..

القيت نفسى على أول مقعد ، ووضعت رأسى بين يدى ..

وبكيت :١٠٠ استظمت أن أبكى :١٠٠

وأسرعت خالتى نحو التليفون ، وهى تقول فى جزع مخلوط

بالفرحة :

— استنى يا بنتى لما أظمن مامتك .. حالتها حال .. أصلنا

افتكرنا ان بعيد الشر عملت فى نفسك حاجه .

وأدازت قرص التليفون وصرخت فى فرحة خالصة :

— مينو عندى .. اطمئنى ياختى .. سليمة الحمد لله ..

حاتيچى ديوقتى .. لا .. ما بلاش .. ده احنا فى عز الليل ..

ما تعمليش فى نفسك كده يا حبيبتى هى حاتفضل عندى والصبح

يجلها حلال .. خدى كلميها علشان تطمئنى ..

ثم أشارت لى خالتى لاقترب من التليفون وهى تضغط على

شفتها بأسنانها كأنها توصينى بأمر خيرا .. ثم همست ..

— طمئنها يا بنتى .. ما تزعلهاش ..



وأمسكت سماعة التليفون ، وما كادت أمى تسمع صوتى ،
حتى صرخت :

— دى عمله عملها يا بنتى .. كده برضه تفضحينا فى
وسط الناس .. كنتى فين لغاية دلوقت ..

قلت وأنا انشج :

— كنت ما طرح ما كنت (صه) :

وصرخت فى حدة :

— قوللى كنتى فين ..

قلت وأنا أتعهد أن أرفع من صوت نشيجى :

— مش حا أقول لكم كنت فين .. الا لما تطلقونى ..

ثم قذفت بسماعة التليفون فى وجه أمى ..

وارتميت على المقعد ، وأنا أبكى ..

وخالتى تربت على ظهري فى حنان ، وتقول :

— مش كده يا بنتى .. دى برضه أمك ولازم تظمن عليكى ..

— ٦ —

.. نمت ليلتها عند خالتى سعدية .. نمت بجانبها على
فراشها .. وقالت لى أن زوجى عبد السلام اتصل بأمى من
السويس فى الساعة التاسعة مساءً ، وأبلغها خبر اختفائى ..
وانتظرت أمى حتى الساعة الحادية عشرة ، وعندما لم أصل
الى بيتها ، ولا الى بيت واحدة من خالاتى .. بدأت تجن ..
وعادت واتصلت بعبد السلام فى السويس ، ولكنه أبلغها أنى
لم أعد بعد .. وبدأ كلاهما ، عبد السلام فى السويس ، وأمى

وقلت وجفونى تنسدل فوق عيني :

— والنبي سيهني دلوقت يا طنط .. أنا تعبانه .. حاموت
من التعب ..

وكننت فعلا متعبة ..

ما كدت أغمض عيني حتى نمت .. وبطنى المنتفخ راقد
أمامي ، وعين خالتي تلسعنى فى ظهري ..

وحلمت حلما عجيبا .. حلمت انى أجرى فى طريق مظلم
مخيف .. أحمل بطنى الثقيل .. وشبح هائل يجرى خلفى ..
لم أستطع أن أتبين وجه الشبح تماما .. كنت أحيانا أرى فيه
ملامح زوجى .. وأحيانا أرى فيه ملامح زوج أمى .. وكننت وأنا
أجرى أحاول أن أصرخ منادية هاشم .. هاشم .. هاشم
.. ولكن صرتى محبوبس .. لا أستطيع أن أصرخ .. أفتح
فمى ولا يخرج منى صوت .. وظللت أجرى .. وأجرى ..
وخطواتى ثقيلة .. والرعب يملؤنى ثم لمحت أنوارا كثيرة ..
مضيئة فى نهاية الطريق .. كأنها حفلة زفاف .. ورأيت هاشم
جالسا على مقعد كبير .. مرتديا حلة سموكج .. وحوله باقات
الورد .. كأنه فى الكوشة .. ونظرت الى المقعد الذى بجانبه ..
المخصص للعروسة .. فلم أجد عليه أحدا .. ليس بجانب
هاشم عروسة .. وجريت أكثر لأجلس فى مقعد العروسة ..
ولكن الشبح لحق بى ، وأمسك بطرف ثوبى .. وأخذ يشدنى
.. يشدنى بقسوة .. وأنا أصرخ .. هاشم .. هاشم .. هاشم .. ولكن
هاشم لا يدسنى .. ويتلفت حوالبه فى انتظار عروسته ..
ولا يراى .. انى أخاف أن تسبقنى الية عروسة أخرى .. والشبح
يشدنى .. والرعب يملؤنى .. لقد أمسك الشبح بكتفى ..
يهزنى ..

فى القاهرة .. يتصلان بأقسام البوليس والمستشفيات ، سلاح
الحدود ، لعلى أصعب فى حادث .. ولكنها لم يصلا الى شىء
.. وأمى المسكينة .. وخالاتى الخمس حولها .. ولا شىء
يطمئننها .

وقالت لى خالتي سعديّة أنها عادت من عند أمى فى منتصف
الليل ، ولولا أن ابنتها مريضة لما تركتها أبدا .. فالمسكينة حالتها
يرثى لها .

ولم يرق قلبى لحال أمى .. بالعكس شعرت أن الجزء الأول
من خطتى قد نجح ..

وابتسمت لى خالتي ابتسامة كبيرة ترشونى بها ، ثم قالت
كأنها صدقتى :

— توليلى بأه .. كنت فين اغاية دلوقت ؟ ..

قلت وأنا أدير ظهري لها :

— مش حاقول الا لما تطلقونى ..

قالت وهى تربت على كتفى :

— خللى الطلاق على جنب دلوقت .. وقوليلى كنتى فين
.. أنا خالك الصغيره وأكثر واحده تقدر تفهيك ..

قلت فى اصرار :

— مش حاقول ..

قالت :

— قوليلى ومش حاقول لحد .. ولا حتى لما تمك ..

قلت :

— مش حاقول .. مش حاقول الا لما أطلق ، واذا
ماطلقونيش خارج مطرح ما كنت ..

وعادت خالتي تلح ..

وفتحت عيني كأنى أريد أن أتأكد أنى أحلم ، فالتقيت بوجه
أمى ، واقفة بجانب الفراش .. متجهة الوجه .. مرتدية ثوبا
أسود كأنها أعلنت الحداد على ..

وكانت تهزنى من كنفى وهى تقول :

— ميتو .. ميتو .. قومى .. اصحى ..

ورفعت عيني إليها ، ثم عدت وأغمضتها قائلة :

— سببىنى يا ماما .. أنا تعبانه .. عايزه أنام ..

وقالت أمى فى صوت حازم :

— هو انتى خلىنى حد ينام .. قومى دلوقت ، وابقى ارجعى

نامى .. قومى باقول لك ..

وعدت وفتحت عيني ، وقد تخلصت من بهايا حلمى ، ثم

اعتدلت جالسة فى الفراش ، وأنا متعبة .. متعبة فعلا وقلت

وأنا أدعك عيني بأصبعى :

— ده أنا حلمت حلم وحش قوى ..

وقالت أمى فى لهجة باترة :

— مش عايزه أسمع أحلامك .. عايزه أسمع حكايتك ..

قلت كأنى أرجوها :

— استنى على شويه يا ماما لما افتح عينيه ..

وجلست أمى على حافة الفراش ، وقالت وهى تنظر الى

بكل عينيها :

— استنىنا ..

قلت وأنا أتمطى وأحاول أن استعيد برودى :

— هى الساعة كام دلوقت ..

وأجابت خالتى وهى واقفة بجانب باب الغرفة :

— الساعة سببعه ونص يا حبيبتى ..

قلت :

— ياه ... ده أنا ما لحقتش أنام ساعتين ..

وقالت أمى وهى تكاد تنفجر :

— مش بهم .. اتكلمى ..

وقالت خالتى سعدية :

— استنى عليها يا فوزية يا اختى .. البنت عدمانه ومالحقتش

تمام .. قومى يا حبيبتى اغسلى وشك بشوية ميه ، وتعالى ..

ثم التفتت الى أمى قائلة :

— قومى يا فوزية يا اختى نشرب القهوة فى الصاله ..

وظلت أمى تنظر الى بعينين واستعنين غاضبتين كأنها تصفغنى

بعينيها .. وتجاهلت نظرتها ، وقمت على مهل لأدخل الحمام ،

وقامت أمى خلفى ، وهى تقول :

— أما أشوف آخرتها مع البت دى ايه ..

وتعمدت أن أغيب فى الحمام .. غبت أكثر من نصف ساعة

.. وطرقت خالتى على الباب مرتين تتعجلنى .. وأنا أتلكأ

أكثر .. ثم خرجت الى أمى ، وقد استعدت كل نكائى ، وكل

برودى .. وجلست على المقعد المواجه لها .. وقد زاد وجهها

احتقاناً ، وزادت عيناها غضياً ..

وأمرت خالتى بنتيها أن يدخلها الى غرفتهما .. ثم جلست

معنا ، قائلة :

— اسمعى يا فوزية يا اختى .. أنا مش عايزاكى تزعلى

نفسك ، ولا تزعلى ميتو .. كل حاجة ولها حل ..

وقالت أمى وهى لا تزال تصفغنى بعينيها :

— اتفضلى اتكلمى يا ست ميتو ..

قلت فى برودى :

— عايزانى أقول ايه ؟ ..

وقالت أمي بعد أن رفعت عينيها الى السقف كأنها تستجير
بالله مني :

— عايزاكي تقولى لنا حكايتك ..

قلت في هدوء وأنا أهزأ كتفى ، وكلتا يدي فوق بطنى
المنتفخ :

— ولا حاجة .. عايزاه أطلق ..

قالت وهى تشد أنفاسها من صدرها :

— عارفين انك عايزه تطلقى .. اللي عايزه اعرفه .. كنتى

فين امبارح لغاية الساعة تلاته الصبح ..

قلت وأنا ادير عنها عيني :

— مش حاقول إلا لما أطلق ..

وقالت أمي صارخة :

— لا حاتقولى .. حاتقولى غصب عن عينك ..

وقالت خالتي بسرعة :

— هدى نفسك يا فوزيه يا اختى .. مش كده أمال ..

وسكتت أمي ، والعذاب يتردد في صدرها مع أنفاسها ..

ثم قالت وهى تحاول ألا تصرخ مرة ثانية :

— والتبى ما كنتيش مكسوفة من نفسك وانتى دايره للصبح

وبطنك قدامك .. ده لو ما كانش العيل اللي في بطنك كان

زمانى حطاكى تحت رجليه وباهرسك هرس .. عمل ايه فيكى

بس يا اخواتى ..

قلت في برود :

— طلقينى ..

وانفجرت أمي مرة ثانية .. وخالتي تهدئها .. والكلام

لا ينتهى .. ساعة .. ساعتان .. ونحن نقول ونعيد نفس
الكلام الذى رددناه فى الشهور الأخيرة ، منذ أعلنت طلب الطلاق
.. وأنا مصممة دائما على ألا أفشى سرى .. ولا أقول أين
كنت ليلة أمس ..

وأخيرا تامت أمي من على مقعدها ، وشدتني من يدي بقوة ،
قائلة :

— تعالى معايا ..

ثم التفتت الى أختها قائلة :

— سيبينا لوحدنا شويه يا سعديه ..

ثم دخلت بي الى غرفة النوم ، وأغلقت الباب وراءنا ،
وقالت :

— اتعدى يا بنتى ربنا يهديكى ..

وجليست على السرير ..

وجيست بجانبى ملتصقة بي ..

وأحسست ساعتها انى أريد أن أضع رأسى على كتفها
وأستريح من عنادى .. أريد أن أقبلها .. وأقبلها .. ثم أبكى ..

وقالت وهى تربت على فخذي فى حنان :

— اسبعى يا أمينة .. أنا مستعدة أطلقك .. واقدر أطلقك

فى أربعة وعشرين ساعة .. بس قبل ما أطلقك لازم اقتنع ..

ومش حاقنتع الا لو عرفت كل حاجة .. قوليلى يا أمينة ..

انتى بتعرفى حد ..

قلت وأنا أرفع حاجبى مدعية البراءة :

— تصدك ايه يا ماما ؟ ..

قالت وهى تنظر الى وعلى شفيتها ابتسامة مرة :

— تصدى بتحبى حد ..

وأدرت رأسي عنها ، وقلت :

— الأ .. ما بحبش حد ..

قالت :

— توليلي يا بنتي .. ده مش عيب .. كل البنات بيحبوا ..
وأنا غلطت معاكى وجوزتك صغيرة ، قبل ما تتفتحي وتشوفى
الدنيا .. ولو حبيتى واحد تانى ، يبقى لك حق ..

ونظرت إليها ، أحاول أن أصدقها .. وأنا أشعر بقلبي
ينتفض بين ضلوعى .. ثم فجأة أحسست بدموعى تنهمر صامتة
على وجنتى قبل أن أستطيع مقاومتها .. وأحسيت رأسى صامتة ..

كشفتنى دموعى ..

وظلت الابتسامة المرة على شفتى أمى وقالت :

— أقدر أعرف اسمك ..

ورفعت إليها عيني البلتين بالدموع وقلت فى حدة :

— لا .. مش ممكن .. مستحيل ..

ولفت أمى ذراعها حولي ، وضمتنى إليها ، قائلة :

— ده أنا مامتك يا أمينه .. إذا ما كنتيش حاتقوليلي ..

حاتقولى لين .. انتى عمرك ما حبيتى عنى حاجه ..

وملت برأسى على كتفها .. أريد أن أستريح .. رأسى مصدع ،
من قلة النوم وكثرة الكلام .. وقلت :

— مش حاتقول يا ماما .. مش حاتقول ..

قالت :

— مش بس أعرف مين هو ده اللي حاتتهد الدنيا علشانه ..

قلت :

— بكرة تعرفيه ..

وسكتت برهة ، وقالت وهى لا تزال تحضننى ، ورأسى
لا يزال على كتفها :

— ووعدك بالجواز؟

قلت وأنا أمسح الدموع من فوق خدى :

— يوعدننى بالجواز ازاي وأنا متجوزه ..

قالت :

— يعنى ما اتفتقوش على انك تطلقى وتتجوزوا ..

قلت رأنا لا أرفع وجهى إليها حتى لا ترى عيني :

— ازاي بس يا ماما .. هى تجاره ..

قالت :

— أمال عايزه تتطلقى ليه ..

قلت :

— علشان باحبه .. وعلشان متأكده انى لو ما كنتش

متجوزه ، كان اتجوزنى ..

قالت :

— ما يمكّن واد صغير من شبان اليومين دول ، يخرّب عليكى ،

وبعدين تدورى عليه ما تلقهوش ..

قلت رأنا أرفع رأسى إليها محتجة :

— ده مش واد صغير .. ده راجل عنده خمسة وتلاتين

سنه ..

ونظرت الى أمى كأنها تحاول أن تدخل بعينيها فى رأسى

وقالت :

— وده اللي كنتى معاه امبارح لغاية الساعة تلاته ؟ ..

وانتفضت من جائبها .. ابتعدت عنها .. وقلت وأنا أفعل

الغضب :

— يا خبر .. ازاي تقولى الكلام ده يا ماما .. ده ما حطش
ايده على لغاية دلوقتى ..

— أمال كنتى مع مين ؟

قلت مى حدة :

— ما كنتش مع حد .. ومش حاقول كنت فين ..

قالت :

— بأه بعد ما تقولى ده كله .. مش عايزه تقولى كنتى

فين .. ليه ؟

قلت :

— علشان لو ما اطلقتش ناويه أرجع مطرح ما كنت ..

وما حدش يعرف طريقي .. وتبقى مضيحة ..

قالت :

— ومين حايسيك تعملى كده .. انتى فاكهه نفسك سايبه ..

قلت فى تحد :

— ما حدش ساعتها حايقدر يمنعى ..

قالت وهى تتنهذ :

— أنا أحلف أنك كنت مع الراجل اللى بتقولى عليه ده ..

قلت فى بجاحة :

— لو عرفتية ، حاتعرفى انه مش من الصنف ده .. مش

ممكن يقعد مع واحده متجوزه لغاية الساعة تلاته ..

قالت :

— طيب مش تعرفينى بيه ..

وسكت .. لم أتكلم .. وعقلى يدور فى رأسى ..

وعادت تقول :

— يا بنتى هدى سرى ، ربنا يهدى سرك ..

وقلت وقد بدأت أتردد فى تصميمى :

— ما اقدرش يا ماما .. ما اقدرش أبدا .. ده لو عرف

انى قتللك .. ولا حكايتنا اتعرفت ، يبطل يكلمنى ..

وقالت وهى تنظر الى فى توسل :

— يا بنتى ده انا أخاف عليكى أكثر ما تخافى على نفسك

.. وأحلف لك بمعزتك عندى .. وانشا الله يا رب أعدمك وأعدم

ولادى كلهم ، لو نطفت بكلمة .. قولى يا بنتى .. وما تنسبش

انى حاساعدك ، وأنا الوحيدة اللى حاتف جنبك ..

ولا زلت مترددة ..

صامتة ..

وقالت أمى وهى تزفر أنفاسها وقد ضاقت بصمتى :

— يبغى خلاص .. ماليش دعوه بيكى .. وروحى شو فى

مين حايطلك .. واعملى اللى انتى عايزاه ..

وهمت أن تقوم من جانبى ، فتشبثت بها وأنا أنظر اليها فى

استجداء ، وقلت فوراً :

— اسمه هاشم ..

ونظرت الى أمى فى تعجب وقالت :

— هاشم مين ؟

قلت وأنا أحنى رأسى :

— الدكتور هاشم ..

وخبّطت على صدرها كأنها ذعرت وقالت :

— الدكتور هاشم عبد اللطيف ؟

وهزبت رأسى بالايجاب ، وعيناي منكستان فى خفر ..

وقالت أمى وهى تطوف بعينيها فوق وجهى :

— بسر ده نص ستات البلد بيجروا وراه ..

ورفعت رأسي وقلت في حدة كأنها لدغتنى !:

— وأنا أحسن من نص ستات البلد ..

وقالت أهي :

— وبيقولوا عليه ما بيتجوزش ..

قلت :

— اللي أعرفه أنه بيحبنى .. متأكده انه بيحبنى ..

قالت :

— من امتي ؟ ..

قلت :

— من حوالى سنه ..

قالت وقد راقت ابتسامتها .. ابتسامه فيها كثير من

الدهشة ، وكثر من الزهو :

— وعرفيه ازاي ؟ ..

وبسرعة استطعت أن أخلق كذبة كبيرة .. قلت لها اني التقيت به في النادي .. وعرفتني به إحدى صديقاتي .. واتصل بي بعدها بالتليفون .. وقد خرجت معه عدة مرات .. في سيارته .. ويحدثني دائما في التليفون .. و ..

لم أقل لها شيئا من الحقيقة ..

ونظرت الى أمي وقد غلب زهوها بي دهشتها مني .. وقالت كأنها تهنئني :

— أما انتي حته بنت .. كل ده وما اعرفش ..

ثم سكتت برهة وقالت :

— وهو عارف انك حاتطلقى ..

قلت :

— أيوه ..

قالت :

— وما قالش حايعمل ايه بعد الطلاق ..

قلت كأنى ألومها :

— مش ممكن يا ماما .. ده انسان كويس .. ومش ممكن

يطلق واحده علشان يتجوزها .. انما هو فاهم اني حااطلق

لانى ما بحبش جوزى .. ولان جوزى راجل مش كويس ..

انما انا متأكدة اني لو اطلقت ، حايتجوزنى ..

قالت كأنها تحقق معي :

— اتأكدتى ازاي ؟

قلت :

— هاشم دايم يقول لى انه لو كان قابلنى قبل ما اتجوز

كان اتجوزنى .. ودايم يقول لى انه ما يقدرش يستغنى عنى

أبدا .. وأنا عارفه انه مش ممكن يكذب .. ما فيش سبب

يخليه يكذب .. وزى ما قلتى ، نص ستات البلد بتجربى وراه

.. يعنى مش محتاج انه يقول لى الكلام ده الا اذا كان بيحبنى

صحيح ..

وسرحت أمي بعينها .. وابتسامه كبيرة على شفيتها ..

كأنها تحلم .. كأنها تتصور نفسها حماة الدكتور هاشم ..

وتتصور نفسها وهى تباهى به كل صديقاتها .. تتصور نفسها

فى قصر كبير بنته من طموحها الساذج ، وأطماعها الرخيصة ..

وعادت تقول لى فجأة كأنها استيقظت من أحلامها :

— والنبي يا بنتى أنا مش مصدقه ده كله .. الدكتور هاشم

حته واحده !!

قلت وأنا ابتسم لسذاجتها وأتعالى عليها بذكائى :

— تحبى أكله فى التلفون قدامك .

قالت وهى تمصص شفيتها ، وتركن رأسها على كتفها :

— اتكلمى يا بنتى .. ورينى عمالك .

وقفزت من جانبها فى نشاط مرح ، كانى على وشك أن أقوم أمامها باستعراض راقص ، أبرز به مواهبى .. وخرجت الى الصالة ، وعدت حاملة التلفون ، وخالتى سعيدة تصيح ورائى :

— انفقم على ايه ؟

قلت :

— ادى احنا بنتكلم ..

ثم أغلقت الباب ورائى ، وجلست بجانب أمى ، وأدرت قرص التلفون ، وهى تنظر الى فى ترقب ، والفضول يشد عينيه .. وكانت الساعة عد بلغت الحادية عشرة والنصف .. وهاشم فى عيادته . وما كاد يسمع صوتى حتى قال :

— عملتى ايه يا أمينه .. ايه أخبارك ؟ ..

وأذن أمى بجانب أذنى فوق السماعة !

وقلت :

— العيله كلها مقلوبه على .. انما اطمئن يا هاشم .. كل

حاجه حاتشى زى ما احنا عايزين ..

وسكت هاشم قليلا كأنه لم يفهم ما أقصده .. ثم قال :

— بس خليكى عاقله .. ما تتجننيش .

قلت :

— اطمئن .. انا عارفه أنا بياعمل ايه .. ما تشغلش بالك ،

خلى كل عقلك للعيانين بتوعك .. وسيب كل حاجه على ..

وسكت هاشم مرة ثانية .. كأن هناك شيئا يريد أن يفهمه

... ثم قال فى صوت متردد :

— ابقى طمئنى ..

قلت فى رقة :

— حاضر ..

ووضعت سماعة التلفون ، والتفت الى أمى .. وعيناها وأسعتان . بهورتان .. وعلى شفيتها ابتسامتها الكبيرة تهنئى بها على عبقرتى .. ثم قالت كأنها قررت أن تبدأ العمل فوراً ، — المهم دلوقتى نخلص من الراجل عبد السلام ده .. الحقيقه يا بنتى انتى معذورة فيه .. ده راجل ما ينطقش ..

ثم قامت وخرجت من الغرفة ، وأنا وراءها ، وقالت وهى تسيير نحو أختها فى خطوات قوية حاسمة :

— ما فيش فايده يا سعديه .. اليهت لازم تتطلق ..

وهكذا انتقادت أمى لى .. تنازلت عن مبادئها واستسلمت لظموحها وأطماعها .. ولم تكن تدري عندما انتقادت الى انى سأجرها معى الى طريق الوحل .. طريق العذاب ..

ومالت رأس أمى على رأس خالتى ، ووضعتا خطة العمل .. اتفقنا على أن يتصلا بعبد السلام فى السويس ويقولوا له انى كنت عند خالتى طول الليل .. وان خالتى لم تكن تدري لأنها كانت عند أمى .. ثم تطلبان منه أن يأتى حالا الى القاهرة ..

وصدق المسكين الملهوف كل شىء ..

وعدت مع أمى الى بيتها ..

وعادت تسألنى ونحن فى الطريق :

— مش حاتقولى كنتى فين امبارح ؟

قلت وأنا أبتسم :

— لا .. لما اطلق الأول ...

وسكنت أمى ..

والواقع أن من أسباب اصرارى على عدم ذكر المكان الذى كنت فيه ، ان خيالى لم يكن قد أسعفنى حتى اليوم بكذبة معقولة أقولها .. ولم أكن أستطيع أن أقول لأمى الحقيقة ..
ووصلنا البيت ..

ونمت بمجرد وصولى .. نمت نوما هادئا مريحا ، كأتى وصلت الى شاطئ الأمان بعد رحلة طويلة .. وجلست أمى مع زوجها ، وأخذت تحاول اقناعه بأن يوافق على طلاقى من زوجى .. قالت له كل الأسباب التى تبرر الطلاق .. نصفها أسباب اختلفتها ونسجتها من خيالى .. وضعف الرجل الطيب .. ولكنه ظل مترددا .. وظل يبحث عن باب يصون لى زواجى ...

واستيقظت من النوم ، وزوجى عبد السلام فى البيت .. ولكنى رفضت أن أقبله .. ولا حتى أن أراه من بعيد .. وأقنعتة أمى بالأصر على لقائى ، رحمة بالجنين .. حتى لا أثور فيتأثر بثورتى .. وأخذت تقنعه بالطلاق .. وزوجها ينضم إليها حيناً ، وينضم الى عبد السلام حيناً .. وأمى تأتى الى حجرى وتجلس معى لتنتقل الى ما يدور من حديث .. ثم نتحدث قليلا عن هاشم .. ونضحك .. ثم تضع على وجهها ملامح الجد ، وتخرج الى عبد السلام وتنقل له عن لسانى كلاما ، نصفه لم أقله ..

وبقى عبد السلام فى القاهرة ثلاثة أيام .. يأتى الى البيت فى الصباح .. ثم يخرج ليتناول طعام الغداء فى الخارج .. ثم يعود فى المساء ويبقى الى منتصف الليل ، ثم يذهب لينام فى الفندق .. وخالاتى الخمس مقيمات عندنا ، تقريبا ، وقد اقتنعت

بما اقتنعت به أمى ، رغم أن أمى لم تطلعهن على حكايتى مع هاشم .. والكلام لا ينتهى .. والبيت هيصه .. هيصه كبيرة .. كأن فى البيت فرحا .. لا طلاقا ..

وفى اليوم الثالث فوجئت بعد السلام يفتح باب غرفتى بلا استئذان ، وقد اكتسى وجهه بالغضب .. غضب عنيف .. ودهشت عندما رأيته .. لقد نقص وزنه .. وحدد الغضب ملامح وجهه ، فبدأ كأنه أصفر سنا ، وأقوى شخصية .. بل بدأ أكثر وسامة .. ونظرت اليه والدهشة تملأ عيني .. كأنى أنظر الى شخص غريب .. ليس زوجى عبد السلام .. بل خيل الى ساعتها أن بنطلونه ليس مهذلا كما كنت أتصور ..
وأفقت من المفاجأة بسرعة ..

واقترب منى والغضب ينطلق من عينيه .. وأمى تجرى وراءه .. والتفت إليها وقال فى صوت قوى لم أسمعه منه من قبل :

— سيينا لوحدنا من فضلك يا فوزيه هانم ..

وترددت أمى .. نظرت اليه .. ثم نظرت الى .. ثم انسحبت من الغرفة ، وهى تقول :

— ما تنرفزيش نفسك يا بنتى .. برضه لازم تتكلموا مع بعض ..

ثم ابتسمت لى من وراء ظهره ، وخرجت ..

واقترب عبد السلام من السرير الذى أجلس عليه ، والغضب يحيط به .. وأنا أنظر اليه وأتعجب لهذه القوة التى تفوح منه ، والتي لم أشعر بها أبدا .. بل أنى أشعر كأنى أخاف .. ولم أكن أبدا أخافه .. وقال بهذا الصوت الثابت الجديد على أذنى :
— انتى عايزه ايه ؟

قلت وأنا أنكمش فى زاوية السرير :

— أنت عارف ..

قال :

— عارف أنك عايزه تطلقى .. أما لغاية دلوقتى مش عارف

ليه ..

قلت وأنا ازداد انكماشاً ، وعيناي معلقتان بوجهه الغاضب :

— علشان ما بجبكش ..

قال :

— وكنتى اتجوزتيني ليه ؟

قلت :

— كنت فاكركه انى حاقدر أحبك .

قال :

— لسه ما فاتش علينا وقت كفايه علشان تقدرى تعرفى

إذا كنتى تقدرى تحببى والا لا ..

قلت وقد بدأت أتحرر قليلا من الخوف .

— ما فيش فايده .. مش حاقدر أحبك ..

وقال وأنفاسه تنطلق كفحيح النار ، وعيناه تزدادان غضبا :

— والعيل اللى فى بطنك ..

قلت :

— مش عايزاه .. عمرى ما كنت عايزاه .. ابقى خده من

يوم ما يتولد ..

قال :

— بس أنا ما اتجوزتش علشان اطلق بعد سبع شهور ..

وإذا كنت حا اخلف منك .. يبقى لازم تقعدى علشان تربى لى

الولد ولا البنيت اللى حاجيبه ..

وصرخت بأعلى صوتى :

— انشا الله يارب ينزل ميت .. أنا مش طايقاك .. مش

طايقاك .. اسمع يا عبد السلام .. إذا ما كنتش حاتطلقنى أنا

حا اخونك .. فاهم يعنى ايه أخونك .. حاروح اعرف واحد

تانى ..

وقبل أن أدرى ، رفع عبد السلام كفه وصفعنى صفقة أشعلت

النار فى وجهى كله ..

وصرخت :

— ماما .. ماما .. الحقينى يا ماما ..

وقال عبد السلام وهو واقف ثابتا منتصبا أمامى :

— أنا حاطلقك .. مش علشان انتى عايزه الطلاق .. إنما

الألك ما تنفعيش زوجة .. ما تنفعيش أم .. أنتى ما تربتيش ..

ما عندكيش مبادئ .. أنتى انسانه منحلّه .. أنا حا اطلقك لأنى

غلطت يوم ما اتجوزتك ..

ودخلت أمى .. وصرخت فيها :

— ضربنى يا ماما .. ضربنى ..

وقالت أمى وهى تخبط على صدرها :

— هى حصلت الضرب يا عبد السلام يا أبنى .. ده أنا

بنتى عمرها ما حد ضربها ولا حظ ايده عليها ..

وصرخ عبد السلام دون أن يلتفت الى أمى ، وعيناه

الغاضبتان تخنقان عنقى :

— روحى انتى طالق .. طالق .. طالق ..

ثم اندفع خارجا من الغرفة .. وعيناي متشبثتان به ، كأنى

كنت فى لحظة تمنى أن يعود الى .. أتمنى ألا تنتهى حكايتى معه

بهذه السرعة .. أن يترك لى فرصة أخرى ..

وصاحت أمى وراءه :

— طيب استنى يا عبد السلام أما نتفاهم ..
ولكنه خرج ..

وسمعت صوت الباب الخارجى يصفق وراءه فى عنف ..
وارتميت على ظهرى أبكى ..

بكيت بحرقة .. بكل أعصابى .. لم أبك فى حياتى قددر
ما بكيت هذا اليوم ..

وبطنى منفوخ يهتز مع بكائى ، كان الجنين يبكى معى .
وفى سدري بركان من الأحاسيس .. أحاسيس متضاربة
.. قاتمة .. حادة .. تنهش فى لحمى وأعصابى .. وآثار
صفعة عبد السلام لا تزال تحرق وجهى .. لقد أحسست بصفعته
كما لم أحس أبدا بصفعات هاشم الكثيرة .. صفعته مزقت
كرامتى .. أذلتنى .. ربما لأنها صفقة غضب .. وصفعات
هاشم صفعات حب واشتهاء .. ولكن رغم ذلك أحسست كأن
صفعة عبد السلام قد كشفت لى عن حقيقة كنت أجهلها فيه ..
اكتشفت أنه رجل .. قوى .. وشعرت بموجة عنيفة من الندم
.. الندم لأنه طلقنى .. يا ربى .. لماذا لم يصفعنى من قبل ..
لماذا لم يضربنى .. ويضربنى .. الى أن أفيق من جنونى ..
لماذا دللتنى الى هذا الحد .. لماذا سكت على .. لماذا تركنى
لهاشم ..

وتذكرت هاشم ..

كأنى كنت نسيته فى هذه اللحظات ..

والتفت الى أمى وهى واقفة بجانبى تحاول أن تسكت بكائى ،
وصرخت فيها بعصبية :
— هاتى التليفون ..

وقالت أمى فى أمى :

— حاتكلمى مين دلوقتى بس ؟
قلت صارخة :

— مالكيش دعوه .. هاتى التليفون .

وكرجيت صامته وعادت بالتليفون .. وأدرت رقم تليفون
هاشم ، وصرخت فيه من خلال دموعى :
— عاجبك كده .. ادينى اطلقت .. اتفضل بأه وتعالى
اتجوزنى ..

وسكت برهة ..

برهة طويلة ..

ثم قال فى صوت صارم :

— بعدين نبقى نكلم ..

ولم أحمله ..

قذفت بسماعة التليفون فوق الفراش .. وأخذتها أمى
وأعادتها الى مكانها فى هدوء .. وقالت لى فى فضول :
— قالك ايه ؟

قلت وأنا أعود وأبكى بكل دموعى :

— ما قالش حاجه .. سيبنى يا ماما .. وحياتى عندك
تسيبيني لوحدى ..

وتركتنى أمى ..

وعدت أبكى وحدى فى غرفتى ..

والبيت صامت حزين ..

وخالاتى الخمس قد انصرفن ، كأنهن انتهين من تشييع
الجنازة .. جنازتى !
ونمت ..

لا .. لم أنم ..

أغمى على ..

وفى اليوم التالى صحوت وأنا أفكر فى لقاء هاشم .. وأحس
وأنا أفكر فيه أنى أصبحت أكثر ضعفا أمامه مما كنت .. كأنى
فقدت سدى ..

وقلت فى التليفون .. وصوتى حزين ضعيف :

— أقدر أشوفك النهارده ..

قال كأنه لا يدري بمصيبتى :

— مش حااقدر وحياتك يا أمينه .. عندى كونسلتو الساعه

أربعه .. ومش حااقدر اعتذر .. اتصلى بى بكره ..

وأحسست بقلبى ينشق ..

هل بدأ يهرب منى ؟

لا أدري ..

ولا أريد أن أدري .. لا أريد أن أفكر ..

وقلت فى يأس واستخذاء :

— حاضر ..

واليوم يسير حزينا راكدا .. لا يحكمه شيء .. ولا حتى

أحاديث أمى الطويلة التى تحاول أن تخفف بها عنى .. أنها هى

الأخرى حزينة ، نادمة .. فكيف تخفف عنى الحزن والندم ..

وفى اليرم التالى ، رفض هاشم أن يقابلنى أيضا ، وقال

بصوت وضع فيه كل صدقه :

— وحياتك .. وحياتك .. مشغول .. إنما بكره ، لو النبى

نزل لى مش ممكن ما يخلنيش أشوفك ..

وصدقته ..

اضطرت أن أصدقه ..

وقابلنى ..

وقلت لأى أنى ذاهبة للقائه .. فى السيارة .. وقالت أمى

فى جزع :

— حاسبى يا ميتو .. انتى دلوقت فى العدة .. وعبد السلام

يقدر يعمل فيكى اللى هو عايزه .. كأنه لسه متجوزك ..

وابتسمت ..

أعجبتنى كلمة « العدة » .

لم تكن قد خطرت على بالى من قبل .. وفرحت بها ، كأنى

اشترت ثوبا جديدا أتخايل به .. وقد ظللت ألوك كلمة « العدة »

بعد ذلك فى كل مناسبة .. كأنى أطرقع بقطعة لادن فى فمى ..

وكان هاشم فى انتظارى ..

حرص على أن يذهب قبلى ، ليرضىنى ويظهر لى أنه على

اهتمامه بى ⁽²⁰⁾

وجلس بجانبى يستمع منى الى تفاصيل ما مر بى ، ثم اكتسى

وجهه بالجد ، وقال وهو ينظر بين يديه :

— اسمعى يا أمينة .. أنا عايز أكلمك بصراحة .. و ..

وقاطعته قائلة وأنا أدير وجهى عنه :

— عارفه انت حاتقول ايه .. ومش عايزه أسمع ..

والتفت الى وعلى شفثيه ابتسامه ميتة وقال فى تساؤل :

— حاتقول ايه ؟

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— حاتقول ان مش يعنى أنى اطلقت .. انك حاتتجوزنى

.. أنا قلت لك ميت مره انى ما اطلقتش علشان أتجوزك ..

قال :

— أنا مش عايز أضحك عليكى .. مش عايز أخدعك .. و ..

قلت :

— عارفه .. وأرجوك تسكت ..
ولكن ..

هل ففنت الأمل فى أن أتزوجه .. أبدا .. لقد جرنى هذا الأمل الى آخر الطريق .. ولكنى كنت أيامها أضعف من أن أفصح عن أملى وأدافع عنه .. وتبينت أنى كنت أرهب هاشم .. كنت أعتقد أنى أحترمه لأنه صريح ، ولا يكذب .. ولكنى فى الحقيقة كنت أرهبه .. أرهبه لوقاحته التى تصل الى حد أنه يستغنى بالوقاحة عن الكذب ..

وبعد خمسة عشر يوما أرسل لى عبد السلام ورقة الطلاق ..
طلقتى بلا شروط ..

حتى مؤخر الصداق ، وكان خمسمائة جنيه ، دفعة بمجرد أن ذكرته به أوى .. كأنه يبيعنى بأى ثمن ..

طلقت .

وأنا فى التاسعة عشرة من عمري .. حامل فى الشهر السابع .

والخوف والرغبة يملآن قلبى ..
وأصبحت حرة .

لا يقينتى شئ إلا هذا الحمل الثقيل الذى حملة على بطنى ..
واحتريت فى الشهور الأولى ماذا أفعل بحريتى .. كنت التقى بهاشم كل يومين أو ثلاثة .. لقاء ساعة أو ساعتين .. وكنت أقضى الوقت فى حديث لا ينتهى مع أمى عن الطلاق ، وعن زواجى من هاشم ، والأمل الكبير الذى تبنيه على كذبتى عليها .. وكنت أحمل بطنى وأخرج لأتمشى فى شارع البارون ، أنا وأخوتى ، استعدادا للولادة .. و .. والأيام تمر بطيئة

مملة .. وكنت أعلم هذا الملل بأنى حامل .. أو بأنى فى شهور العدة . ولا أستطيع أن أنطلق خوفا من أن يكون زوجى — السابق — يراقبنى ، رغم أنى كنت أعلم أنه لا يراقبنى وأنه لم يأت الى القاهرة منذ طلقنى ..

ولكن ..

انه ليس الملل ..

شئ آخر ..

انه الخوف ..

خوف أحاول أن أتجاهله .. وكلما اقترب يوم الوضع اقترب منى الخوف .. ويقترب الخوف أكثر .. أكثر .. حتى أصبح هلعاً .. هلع من أن أتحمّل وحدى مسؤولية الطفل الذى سأضعه .. بلا زوج بجانبى .. كنت أحس كأنى سأضع طفلا يتيما .. وبدأت أحس بالحياة الطويلة تمتد أمام هذا الطفل ويعيش فيها وحده .. بلا أب .. أبوه بعيد عنه .. كأنه ميت .. بل ، من يدري .. ربما لن يعرف أباه ..

وبدا اطمئنانى الى أنى حملت من عبد السلام ، يهتز .. يهتز بعنف .. ائى لست واثقة اليوم من أنه ابن عبد السلام .. وفى صدرى أمنية خبيثة بأن يكون ابنا لهاشم .. ان هاشم ، على الأقل ، بجانبى .. يستطيع أن يحمل معى مسؤولية هذا الطفل ، حتى لو أم يكن زوجى .. ولكن عبد السلام ذهب ..

وصحا ضميرى صحوة مفاجئة ..

انى أتعذب ..

يعصرنى عذاب الضمير .. ويصل بى العذاب الى حد أن أتمنى أن أعود لعبد السلام .. بل انى اتصلت به بالتليفون .. وحاولت أن أكون رقيقة معه .. وحدثته عن قرب يوم الوضع

لعلى أثير حنانه .. ولكنه كان جافا معى .. وأياسنى من عودتى اليه ..

واستسلمت ..

للخوف ..

للعذاب ..

والجأ الى هاشم .. انه كما هو .. لا شئ يجد عنيه .. ويقودنى فى لحظات الى فراشه ، رغم أنه يعلم أنه لم يبق الا أيام ، لارقد على فراش الوضع .. و .. وانتقلت الى المستشفى ..

انى الد ..

وأحشائى تتمزق .. كأن الجنين يحمل سكيناً يشق به طريقاً لنفسه الى الحياة .. وأصرخ .. وأضغط بكل أنفاسى لأطرد هذا الكائن من جسدى .. وأطلق عليه كل قواى .. وأتألم .. يا ربى .. ارحمنى .. وخيل الى أن هذا الألم ليس طبيعياً .. لأجد أن الله يعاقبنى .. يصب نقمته على ..

ولكن الألم لم يشل عقلى .. فى أشد لحظات الألم لا يزال عقلى يفكر .. ويتساءل .. ويتلطف على التعرف على الجنين .. والتعرف على أبيه ..

وفتحت عينى ..

وحملته الى الممرضة ..

هذا الشئ الذى عذبنى ..

بنت ..

ونظرت فى وجهها بعينين ملهوفتين ..

ومن النظرة الأولى عرفته ..

انه عبد السلام ..

زوجى ..

هل نرحت ؟ ..

— لا ..

اغتظت ..

وعدت أبحث فى وجهها .. كلها عبد السلام .. لونه .. أنفه .. شفتاه .. بل خيل الى انى لو فتحت فمها ، سأجد فيه سنة عبد السلام الذهبية ..

وعدت أبحث فى أصابع يدها .. فى قدميها ..

لا شئ من هاشم ..

ولا منى ..

وحمدت الله ، دون أن أفرح بحمده ، ورفعت عينى فرأيت أمامى عبد السلام ، وقد جاء ليحضر ولادتى ، وقال لى وهو يحمل طفلته بين ذراعيه .. ولهجته جادة كأنه يهددنى ، رغم ابتسامته :

— انتى خلاص بقيتى أم يا مينو ..

والبنت لازم تتربى كويس .. ومش ممكن تتربى كويس الا لو كانت أمها كويسة ..

وابتسمت له ، كأنى أقول له .. يا سم ..

ولكنه كان لطيفاً ..

حمل الى باقة من الورد .. ودفع أجر الطبيب ، ومصاريف المستشفى ..

وأمى وخالاتى الخمس يحطن بى ..

وباقات الورد ..

وكنت متعبة .. عدت ونمت ..

وصحوت فى اليوم التالى ، وشعورى بانى بلا رجل يقف بجانبى فى هذه المناسبة ، يعذبنى ..
واتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال منطلقا .. لا شىء يقلقه :

— بنت ولا ولد ..

قلت فى يأس :

— بنت (١٠:٥٠)

قال فى مرح :

— حلوه زى أمها ؟ (١٠:٥٥)

قلت :

— مش حاتيچى تشوفها ..

وتردد هاشم فى أن يعدنى بزيارته .. ولكنى أقتنعته بأن يأتى لزيارتى فى الساعة العاشرة مساء ، وضمنت له الا يكون أحد معى .. وقبل محرجا .. كأنه يجاملنى مجاملة كبيرة ..

وإدعيت النوم منذ الساعة الثامنة ..

وذهب الجميع حتى أمى ..

وجاء هاشم فى العاشرة ..

وأثار دخوله فى المستشفى همس المرضعات .. خرجن ليرينه .. وهو يقترب منى متخذا هيئة الجادة التى يقابل بها مرضاه .. وبعد أن خرجت المرضة التى أوصلته حتى غرفتى .. استراح بن هيئة الجادة .. وانحنى يقبلنى فوق خدى .. نظر الى ابنتى فى السرير الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. نظرة واحدة .. كأنها لا تهتم فى شىء .. وقال فى مرح :

— انتى أحلى (١٠:٥٥)

ثم التفت الى قائلا :

— سميتها ايه ؟ ..

قلت :

— لسه .. ايه رأيك ؟

قال :

— سميا على اسم مامتك ..

قلت :

— لا .. ذنبا ايه .. ده اسم ماما بلدى ..

كنت أنانية الى حد أن أرفض اطلاق اسم أمى على ابنتى ..

وقال هاشم :

— سميا .. هدى .. على اسم بنت أختى ..

قلت :

— حاضر .. خلاص .. هدى ..

وعاد هاشم ونظر الى هدى نظرة أطول من الأولى .. كأنه يبحث فيها عن شىء .. ثم عاد الى بوجه ضاحك .. وقال وهو يجلس على المقعد الموضوع بجانب سريرى ، ويميل على بوجهه حتى تلامس شفاه شفتى :

— أنا كان لازم أجيب لك هدية .. انما انتى عارفة ان عمري ما اشتريت حاجة .. ما عندش وقت أنزل ألف على الدكاكين .. ومن هنا ورايح لازم تعودى نفسك انك تشتري لى الهدايا اللى حاتمها لك ..

ثم أخرج من جيبه خمسين جنيها ، وضعها فى يدى ..

وحاولت أن أرفض ..

ولكن رفضى لم يكن الا ترردا سريعا ..

ونظرت الى أوراق النقد نظرة سريعة وأنا أحس كأنها التصقت

بيدى .. أحس أنى أضعف من أن ألقها من يدى ..

وقلت وصوتى محبوساً

— «ول كثير قوى يا هاشم ..»

وكانت الخمسين جنبها أكبر مبلغ أضعه فى يدي فعلا ، حتى هذا اليوم .. كان زوجي لا يعطيني فى يدي أكثر من عشرة جنيهات ، كمصروف خاص .

وقال هاشم :

— ما فيش حاجة كثيره عليكى .. كل اللى عندي بتاعك .

قلت :

— بس حاقول ايه لما ..

قال وهو يضحك :

— خبيهم لغاية ما تشتري بيهم حاجة ..

والتوت أصابعى على النقود ..

والتوت كل حياتى ..

وتحررت بعد أن وضعت ابنتى ..

ندمت على طلاقى ، أصبح ياسا .. والياس أراحنى ..

وابنتى لم تشغلنى .. تركتها كلها لأمى .. لم أكن أحتاج إليها الا لأتخايل بنفسى كام ، أما م الضيوف .. أو عندما أضعها فى عربتها الصغيرة وأذهب بها الى نادى مصر الجديدة ، وأدفع أهامى العربية وأنا أتلفت حولى فى خيلاء كأتى أتباهى بثوب جديد ، أو تسريحة جديدة لشعرى .. لم أحس بلهفة الأم .. ولا بجزع الأم .. ولا بوقار الأم واحترامها لنفسها .. كل ما كنت أحس به هو انانية الأم .. كنت أحس بأن هدى ابنتى أنا .. ملكى أنا .. ومهما تركتها لأمى ، وحميتها مسؤوليتها فقدت كنت أحرص بين حين وآخر على أن أشعرها بأن هدى ابنتى أنا .. وكنت أفتعل معها مشاجرات صغيرة حول أمور تخص ابنتى أنا ..

ربما لأنى كنت لا أزال صغيرة .. أصغر من أن أشعر بمسؤوليتى كام .. وكانت ابنتى مجرد عروسة الهو بها .. وربما لأن أيامها كان مستقبلى يشغلنى عن مستقبل هدى .. وحبى لنفسى يشغلنى عن حبها ..

وانطلقت ..

الى أخر ما أستطيعه من انطلاق ..

عدت كأتى فتاة لم تتزوج بعد .. عدت أصغر من سنى أنتقى ثيابى كثياب الفتيات .. البس البنطلون وأركب دراجة الهو بها فى شوارع مصر الجديدة .. واتخذت صديقاتى كلهن من البنات .. نذهب الى حفلات السينما الصباحية ، ونأكل السندويش فى محل البامبو بشارع سليمان باشا .. ولم أكن أسمع كلام أمى وهى تذكرنى بأنى مطلقة ، وأن المطلقات لهن وضع خاص فى المجتمع .. كلام فاضى .. أن المطلقة قد تختلف عن الزوجة ، ولكنها لا تختلف عن البنت .. كلتاهما ليس لها زوج .. وما تستطيع المطلقة أن تفعله ، تستطيع البنت أيضا أن تفعله ..

كان الشيء الوحيد الذى يحد انطلاقى هو حبى لهاشم ..

كان هاشم هو الرجل الوحيد ..

وهو الشاغل الوحيد ..

أحادثه فى التليفون أكثر من مرة فى الصباح .. وأكثر من مرة فى المساء .. وأستأذنه قبل أن أخرج .. وأقول له تصبح على خير قبل أن أنام .. وأسمع كلامه .. الوحيد الذى أقول له ، حاضر .. حاضر .. حاضر .. وأعيش فى انتظار لقائه .. كل يومين أو ثلاثة .. ساعة أو ساعتين ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

ربما التصقت بحياته أكثر .. ولكنه لم يعطني شيئا أكثر ،
كل ما أعطاه أكثر هو نمره تليفون شقيقته التي يقيم معها وسمح
لي أن أحادثه هناك بعد منتصف الليل ، بعد أن يعود من سهرته
مع أصدقائه ، لأقول له .. تصبح على خير .. وفرحت بنمره
تليفون شقيقته .. وفرحت بصوتها عندما ترد في المرات التي
لا يرد فيها هاشم .. بل أتى أتعمد أن اتصل بها وأنا أعلم أن هاشم
ليس في البيت .. فقط لأسمع صوتها .. أو على الأصح لأحتم
نفسى في بيتها .. وكنت أتعمد أن أقول لها اسمى صريحا ..
أمنية .. وأضع في حديثي معها رقعة وخفرا ، أكثر مما أضعه
في حديثي مع هاشم .. ورغم الجفاء الذي كانت ترد به على
.. جفاء مغلف بأدب ووقار .. فقد اعتبرت نفسى صديققتها ..
بل أتى نى مناسبات كثيرة عندما كانت تأتى سيرة هاشم بين
صديقاتى أو صديقات أمى ، كنت ادعى كذبا أتى صديقة أخته ..
ومع مرور الأيام ، لم يعد يكفينى ما أخذته من هاشم ..
أريد أن ألقاه كل يوم ، وأريد أن أتحدث اليه وعنه طول اليوم ..
ولكنه دائما مشغول .. انه لا يزال يلقتانى كل يومين .. بل
أتى اكتشفت انه يلقتانى فى أيام محددة .. السبت .. والاثنين
.. والخميس .. دون أن نتفر على أن يكون لقائنا فى أيام
محددة .. فاذا حادثته فى تليفون العيادة ، فهو دائما على عجل
.. يلقتى الى بهذه الكلمات القصيرة السريعة .. فاذا حادثته فى
البيت فهو أيضا على عجل ، يريد أن ينام أو يريد أن يخرج ..
ثم اكتشفت أنه يكره أن يطيل فى حديث التليفون ، كأن كل من
يحادثه فى التليفون مريض من مرضاه يريد أن يعرف حالته
بسرعة ، وينتهى ..

ثم أتى لم أكن أستطيع أن أتحدث عنه الا مع أمى .. وحديثى

عنه مع أمى ثلاثة أرباعه كذب .. لم أكن أستطيع أن أقول لها
أين نلتقى .. ولا ماذا نفعل عندما نلتقى .. ولا ماذا نقول ..
كنت أولف لها قصصا خيالية عن حب برىء ساذج ، ومستقبل
سعيد باسم ..

ثم ..

لم أعد أستطيع أن احتفظ بسرى فى صدرى .. ولا بينى
وبين أمى ..

قررت أن أفشى سرى ..

همست به الى أقرب صديقاتى .. ثم الى صديقة أخرى
.. وثالثة .. ورابعة .. وكن لا يصدقننى .. كأن هاشم شيء
كبير ، لا أستطيع أن أصل اليه .. فكنت أحادثه فهاهمين فى
التليفون .. حتى يصدقننى ..

ولم أكن أدري عندما سأفشى سرى ، سأكتشف جانبيا
من حياة هاشم كان غائبا عنى .. سأكتشف أتى لست وحدى
فى حياته ..

ان كل واحدة من صديقاتى حملت الى قصة من قصصه ..
مغامرة من مغامراته .. واحدة تقسم أنه على علاقة بسيدة
متزوجة .. وثانية تقسم أنه على علاقة بطالبة فى الجامعة ..
وثالثة تقسم أنه يحب فتاة من نادى الجزيرة .. و .. و ..
وكنت لا أصدق ..

ان رجلا مثل هاشم لا بد أن تحيط به الاشاعات .. انه اذا
صافح فتاة وابتسم لها ، فلا بد أن يطلق الناس وراءه حكاية ..
ولكن ..

لماذا لا اصدق ؟

أن السهولة التي تعرفت بها اليه ، والبساطة التي أخذني بها ، توحى بأنه رجل مغامرات ..

وبدأت أغار ..

كأن عشرات الصراير تزحف داخل قلبي ، وخلة من النحل تطن في رأسي ..

وكنت أقول لهاشم ما أسمعته عنه ، فكان يضحك ضحكة كبيرة ، ويقول :

— ما تصدقيش .. انتي عايزه واحد زيي عايش لغاية دلوقت من غير جواز والناس ما تتكلمش عليه .. لو كان كلام الناس صحيح كان زمانى مع نص ستات البلد ..

قلت وأنا لا أصدقه :

— طبب ما تتجوز علشان الناس تبطل كلام ..

وسحب ضحكته ، ونظر الى نظرة جادة حزينة ، وقال فى صوت جاف :

— لو كنت عايز أتجوز كنت اتجوزت ..

قلت كائى اتحداه :

— وهش عايز ليه ؟ ..

ولم يرد على .. قام من جانبي .. والتقط كتابا من كتبه الطبية أخذ يقرأ فيه ، كعادته عندما يكون غاضبا منى .

وفضلت أن أسكت ..

لم أتكلم ..

والغبيرة تقرص قلبي ، وتلف براسى ...

وقد تعمدت يومها ، قبل أن أخرج من شقة هاشم ، أن أضع منفضة السجائر فى مكان معين ، حتى اذا عدت مرة ثانية

ووجدت مكانها قد تغير ، عرفت أنه كان فى الشقة .. وما دلم

كان فى الشقة ، فلا بد أنه كان مع امرأة ...

وعدت ..

ووجدت منفضة السجائر قد تغير مكانها .

وقلت له وأنا أضغط على أعصابى حتى لا انفجر .

— انت كنت هنا يا هاشم ؟

ورد بسرعة :

— لا ..

قلت :

— ما جيتش هنا أبدا ، من يوم ما كنا مع بعض ..

قال فى هدوء :

— أبدا ..

قلت فى حدة :

— انت كذاب ..

ورفع حاجبيه فى دهشة ، كأنه يتعجب لجرأتى عليه ..

وسكت .. وعدت أصرخ :

— أنا متأكدة انك كنت هنا ..

وقال فى برود :

— اتأكدتى ازاي ؟ ..

قلت :

— مش حاقول لك .. انما أنا متأكدة ..

قال :

— ما دلم مش حاتقولى اتأكدتى ازاي يبقى ما تسألنيش ..

قلت فى تحد :

— طقطوقة السجائر أنا حاطاها بايدي هنا .. تسمح تقول
الى ايه اللي نقلها من مكانها .. نطت لوحدها ؟ ! ..
وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم اقترب منى واخذنى بين ذراعيه ،
وقال :

— انتى عبيطه ..

قلت وأنا انظر اليه والغضب يملأ عيني الواسعتين :

— عبيطه ليه ؟ ..

قال ضاحكا :

— انتى نسيتى ان عم محمود البواب بيطلع ينضف الشقه
كل يوم .. وضرورى لقي الطقطوقة مش فى مكانها .. رجعها
لمكانها .. ثم أنا قلت لك انى ساعات باجى هنا علشان أستريح
.. بس من يوم ما كنا مع بعض ما جيتش ..
قلت !:

— وطبعاً بتيجى لوحدهك ..

قال وهو يلتقط شفتى بشفتيه :

— الأ .. ساعات باجى معاكى ..

ولم أصل الى شىء ..

ولم أسرح ..

أصبحت اذهب الى الشقة كأنى كلبه من كلاب الصيد .. اشم
الوسائد لعلى أجد فيها رائحة امرأة أخرى .. وأبحث عن أعقاب
السجائر لعلى أجد عقبا يحمل آثار شفاه .. وأدخل المطبخ
لعلى أجد بقايا كأس أو فنجال قهوة .. ثم بدأت أفتح الأدراج
الكثيرة ، التى لم يكن يهمنى أن أفتحها .. وأفتش .. وأفتش ..
ويتركنى هاشم أفعل كل ذلك دون أن يعترض .. الى أن وجدت
أخيراً شيئاً ..

وجدت صورة امرأة .. فى مثل سننى ..
تحمل طفلة فى مثل سن ابنتى .. وبحلقت فيها هلمى يقفز
الى حلقى ، وقلت فى صوت مرتعش :

— مين دى يا هاشم ؟

وجاء ووقف وراء ظهري ثم قال بلا مبالاة :

— دى واحده كنت أعرفها قبل ما أعرفك ..

وأخذت أبطق فى الصورة ..

أنا أجمل منها ..

ألف مرة ..

وابنتى أجمل من ابنتها ..

ألف مرة ..

وعدت أقول لهاشم :

— وما تلتليش عليها ليه ؟

قال وهو يبتعد عنى :

— أنتى عارفه انى ما احبش أتكلم عن حد من اللى عرفتهم ..

وبقيت أبطق فى الصورة ..

وفى هدوء أخرجت من حقيبتى قلم الكحل ، وبدأت أرسم

غوق وجه المرأة شنباً ، وذقناً .. ثم لغمطت وجه ابنتها بالسواد

.. ثم ألقيت بها فى الدرج ..

ولم أهدأ ..

الغيرة على هاشم تستبد بى .. والقصاص التى ترويهها

البنات عنه لا تنتهى .. وأجن عندما أنصل به فى التليفون فلا أجد

فى العيادة ، أو فى البيت .. لا بد أنه مع امرأة أخرى .

وفى يوم كنت فى شارع سليمان باشا اشتريت بعض

ما احتاج اليه ، ومررت من أمام العيادة .. وفجأة خيل الى أن

هاشم الآن مع امرأة .. من يدري .. ربما لم تكن الفيرة وحدها هي التي شعرت بها ساعاتها .. وانما احساسك كان من حقى ان افرض عليه اكثر من حقوق اى امرأة اخرى .. وايضا كنت فى شوق اليه .. فى شوق لان التقى بأفنه الكبير ولو فى نظرة واحدة ..

ودون ان افكر صعدت الى العيادة ، واستقبلنى التومرجى المهذب ، وأشار لى بيده الى غرفة انتظار السيدات ، فقلت له بحزم :

— أنا مش عيانه .. أنا قريبة الدكتور .. وعزيزه أشوفه دقيقه واحده .. مسأله مهمه .. قول له أمينه ..

وقال التومرجى فى ادب وهو ينظر الى كأنه لا يصدقنى :

— اتفضللى انتظرى لغاية ما اديله خبر ..

قلت بحزم أكثر :

— لا .. خش له دلوقتى .. هو عارف ..

وعاد التومرجى ينظر الى كأنه لا يصدقنى ، ثم دخل الى غرفة هاشم ، وعاد بعد لحظات يقول لى دون ان يفقد ادبه :

— الدكتور بيرجو سيادتك انك تنتظرى لما ييجى دورك ..

وأحسست بدمائى ترتفع الى رأسى ، ونار تطفح وجهى ، وقلت وأنا أبتلع الاهانة :

— معلش .. حابقى أتصل بيه فى التليفون ..

وخرجت ، وأنا أحس بقطرات العرق تبلبل ثيابى .. واتساءل .. ترى لو كنت زوجته ، هل كان يرفض مقابلتى .. وتجسم فى

خيالى ساعاتها وضعى بالنسبة لهاشم .. أحسست كأنى شىء يتسلل اليه فى الظلام .. وسأبقى دائما فى الظلام .. أحسست

كأنى لا أستطيع ان أصل اليه الا من الباب الخلفى .. وسأبقى

دائما أصل من الباب الخلفى .. وتمردت .. وتمردت على هذا الوضع .. وأحسست كأنى أحاول ان أنقذ نفسى .. بل وأنتقم من هاشم الذى يرضى لى بهذا الوضع .. ولكن تمردى لم يستمر سوى لحظات ..

وعدت واتصلت به فى التليفون .. وسمعته يصرخ ، بمجرد ان سمع صوتى ، وقبل ان أتكلم :

— ازأى تسمحنى لنفسك تيجى العياده .. انتى اتجننتى ..

وقلت وأنا أحاول ان أرفع صوتى على صوته :

— ازأى ما تقابلينيش ..

قال صارخا :

— انتى عارفه كويس أنى مش ممكن أقابلك فى العياده

الا لو كنى عيانه .. ويوم ما حانعى لازم تستنى دورك ..

قلت وأنا أتراجع :

— ده أنا كنت عايزاك دقيقه واحده ..

قال وهو لا يزال يصرخ :

— ولا نص دقيقه .. لو أمى قامت من قبرها مش ممكن

أقابلها فى العياده .. فاهمه .. العياده دى للعيانين بس ..

ثم ألقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وغضب ..

ولم أكن أستطيع ان أحتمل غضبه .. حاولت .. احتملت

يوما كلاما لم أحادثه فى التليفون .. ولكنى لم أحتمل يوما آخر .. ولم أحتمل تصور ان أبقي غاضبة منه ..

واتصلت به فى اليوم التالى ..

ولكنه تدلل ..

مضى أسبوع وهو يتدلل .. لا يزال غاضبا ..

وبكيت له فى التليفون ..

وعاد الى لقائى ..

وعادت الأفواه الصغيرة تشرب .

ولكنى أغار عليه ..

أعصابى تعصرها الغيرة ..

وأحالتنى الغيرة الى امرأة .. نسيت دور الفتاة الذى كنت

أعيش فيه عقب أن ولدت هدى .. انى امرأة .. امرأة تغار ..

بكل ما نى المرأة الغيور من عنف وجنون ..

واكتشفت أن الوسيلة الوحيدة لارتاح من غيرتى هى أن

أملأ كل وقت هاشم .. الا أترك له دقيقة واحدة تستطيع أن

تعيش فيها امرأة أخرى .. الا أترك منه نفسا قائدا على أن

يمتع به امرأة أخرى ..

وكنت أفعل المستحيل لالتقى بهاشم فى كل وقت يستطيع

أن يلقانى فيه ..

ولكنى بدأت أصطدم بزواج أمى ..

أنه يحاسبنى ..

انه يذكرنى فى كل دقيقة بأنى مطلقة ...

وهو يمتنعى من الخروج .. وأحيانا يدخل الى وأنا أتحدث

فى التليفون ، ويشخط فى بلهجته العسكرية :

— كفيه بأه .. أنا عايز التليفون ...

وأسى تساعدنى أحيانا .. وفى أغلب الأحيان أحس أنها

تسلطه على حتى يحد من حريتى ..

ولكى أتخلص من زوج أمى ، بدأت أكثر من التردد على أبى ..

وكان أبى أيامها قد طلق زوجته الرابعة ، وتزوج الخامسة ..

امرأة أصغر منه بحوالى عشرين عاما .. سمراء .. فقيرة ..

كانت تعمل مدرسة فى إحدى المدارس الأهلية .. وأمى تقول

أن أبى لم يتزوجها ، ولكنها كانت تعيش معه منذ عامين ، فى

شقتة الخاصة .. بعد أن طلق زوجته الرابعة ، جاءت لتعيش

معه فى بيته .. بلا زواج ..

ولم أهتم كثيرا بكلام أمى .. ولم أناقش فيه أبى .. ان

حياة أبى لم تعد تصلح لأن يناقشها أحد .. انه يعيش لمتعته ..

يشرب كل يوم زجاجة كونيكا ، ويملا كرشه بطعام دسم ، ويتزوج

.. ويتكلم عن الجنس بصراحة ، ويطلق الكلمات الكبيرة ببساطة

ومداعباته كلها — حتى لى — مداعبات جنسية جريئة .. و ..

ويبيع كل عام خمسة أفدنة من أرضه .. ولا عمل له ..

ورغم ذلك فهو انسان طيب .. ضعيف .. ويحبى .. أنا

ابنته الوحيدة .. يحبنى انى حد أن يحتفظ لى بغرفة فى بيته ،

رغم أنى لم أكن أقيم معه ..

حياته مختلفة تماما عن الحياة التى تعيشها أمى مع زوجها

.. حياة ليس فيها تقاليد ، ولا روابط ، ولا مبادئ ، ولا كيان ..

ولا طابع العائلة .. ولا أحد يستطيع أن ينقذه من هذه الحياة ..

أنه فى الخمسين من عمره ، ولا أمل فيه .. ولا أمل فى إنقاذ

بقية أرضه التى يبيع فيها ..

ولم أكن أتمنى أن أعيش حياة أبى .. كنت أحبه ، وأشفق

عليه .. ولكنى لا أتمنى أن أعيش حياته ..

ولكن ..

هاشم دفعنى الى هذه الحياة ..

ربما دون أن يقصد ..

بل وربما لم يكن يعلم شيئا عن حياة أبى .. ولكنى اندفعت

الى هذه الحياة من أجله ..

بدأت أتردد على أبي كثيرا ، كحجة أتخلص بها من رقابة زوج أمي .. وأبقى معه ساعة ، أو أتناول معه طعام الغداء ، ثم أخرج الى لقاء هاشم .. دون أن يسألني أبي الى أين أذهب .. ودون أن تفكر أمي في أن تطمئن على بالتليفون .. فزوجها يحرم عليها أن تتحدث الى أبي الا في المناسبات الرسمية .. كيوم زواجي .. ويوم طلاقتي ..

ثم بدأت أبيت عند أبي ، بحجة انه مشتاق الى ابنتي هدى .. وكنت احبب ابنتي ونقضي معه ليلة او ليلتين .. أحاول خلالهما ان أكسب صداقة المرأة التي تعيش معه .. سواء كانت زوجته أو لم تكن .. لم يكن يهمني ان اعرف اى صنف من النساء هي .. لم أبحث في أصلها وفصلها .. كان كل ما يهمني ان أكسبها الى جانبي ، حتى تساعدني في حيلي ، وتتستر على جنوني . ولم أكن يابها أعلم اني كسبت الى جانبي ثعبانا ساما نفت السم في حياتي كلها .. ثم أصبحت أذهب الى أبي وحدي .. أترك ابنتي عند أمي .. وأذهب لأنام عنده .. ولكني لم أكن أنام عنده .. كنت بع هاشم ..

وهاشم يأخذ كل هذا ببساطة ..
نقضى معا ليلة مجنونة ..

ثم يعود في الصباح كما كان .. الدكتور هاشم .. الذي لا يشغل نفسه الا بمرضاه .. وليس في عقله مكان الا لمرضاه ..
كنت أشعر اني أستولي على حياته ..

وكنت أشعر في الوقت نفسه ، بأنى أمزق حياتي .. بأنى أجرى في طريق خطر .. وكنت أحاول أن أقاوم .. بدأت أقاوم .. ولكنها كانت مقاومة لحظات ، ثم تذوب ..

كنت قد بدأت أعود عليه ..

على هاشم ..

على هذا الجنون ..

وهو أيضا بدأ يتعود على ..

وتعودى يزيدنى ضعفا اليه ..

وتعوده يجعله يقبل على .. انه لن يجد فتاة مثلى .. في

سنى .. وفى جمالى .. ومن عائلة .. ومطلقة .. تعطيه

كل هذا ..

و ..

وأى بدأت تياأس من أن أتزوج هاشم .. انها تسألنى كل

يوم .. وتلخ فى سؤالها .. وأنا أصرخ فيها :

— يا ماما لاؤم تعرفى ان فيه ظروف تمنعه من انه يتقدم

دلوقت ..

وتقول أمي :

— واحنا ذبننا ايه فى الظروف دى .. الناس بدأت تتكلم ..

ولاؤم نشوف لنا حل ..

وألفت لها قصة .. قلت لها أن هاشم خطبه أبوه قبل أن

يموت لابنة عمه ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يتزوج الآن ..

ولكنه يحاول أن يتخلص من هذه الخطبة .. انه لا يحب ابنة

عمه .. ولا يريد لها .. و .. و .. ويجب أن تنتظر .

ولكن أمي ضاقت بالانتظار ..

وبدأت تبحث لى عن زوج ..

وانطلقت خالاتى الخمس يبحثن معها ..

وعندما تجتمع أمي وخالاتى للبحث عن عريس .. فلا بد

أن يجده ..

وأنا ساكنة ..

والواقع أن جزءاً من عقلى كان ينبهنى الى مستقبلى .. كان
يحدرنى من حبى لهاشم .. وكنت أتمنى أن ينتصر هذا الجزء
على ، وأن يملى على ارادته ..
وجاء العريس ..

مدحت ..

ضابط شاب .. فى الثلاثين من عمره .. وسيم ، قوى
الشخصية ، تفوح منه رائحة الرجولة الطيبة الهادئة .. رأتى
من بعيد على شاطئ ميامى .. وجاء يخطبنى ..
كل الذين خطبونى ، رأونى من بعيد .. لا أحد عرفنى من
قريب .. وخطبنى ..

أحسست أنى سأحرم من هاشم .. ومن جنونى معه وقلت
لامى :

— مش عايزه أتجوز دلوقتى .. أنا ما بقاليش منه مطلقه
.. ومش عايزه أكرر غلطى مع عبد السلام .. يعنى يعجبك
أتجوز وأنا باحب واحد تانى ..

وقالت أمى وعيناها تلمعان بذكائها :

— انتى مش بتقولى إن الدكتور بيحبك ؟

قلت فى اصرار :

— أيوه ..

تالت وذكأوها بيتسم :

— خلاص .. لو كان بيحبك صحيح .. يبقى مش حايسيك

تخطبى لواحد تانى .. حايجى جرى ويخطبك ..

وابتسمت بينى وبين نفسى .. ابتسامة هزيلة حزينة ..

ان أمى لا تعرف هاشم ..

ورغم ذلك حاولت ..

ذهبت الى هاشم وأبلغته انه تقدم لخطبى أحد الشبان ..

ونظر الى كأنه يفحصنى ..

ثم أطرق برأسه .. وخط حزين داكن يشق جبينه .. وقال :

— رعايزانى أعمل ايه ..

وأحسست . جاعتها بأنى أنصب عليه .. أحتال عليه ..
وكلى اضطراب كئى نشالة لا تزال تحت التمرين ترتعش
يدها وهى تضعها فى جيب أول زبون .. وقلت كئى أبىء
نفسى من تهمة النصب :

— بدأ .. عايزاك تسأل عليه ..

ورفع الى عينيه كأنه يتهمنى بالوقاحة ثم قال فى تهكم :

— حاضر .. حاسأل عليه ..

واقترت منه ، وجلست على ركبتيه وقلت وأنا أقرب شفتى
من شفتيه :

— انت زعلت ؟ ..

قال :

— لا .. أبدا ..

وابتعد عن شفتى وقال وهو ينظر اليهما من بعيد :

— شفايفك دول ، بكره واحد تانى حايبوسهم ..

والقيت رأسى على كتفه ، وقلت والدموع تطفر من عيني :

— انت اللى عايز كده ..

قال :

— أنا مش عايز أتجوز .. انتى اللى عايزه تتجوزى ..

قلت :

— غصب عنى ..

قال وهو يتنهد :

— عاف ..

ولم أسأله لماذا لا يتزوجنى ، ما دام يفضبه أن أتزوج غيره ..
كنت أعرف رأيه مقدما .. إنه لا يخدعنى .. لا يعدنى ..
يستغنى بوقاحتة وغروره عن الخداع والكذب ..

وقد سألت عن مدحت فعلا .. كان له صديق من ضباط
الجيش سأله عنه ..

وعلم مدحت أن الدكتور هاشم يسأل عنه .. فسأل أهلى ..
.. فأنكر الجميع أنهم يعرفون الدكتور هاشم .. وسأل أكثر
حتى التقطت أذناه الكلام الكثير الذى يتردد عنى وعن هاشم ..
وتراجع فى خطبتي ..
ذهب ..

ولا زلت حتى اليوم أحس بالندم والحسرة يشقان صدرى
كلما تذكرت مدحت .. كان رجلا .. وكان وسيما .. وكان
طيبا .. انه خير من أرادنى حتى اليوم .. وأرادنى زوجة ..
وبعد يومين ..
يومين فقط ..

كنت فى طريقى لزيارة أبى .. وخطر لى أن اذهب اليه عن
طريق الزمالك .. ثم خطر لى أن أمر من أمام العمارة التى تضم
شقة هاشم .. لا أدرى لماذا .. ربما كان هناك احساس فى
قلبى يدفعنى الى المرور من أمامها .. وكانت الساعة الرابعة ..
نفس الموعد الذى تعودت أن ألتقى فيه بهاشم ..

وأمام باب العمارة ..

وجدت سيارته ..

وارتعشت ..

ماذا يفعل هنا ؟ ..

وسح من ؟ ..

وأوقفت التاكسى .. وترددت .. والنار تلسعنى فى كل
مكان منى .. فى عيني .. فى شفتى .. فى قلبى .. نار الشك
.. الغيرة ..

وقفزت من التاكسى .. كائى أهرب من النار ..
وصعدت ..

وضغطت على الجرس بيد ترتعش .. ودمائى كلها هاربة
منى .. أحس بقشعريرة تسرى فوق جلدى ..
رفتح هاشم الباب .. بعد مدة .. مدة طويلة ..
مرتديا القميص والبنطلون ..

وقال وهو ينظر الى بوجه مكفهر ، ويسد الباب بقامته :
— ايه اللى جابك ؟ ..

قلت وأنا لا أزال أرتعش .. وصوتى يرتعش :
— أتقدر أخش ..

قال وهو لا يزال يسد الباب بقامته :
— مش معقول يا أمينة اللى بتعمليه ده و ..

وتاطعته وأنا أحس بعينه جاحظتين :
— من فضلك خلينى أخش ..

ورأى هاشم سحب الجنون الأصفر متجمعة فوق وجهى ،
وتلفت الى أبواب الشقق المجاورة ، ثم كآته خاف الفضيحة
أزاح نفسه عن الباب وتركنى أدخل ..
وتلفت فى الصالة الخارجية ..

ثم جريت الى غرفة النوم .. كائى أجرى الى النار ..
ورآيتها ..

وتعلقت بساقيه وهو واقف منتصب فوق جسدى الملقى تحت قدميه ، قلت وأنا أبكى كل دموى :

— ما تعملش فى تانى كده يا هاشم .. احلف انك مش حاتعمل فى كده تانى .. مش عايزاك تعرف واحده غيرى أبدا .. أبدا ..

وسقط بجانبى على الأرض ، واخذنى بين ذراعيه وقال كلمته التى يقولها دائما :

— اننى مجنون ..

بحثت عن شفتيه ، كأنى أريد أن أطمئن أنهما لا زالتا لى .. وألقيت نفسى بينهما .. كل أعصابى .. كل نارى .. وضعنا فى لحظة جنون ..

رقلت وأنا مسترخية بجانبه ، وأعصابى تتهد :

— عيلت كده ليه يا هاشم ..

قال وهو يدخل سيجارته :

— انتى السبب ..

قلت فى دهشة :

— أنا ! ؟ ..

قال :

— مش معقول أعرف انك بتتخطبى وبعد كده عايزانى أتعد لوحدى .. كنتى عايزانى أعمل ايه .. أقعد أعيط .. ولا أنتحر ..

وسدقته ..

وابتسمت فى راحة ..

وتلت أنا وابتسامتى :

— ومين دى ؟ ..

قال :

كانت واقفة فى ركن الحجره .. مرتدية ثيابها كلها .. صغيرة ليست أصغر منى .. جميلة .. ليست أجمل منى .. وترتعش من الخوف ..

وصرخت فيها .. وهاشم ورائى :

— تعلمى ايه هنا ؟ ..

ولم ترد على .. لا تزال ترتعش ..

وقال هاشم فى هدوء :

— ما تزعقيش .. وكلمينى أنا ..

ولكنى عدت أصرخ فى الفتاة وأنا أنشب عينى فى وجهها :

— اتنى مش عارفه انه بيحب واحده .. بيحبنى أنا ..

وجذبتى هاشم من ذراعى جذبة قوية لبيعدنى عنها ، قائلا :

— قلتك ما تزعقيش ..

وانتهزت الفتاة فرصة إبعادى عنها .. وجرت الى الباب .. خرجت ..

رالتفت الى هاشم وأنا أصرخ :

— انت مجرم .. أنت سافل .. عايز ايه أكثر من كده ..

أعمل لك ايه أكثر من كده ..

وسحابة حمراء تملأ عيني .. وأعصابى كلها السننة من النار ..

وأخذت أطوف فى الحجره كالجنونة ، وأنا لا زلت أصرخ :

— انت مجرم .. انت سافل ..

ثم رفعت أنية الزهر ، وحطمتها على الأرض ..

ورفع هاشم كفه وصفعنى صفعة قوية .. أوغعتنى على

الأرض .. بجانب الأنية المحطمة ..

— راحدة ..

قلت :

لازم أعرف مين دى ..

قال وهو يدير وجهه الى الحائط :

— راحده مافيش بينى وبينها حاجة ..

قلت :

— واللى مافيش بينك وبينها حاجة ، جايه هنا تعمل ايه ؟

قال وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :

— كنت متضايق .. وهى كمان كانت متضايقه ..

ثم التفت الى وقال وهو يبتسم :

— خلاص .. انسى كل حاجة ..

قلت :

— بعنى مش حاتعرف حد تانى أبدا ..

قال :

— بدأ ..

قلت وأنا أبتسم له :

— وأنا كمان مش حاتخطب تانى أبدا ..

وعندما عدت يومها الى البيت بكيت .. بللت الليل كله

بدموعى .. لا أدري لماذا .. ولكنى كنت احس بأنى ضعيفة

.. ضعيفة .. أضعف مما كنت ..

وحانظت على وعدى ..

رفضت كل الخطاب الذين جاءت بهم أمى وخالاتى .. كنت

فى الأول أتهرب بأعذار ملفقة .. ثم بدأت أتحدى .. لا أريد أن

أتزوج ..

واصيرارى هذا فضح حبنى لهاشم .. عرفته خالاتى الخمس

.. وعمرته كل سيدات العائلة .. وكلهن فوق رأسى يحذرننى ..

ويؤكدس لى أن هاشم لن يتزوجنى .. ويعرضون فى كل يوم

خطيبا جديدا .. ويذكرننى بابنتى .. ومستقبلها .. وكلام

الناس عن أمها ..

وأنا أجن ..

والحياة تضيق بى .. والجميع ضدى .. يخنقون أنفاسى ..

ويخنقون حرىتى ..

أصبحت أكره كل شىء ، الا لحظات لقائى بهاشم ..

كرهت حتى ابنتى .. لم أعد أطيق بكاءها .. ولا أطيق

الاهتمام بها .. وكنت أضربها .. بلا سبب كبير يستحق الضرب

.. كانت ظلومة معى ..

واعسالى تالفة ..

ثم ..

خطر لى خاطر مجنون ..

وجريت الى هاشم وقلت له وأنا أحاول أن أفكر فى

هدوء ..

... اسمع يا هاشم .. أنا حاقول اتنا مخطوبين ..

وقال وهو ينظر فى دهشة :

... تقولى لمين ؟ ..

قلت :

— للناس اللى بنجننى .. انتمش عارف بيعملوا فى ايه ،

كل ساعة يجيبولى سيرتك .. وكل ساعه عايزين يجوزونى ..

لو قلت اتنا مخطوبين ، على الأقل حايطلوا يجيبولى عرسان ..

قال فى برود :

— بس احنا مش مخطوبين ..

قلت :

— سارفة .. عارفة اننا مش مخطوبين .. انما حاقول كده ..

قال كأنه يفحص مريضاً :

— بسر ده مش حايعمل حاجة .. مش ممكن نقول ان احنا مخطوبين .. واحنا بنتقابل بعض فى السر .. واهلك ما يعرفو: يش ، ولا أنا اعرفهم ..

قلت فى اصرار :

— حاقول اننا مخطوبين فى السر ..

قال :

— وبفتكرى الناس حاصدق ..

قلت :

— ما يهمنيش الناس تصدق ، انما يهمنى انى اقول كده ، علشان ما حدش يكلمنى ..

قال :

— بس أنا مش موافق .. واللى حايسالنى حاقول له اننا مش مخطوبين ولا حاجة .. واكثر من كده .. أنا باقول اننا ما نعرفمش بعض خالص ..

قلت :

— قول للى انت عايزه .. وأنا اقول للى أنا عايزاه ..

وهدت كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

— يا ايه اعقلى .. انتى ما تقدرينش تعيشى فى كذبه ..

ولكننى ه مهمت ..

صهبت على ان اعيش فى كذبة ..

كذبة كبيرة ..

اعتقدت انى حللت مشكلتى عندما بدأت اذيع بين صديقانى انى مخطوبة لهاشم فى السر .. وانه ينتظر ان يفسخ خطبه الى ابنة عمه ليعلن خطبتنا .. وانتشرت هذه الكذبة .. وكبرت .. الى حد اتى انا نفسى بدأت اعيش فيها .. وبدأت اواجه الناس بلا خوف .. وبلا خجل .. واعلن علاقتى بهاشم صراحة .. وأيدت الكذبة بدلة فضية اشتريتها ووضعتها فى اصبعى .. وأترك الناس يعتقد ان الدبلة الفضية هى دبلة من البلاستين .. وأترك عاملات الدكاكين فى شارع سليمان باشا وقصر النيل ينظرون لى الدبلة ويقظان وابتسامة حسد كبيرة تملأ شفاههن :

— مبروك .. اتخطبتى ؟ ..

وأرد وأنا أسدل جفونى فوق عينى فى خفر :

— تقريبا ..

ويقلن :

— الدكتور هاشم .. مش كده ؟

واقول وأنا افتعل الدهشة :

— عرفتم منين ؟ ..

ويظنن :

.. دى البلد كلها عارفة ..

وأبتسم .. وأسكت .. وفى قلبى فرحة كبيرة ، كاتى قد

خلبت نعلنا .

ولم أكن أدري سر هذه الفرحة الكبيرة .. لم أكن أدري سر هذا الجزن الذى دفعنى الى اختلاق هذه الكذبة .. دفعنى لأن ابنى من خيالى بنتا من القش اعيش فيه ، لا يلبث ان يحترق بعود تقاب واحد .. ربما لانى ايامها كنت أحس بالنقص وأنا أعطى نفسى ارجل لا يتزوجنى ولن يتزوجنى ، فأردت ان أعوض هذا

— أنا ما بقولش حاجة .. الناس هي اللي بتقول .. ما فيش
حاجة بتستخبي .. عايزنى أسكت كلام الناس ازاي ؟ ..
قال وهو ينظر الى في زهق :
— انا عارف انك انتي اللي مطلعته الاشاعة دي .. ولازم
تكذبيها ..

قلت وأنا أصرخ :
— عايزنى أكذب وأقول ايه .. أقول أنا ماشيه معاك بس
.. على الأقل لما الناس تقول اننا مخطوبين أرحم من لما تقول
اني الميترس بتاعتك .. عشيقتك ..

قال وهو يتراجع كأنه أشفق على حالي :
— أنا ما يهمنيش الناس يا أمينه .. انت اللي تهمني ..
والكلام ده بيضرك أكثر ما بيضرنى أنا .. أنا على الأقل راجل ..
ما يهمنيش .. انما انتي .. أنا عايزك تواجهي الحقيقه ..
وتواجهي الناس .. ما تضحكيش على نفسك .. ولا على الناس
.. علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى حاتستحملي والا لا .. علشان
تقدرى تعرفى انتي ماشيه فين ورايحه فين ..

قلت :
— واذا ما استحملتش الوضع اللي احنا فيه .. حاتعمل
ايه .. حانتجوزنى ..

قال وهو ينفض من جانبي :
— لا .. لو ما استحملتيش .. لازم تسيبيني ..
قلت وأنا ابتسم ابتسامة مسكينة :
— لو كنت أقدر أسيبك كنت سبتك من زمان ..
رأنهت دموعي نقاشنا ..
وامي ..

النقص بكذبة .. وربما لأنى كنت أرى فى عيون الناس الذين
يعرفون حكايتى مع هاشم ، نظرة تجرحنى ، فأردت أن أملا عيون
هؤلاء الناس بالتراب .. وربما لأنى فعلا كنت قد ضقت
بمحاولات تزويجى .. والكلمات التى تثير أعصابى .. مثل حانفرح
بيكى بأه يا ميتو .. و .. ما تشدى حيلك يا ميتو وتجيبي لنا عريس
.. و .. عقبالك يا ميتو .. و .. و .. الكلمات التى تجتنى
وتشعربى بنقصى ، فأردت أن أسكتها بهذه الكذبة .

المهم أن هذه الضجة الكبيرة التى أثيرتها ، لم يصل منها الى
هاشم سوى صدى خافت .. فهاشم لا يعيش فى المجتمع الذى
أعيش فيه .. لا يذهب الى النادى .. ولا يتردد على دكاكين
سليمان باشا وقصر النيل .. ولا يعيش على شاطئ ميامى
فى الصيف . أنه يعيش معظم وقته فى عيادته ، لا يرفع رأسه
من فوق دريىض الا ليحنيها فوق مريض آخر ... ومرضاه يحترمونه
الى حد أن واحدا منهم لا يجرؤ أن يثير أمامه موضوعا يتعلق بحياته
الخاصة .. وأصدقائه لا يسألونه لأنهم يعرفون أنه لن يتزوج
.. لا أنا .. ولا غيرى .. وفى المرات القليلة التى وصلت فيها
الاشاعة الى أذنيه ، كان يهز كتفيه فى غرور ، ويردد الشعار
الذى أطلقه على :

— ي مجنونه .. ومش أول ولا آخر مجنونه ..
ولكن الاشاعة وصلت الى أذنى اخته وجاء يومها الى القاتى ،
وهو غاضب محتقن الوجه وقال فى حدة :
— اسمعى يا أمينه .. انتي لازم تبطللى حكاية اننا مخطوبين
دي .. كفايه بأه ..
وقلت وأنا اتحداه :

لقد كانت تسمع كلام الناس ..

وتهز رأسها فى أنسى .. ولا تعرف كيف ترد عليه .. أحيانا كانت بشايركى فى كذبتى .. وتقول :

— انما لسنه ما تقدمش رسمى ..

وأحيانا تقول :

— اصل عيلته كلها واقفه فى وشه ..

وأحيانا كانت تثور وتصرخ :

— ده كلام فاضى .. ما حصلش .. انتم عايزين توقفوا

سوق البنات ولا ايه ؟

ثم كانت تتوسل الى بكل دموعها .. بصراخها .. بابنتى

.. بأختى الصغيرة منها ، التى قد يؤثر كلام الناس عنى .

على مستقبلها .. تتوسل الى ان اقبل الزواج من واحد ممن

تأتى بهم الى ، هى وخالاتى الخمس .. وأن أترك هاشم ..

وكان توسلها يفىقنى من الكذبة الكبيرة التى أعيش فيها ..

كنت أحس بالغشاوة ترتفع عن عيني لأرى امامى طريقا موحشا

مقفرا .. وأقرر فى لحظة ان أنسى هاشم .. ثم أعود فى لحظة

أخرى ، واتساءل .. لماذا لا أتزوج ، وأظل على علاقتى بهاشم

.. ولكن .. هذه القرارات كانت لا تبقى فى رأسى سوى لحظات

.. ثم تعود الغشاوة على عيني .. وأرى نفسى فى بيت القش

الذى بنيت من أوهامى .. من كذبتى .. حرة .. منطلقة مع هاشم

.. والناس تتحدث عن خطبتى الموهومة ابيه .. وأعود وأتحدى

امى ..

ثم ..

تدخل عبد السلام ..

زودنى السابق ، وأبو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى لزيارتنا كل أسبوع تقريبا ليرى ابنته

.. وكان غالبا لا يجدنى فى البيت .. كان يأتى فى الصباح

فلا يجندنى .. ويأتى فى المساء فلا يجندنى .. ولم أكن أهرب

من عبد السلام .. ولكن كان هذا هو حالى .. لا أطيق أن أبقى

فى البيت ، ولا من أجل ابنتى .. وبدأ عبد السلام يعترض ..

انه يريد لابنته اما مثالية .. اما محترمة .. اما ترعى البنات وتبقى

معها .. وعندما واجهنى باعتراضه ، ثرت فى وجهه قائلة :

— أنت فاكّر نفسك لسنه جوزى ولا ايه .. ما لكش دعوى

بى .. ما حدش له دعوى بى الابا وماما ..

ولكن عبد السلام لم يسكت ..

كان يرشو مربية ابنتى حتى يعلم منها اخبارى .. وتبع

اذنيه على الاشاعات التى تدور حولى والتى لم تكن قد وصلت الى

السويس .. وسمع بحكاية الدكتور هاشم .. ثم حاول أن

يناقشنى فيها سمعه .. وعدت اثور فى وجهه :

— أنت مالك ومالى .. ايه البلاوى دى ..

وقال : هو يحاول أن يضبط أعصابه :

— .. تنسيش انك أم بنتى .. وحافضل فى حياتك طول

ما البنات عايشه .. والبنات لازم تتربى .. ولازم أمها تبقى

انسانه محترمه ... اذا ما عرفتيش تربيتها أخذها أربيهانا ..

وخفت .. أحسست كأنه يهد يده لينتزع قطعة من لحمى

.. وصرخت :

— ما تقدرش .. ما تقدرش ..

وقال فى ثقة وتحد :

— أقدر .. وأنا مش حاكلك بعد كده .. انما مش حاسكت

.. اتفضلى ورينى حاتربيهانا ازاي ..

وتركى يومها وأنا أرتعد ..

ولكنه لم يحاول أن يأخذ منى ابنتى .. كل ما فعله أنه قطع
عنى النفقة التى كان يدفعها لى ..

كان يدفع لى خمسة عشر جنيها فى الشهر .. وكنت فى
حاجة الى هذه النقود .. فأبى لا يدفع لى سوى خمسة جنيهات
فى الشهر كمصروف خاص .. ويدفع لى نفقات كسوتى .. ولم
يكن مسعدا لأن يدفع أكثر .. ولم أكن أستطيع أن اطلب من
زوج أمى أن ينفق على ابنتى .. كفاه أنه يتكفل بى ، ويؤوينى
من أجل خاطر أمى . ثم انى لم أكن أنفق الخمسة عشر جنيها كلها
على ابنتى ، كنت أنفق جزءا كبيرا على نفسى .. على ثيابى ..
وزيفتى ..

واحترت ..

وخصصت لى أمى خمسة جنيهات بعد أن انقطعت عنى
نفقة ابنتى .. أصبح لى دخل خاص يصل الى عشرة جنيهات ..
ولكنى لم أكتف ..

انى مغتاظة .. الغيظ يفرينى .. احسست كأن عبد السلام
يريد أن يذلنى بهذه النقود .. يريد أن يخضعنى لارادته ..
ولكن .. لا .. لن أخضع .. لن أذل ..

وقلت لهاشم ..

قلت له وسحب الغيظ تكسو وجهى :

— اتا حارفع قضيه على أبو بنتى .. تصور انه قطع عنى
نفقة البنت ..

وقال فى بساطة :

— يا شيخه بلاش بهدلة .. ما فيش واحده كويسه تدخل
المحاكم الشرعيه ..

قلت فى حدة :

— امال اعمل ايه ؟ ..

قال نى نفس البساطة واللامبالاة :

— ولا حاجه .. تلاقية عايزا يضايكك .. احسن طريقه
انك تقنعيه بانك مش متضايقه ..

قلت ثائرة اتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

— لكن أنا محتاجه لفلوس دى ..

قال وهو يبتسم :

— خديهم منى .. انقى نسييتى انى مسئول عنك ..

وكذت اعرف أنه سيعرض على هذا العرض .. بل انى لم
أفاته نى الموضوع الا لأتلقى منه هذا العرض ..

ولم أتكلم ..

لم أرفض ..

ولم أقبل ..

وعاد يقول لى فى بساطة كأنه يتفق معى على أن أكون
ممرضة نى عيادته :

— أنا حاديكى خمسة وعشرين جنيهه .. خمستاشر للبننت
.. وعشره لك .. و ..

رقاطعته :

— مش ممكن يا هاشم .. وانت ذنك ايه ؟

قال :

— ده يريحنى أكثر .. أقدر أنظم نفسى بالشكل ده أكثر ..
ويريحك انى كمان .. وينظم عيشتك ..

قلت :

— لا .. مش عايزه ..

قال :

— بش أحسن ما أشوفك مطلبة قدامى فى المحاكم ..
ما تنسيش انك بتاعتى .. وأنا مسئول عنك ..
وأديت عنه عيني ، وبقيت ساكنة ..

ورضع يده تحت ذقنى ، ورفع وجهى اليه وقال وهو يبتسم
— انتى بتاعة مين ؟

قلت فى صوت خفيض :
— بتاعتك ..

وأخذت منه أول مرتب لى .. خمسة وعشرين جنيهيا ..
ولم تكن هذه أول نقود أخذها من هاشم .. فمئذ ان أعطانى
خمسین جنيهيا كهديه يوم ولدت ابنتى .. وهو يعطينى هدايا كثيرة
.. كلها نقود .. ودائما يكرر انه لا وقت عنده ليطوف بالدكاكين
وأنى يجب ان أشتري هديته بنفسى .. أعطانى مرة ثلاثين
جنيهيا لأشتري خاتما .. وأعطانى مرة عشرة جنيهيات لأشتري
ما شاء الله ذهبية .. وأعطانى مرة خمسة جنيهيات لأركب تاكسى
.. و .. و .. أنا ضعيفة أمام النقود .. لا زلت الى اليوم
ضعيفة امامها .. لا أستطيع أن أشد يدي عنها .. وكنت
أقبل نقود هاشم على أنها مرتب .. نفقة .

هل ساءلت نفسى لماذا أقبل هذه النقود .. نظير ماذا ..
ماذا اعطيه بدلا منها ؟ ..

أبدا ..

فلم أكن أحس أنى أعطيه شيئا ..

كنت دائما أحس أنى آخذ منه ..

كنت أشعر بحاجتى اليه ، أكثر مما أشعر بحاجته الى .
رغد صور لى وهى أن هذا المرتب الثابت الذى بدأت

تقاضاه منه ، قد جعلنى كأنى زوجته .. ما الفرق بينى وبين
الزوجات .. لا شىء .. الزوجة ، امرأة تعيش مع رجل وينفق
عليها .. وأنا أعيش مع هاشم وينفق على .. ربما لم تكن حياتى
كحياة الزوجات .. ولكن المبدأ واحد .. الأساس واحد ..
المنطق واحد ..

لم يخطر على بالى أيامها ، أن هذه النقود ستعودنى على
حياة لها مطالب خاصة ، لا أستطيع أن أحققها الا عن هذا
الطريق .. طريق مد يدي الى الرجال .. لم أتصور أنى أبيع
بهذه النقود كرامتى .. لا .. ليس جسدى .. فجسدى قدمته
لهاشم من زمان مجانا .. ولكنها كرامتى .. وعندما استنزف
هاشم كرامتى ، لم تعد لى كرامة أمام احد ..

كل هذا لم يخطر لى ..

بالعكس ..

لقد شعرت بقوة .. قوة كبيرة .. قوة أستطيع أن أستغنى
بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. نم أعد ضعيفة .. لم
بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم أعد ضعيفة .. لم
أعد خائفة .. وانطلقت فى تصرفاتى .. أكثر جراءة .. وأكثر
وقاحة ..

وشجعنى على احساسى بالقوة ان هاشم لم يحاول أبدا
أن يضع لهذه النقود التى يعطيها لى ، معنى يمس كرامتى ،
كان دائما مهذبيا .. وكان يشعرنى دائما أنى صاحبة حق ..
وكان كراميا .. انه فى الواقع لا يقيم وزنا للنقود .. انه يكسب
كثيرا .. وكل ما أخذه منه لا يحس به .. كأنه لا يتمب ليحصل
على هذه النقود ..

وبدأت أنفق على نفسى وعلى ابنتى باسراف ..

ولاحظت أمى ..

وكان يجب أن أتول لها شيئاً ..
قلت لها انى أخذ هذه النقود من أبى ..

ونظرت الى أمى كأنها لا تصدقنى ، وقالت وهى تمصص
شفتيها :

— من أمتى أبوكى يا ست ميتو ، بيدى لحد فلوس .. ده بتى
له سنين ما شفتاش منه غير الخمسة جنيه اللى بيدفعهم لك ..
قلت فى براءة :

— ده بابا تغير خالص يا ماما .. مراته الجديدة عملت منه
إنسان جديد .. وبتحبنى خالص .

وعادت أمى تمصص شفتيها ، وقالت وهى تتهد :

— مكن يا بنتى .. يمكن ..

ومنذ أن بدأت أخذ مرتبى من هاشم ، أصبحت أخاف عليه
أكثر .. أخاف أن يضيع منى ..

لقد أصبح هاشم حبى وحياتى ..

ولو ضاع منى هاشم ، فلن يضيع حبى وحده .. حياتى
أيضا ..

وبدأت أفرض نفسى عليه أكثر .. وأحاول أن أخذ منه أكثر
.. وأغار الى حد الجنون .. كنت اذا لم أجده فى بيته أو عيادته
.. فى أى ساعة من ساعات النهار ، أنطلق كالمجنونة وأركب
تاكسى . وأذهب الى شقته .. فاذا لم أجده هناك ، أخذت أطوف
بالتاكسى فى شوارع القاهرة أبحث عن سيارته .. بل انى
أصبحت أتعمد أن أسأله عن حياة أصدقائه .. وأسأله أين
تقع شقته كل منهم الخاصة ، لأبحث عنه فيها .. أو على الأصح
أبحث عن سيارته أمام بابها كلما اختفى عنى ..

وهاشم أيضا تغير منذ قرر لى هذا المرتب .. أصبح أكثر

اهملا لى .. كأنه أصبح واقفا من حاجتى اليه .. أصبح واقفا
أنى أعيش فى جيبه .. بين أصابعه .. فبدا أكثر جفاء كلما
حدثنى فى التليفون .. بل أنه تعود أن يرفع سماعة تليفونه
الخصوصى فى العيادة ، حتى لا أزعجه .. وأصبح لا يلتانى
الا اذا لم يجد شيئاً يفعله .. لم يعد يفضل على مرضاه فحسب
.. انه بفضل أصدقائه .. وكتبه .. وأخته .. وعائلته ..
فاذا ما انتقينا ، كان دائما على عجل .. يأخذنى بسرعة .. بل
أصبح يرفضنى كلما عرضت عليه أن أقضى الليلة معه ، فى
المرات اللتى ادعى فيها انى أنام فى بيت أبى .

وربما لم يهملنى أيامها الى هذا الحد .. فقد كانت لا تزال
لنا ليال جميلة .. بل انى سافرت معه الى الاسكندرية عدة
مرات ، لنقضى يومى الخميس والجمعة .. وأتمنا معا فى غرفة
واحدة فى فندق العجمى .. وكان يوقع لنا فى دفتر الفندق ..
هاشم محمّد عبد اللطيف وحرمة .. يحدّف لقب « دكتور » ،
ويضيف اسم « محمد » .. وأنا « حرمة » .. وقد كنت أحس
فعلا فى تلك الأيام بانى حرمة .. كنت أراه فى البيجاما ..
وكنت أراه وهو يدخل الحمام وكنت أراه وهو يحلق ذقنه ..
وأنام بين ذراعيه .. أنفاسه تلفحنى ، وذراعه الثقيلة فوق
ظهري .. وأصحو فى الليل وأقضى لحظات وأنا أتطلع الى وجهه
النائم .. وأضحك لعينيه المتفتحتين .. انهما أكثر انتفاخا وهو
نائم .. وأضحك لانفه الكبير المتربع فوق وجهه كتمثال نهضة
مصر .. ثم أوسد راسى على كتفه وأنام .. كل عصب فى نائم
مستريح شعبان .. وأصحو والفرحة تملأ قلبى .. ونعيش فى
قبيلات كثيرة ، حلوة ، هادئة .. ثم أقوم لأمثل دور الزوجة ..
الزوجة المثالية .. أعد له الحمام .. وأغسل له أدوات الحلاقة

.. واقف بين ذراعيه وهو يرتدى ثيابه .. وأصيب له الشئ
ونحن نتناول الامطار فى شرفة حجرتنا .. ثم نخرج معا الى
الشاطئ .. وأتباهى به أمام الناس .. وأتعمد أن أضع ذراعى
فى ذراعه ، لألفت الناس الينا ، كأنى أصرخ فيهم .. هذا
الرجل ملكى .. ملكى أنا .. وكان الرجل يتضايق كلما وضعت
ذراعى فى ذراعه .. كنت احس به وهو يحاول أن يسحب منى
ذراعه ، بحركة مهذبة حتى لا يجرحنى .. يفتعل أنه يريد أن
يشعل - يجارة .. أو ينحنى ليعبث بالرمل ، فقط ليشد ذراعه
من ذراعى ، كأنه يريد أن يقول للناس .. هذه المرأة ليست
لى .. التقينا صدفة .. ولكنى كنت أعبد وأصر على أن أضع
ذراعى فى ذراعه ..

كنا نعود الى القاهرة ..

ولا تكاد السيارة تتحرك بنا فى طريق العودة .. حتى يبدأ
الحلم الجميل يطير منى .. وأواجه الحقيقة .. أواجه وحدتى
فى غرمنى .. وأواجه ضياعى .. وحيرتى .. كانت الايام التى
تعقب هذه الرحلات التى يأخذنى اليها هاشم ، أقسى وأمر من
بقية الايام .. أيام يتألم فيها جسدى وهو راقد فى الفراش
وحده بعد أن تعود على الذراع الثقيلة .. ويتألم قلبى وأنا أكتشف
انى لست زوجة هاشم .. لست سوى جريمة تزوير فى دفتر
أحد فنادق الاسكندرية .. ويتألم فيها حبالى لأنه يصطدم
بالجدران الفارغة التى تحيط بى .. يتحبط بينها كالعصفور
الصغير ، يحاول أن ينطلق الى هاشم ..

ويعود الخوف يستبد بى ..

الخوف من أن أفقد هاشم يوما ..

أفقد حبنى .. وحياتى ..

والخوف هو الذى يصور لى أن هاشم قد تغير .. وأنه
يهملنى .. وأنه لا يقبل على كما عودنى ..
والخوف يدفعنى الى شئ آخر ..
الى التهم ..

لم بعد يكفينى شئ .. أصبح كل شئ يفقد قيمته عندى
بجرد أن أطبق عليه يدى .. أصبحت كالاناء المثلثوب كل
ما أضعه فيه يضيع .. أفقده .. أفقد احساسى به ..
حتى النقود ..

لم تعد تكفينى الخمسة والعشرون جنيتها التى أخذها من
هاشم .. أريد أكثر .. كنت احس فى كل شهر انى سأفقد هاشم
فى الشهر التالى .. فأحاول أن آخذ كل ما أستطيعه .. وتجرات
عليه .. ولم يكن هاشم يرفض أبدا أن يعطينى .. وظل يعطينى
ببساطة ورقة .. ولكنى لم أطلب ببساطة .. كنت أتربص حتى
أتلقى اللحظة التى أطلب فيها .. وكنت أكذب عليه ، وألحق
الأسباب .. واكتشفت أن اتسب اللحظات التى يمكن أن أطلب
فيها .. ونحن فى الفراش .. بعد أن يأخذنى .. وهو مسترخ ..
مستريح .. سعيد فى هدوء .. سعيد برجولته .. سعيد
بانوثتى .. وقد اكتشفت فيما بعد .. فى حياتى الضائعة ..
أن هذه ليست اتسب اللحظات بالنسبة لكل رجل أريد منه شيئا
.. لحظة غرور الرجل ، وتباهيه برجولته ..

ووصل متوسط ما أخذه من هاشم الى خمسين جنيتها فى
الشهر ..

خمسة وعشرون جنيتها ، مرتب ثابت ..

والباقى تناتيش ..

وأسرفت فى الانفاق على نفسى .. خصوصا على ثمانى

.. وزيني .. وكان هذا الاسراف يعوضني عن نقص احس به ويضعضع من شخصيتي .. نقص احس به في عيون صديقاتي .. في عيون كل الناس الذين يعرفون قصتي مع هاشم .. يعرفون آتى لست زوجته .. فقط عشيقته .. واحس بالسنتهم تفرقع وراء ظهري ، كلما مررت بهم .. كنت اريد ان اثير الحسد في صدور هؤلاء الناس .. يحسدنني على ثيابي ، وترفي .. ما دمت لا استطيع ان اثير فيهم الحسد على مصيري ..

وكنت اسعد فعلا عندما المح نظرات الحسد في عيون صديقاتي وقريباتي ، كلما ظهرت امامهن بثوب جديد ، او حلية جديدة .. انهن يتحدثن عن جنوني .. يتحدثن عن الشرف .. عن المبادئ .. ولكن عيونهن تعلق حذائي حسدا ..

نعم ..

لقد أصبحت اكره الناس ..

كل الناس ..

حتى الذين يعتقدون اني مخطوبة لهاشم ..

وكراهيتي للناس تعقدني أكثر .. وتزيدني خوفا .. واحاول أن أهرب من الخوف ، فأندفع أكثر .. أكثر بجاجة .. وأكثر وقاحة ..

ولم سكت أُمي وهي ترى اندفاعي ، وترى مظاهر الاسراف التي أعيش فيها .. وشددتني من يدي الى غرفتي . واغلقت الباب وراءنا .. وجلست على السرير ، مكانها المفضل كلما أرادت أن تحل مشكلة من مشاكلها .. واجلسنتي بجانبها . وقالت في حزم :

— يتو .. أنا مش حاقدرا أسكت عليكى أكثر من كده ..

جوزى كل يوم يعمل لى هليله من تحت راسك .. وخلص ما يقتشر قادره اذافع عنك ولا عن تصرفاتك ..

قلت وانا اسخر منها بوقاحة :

— اللى خلاكى ساكته لغاية دلوقتى .. يخليكى ساكته على طول ..

قالت وهي تصفنى بعينيها :

— أنا ما كنتش ساكته .. أنا كنت مصدقاكى .. انها خلاص دلوقتى مش قادره اصدق ..

قلت بلا مبالاة :

— مش قادره تصدق ايه ؟

قالت وعيناها في عيني :

— تولى لى .. بتجيبى الفلوس منين ؟

وتبساطة وقحة قلت وعيناى ثابتتان :

— من هاشم ..

وفوجئت .. قفز حاجباها فوق عينيها كأنهما جناحا عصفور مذعور ، وقالت وهي تخط على صدرها :

— يا خبر .. ده يبقى مال حرام يا بنتى ..

قلت وانا أضحك على سذاجتها :

— حرام ليه .. هو لما الواحد يحب واحده ويجيب لها هديه يبقى حرام ..

قالت ووجهها لا يزال محتقنا :

— بس دى مش هديه .. دى فلوس .. فلوس ..

قلت :

— الهدية يعنى فلوس .. لو اشتراالى حته شيكولاته يبقى

اسميه اداني عشره صاع .. وهو ما عندوش وقت ينزل يشترى
حاجه ، بيديني الفلوس اشترى بيها انا ..

تالت فى اصرار :

— دى اسمها فلوس حرام ..

قلت وانا ابتسم لها :

— حرام ليه يا ماما .. كل البنات بياخدوا هدايا ..

قلت :

— تسمعنى تقولى لى بيديكى الفلوس دى كلها ليه ؟

قلت بسرعه :

— علشان بيحبني ..

— لا يا شيخه .. عاشان بيحبك .. ولا علشان حاجه

تانيه ..

قلت :

— يا تقوليش كده يا ماما .. ما فيش حاجه تانيه ..

صدقيني ..

قلت :

— لا .. مش بصدقاكى ..

قلت :

— ماما ده راجل غنى وبيحبني .. اذا ادانى بيت جنيه ..

زى ما جيب واحد تانى هديه بجنيه ..

ومالت وهى تركزن راسها فوق كتها :

— بيديكى كام الرجل الفنى ده ..

قلت وانا اطوى الحقيفة تحت لساني :

— مش دأيمآ .. بس بيديني كثير ..

قلت :

— ويتوديهم فين ؟

قلت :

— باشترى بيهم الحاجات اللى بتشوفيهآ ..

قلت وهى تتنهذ كأنها استسلمت لى :

— طيب بدل ما تشترى بيهم حاجات هايفه .. ويروحوا

منك هدر .. اشترى حاجه تفضل لك .. حتة الماظ ..

ولا بروش ..

وهكذا ..

وقفت منى امى — مرة ثانية — موقفا سلبيآ .. انتقادت

لى .. لم تحاول أن تعدل حياتى .. لم تحاول أن ترسم لى

مبادئ أتعلق بها . وقبلت الوضع .. بل أنى أصبحت أعطيها

النقود التى أخذها من هاشم لتحفظها عندهآ .. أصبحت بنكا

لى ، وبينى وبينها حساب جار .. وكانت امى تفرح بهذه النقود .

أكثر من فرحتى .. ربما ورثت حبي للنقود عنها .. بل انها أصبحت

تشاركنى فى انتقاء الهدايا التى أطالب هاشم بثمنها .. فتحت

عينى على أطعام أوسع من أطعامى الصغيرة .. وفى مناسبة

عيد ميلادى الثانى والعشرين .. طافت بنفسها على محلات

الجواهر ، وانتقت حلقا من الماس .. ثمنه مائتا جنيه .. ليقدمه

هاشم هدية لى .. وتركت الباقي على .. وقد دفع هاشم المائتى

جنيه فى لحظة من لحظات غروره برجولته ، وسعادته بأنوثتى ..

ولكن امى كانت تحرص فى الوقت نفسه على إشعال خوفى

.. زادنى خوفا على خوف .. كانت تذكرنى كل صباح وكل

مساءً بأنى لست زوجة هاشم .. وكانت تروى لى قصص البنات
اللاتى انقدن وراء عواطفهن وجنونهن .. ثم ضاع الرجل ..
تزوج فجاه بنتاً أخرى .. ومن يدري .. ربما أصحو فى الصباح
ناقراً فى الصحف خبر زواج هاشم من أخرى ..

وينقبض قلبى لجرد الفكرة ..

تتلوى أعصابى ..

وأحس بنفسى كأنى معلقة فى الهواء ، وريح عاتية تطوحنى ..
وأطلعت هاشم على مخاوفى .. كشفت له عن قلبى الذى
حصره الخوف . وقلت له فى تردد وضعف :
— أنا مش ممكن نتجوز أبداً يا هاشم .. ؟

قال لى بساطة حازمة :

— لا ..

قلت وأنا أنظر إليه فى لوعة :

— بس أنا ما أقدرش أعيش من غير أم ..

قال :

— يوم ما تفكرى فى الجواز .. يبقى لازم تفكرى فى واحد
غيرى ..

قلت الدموع فى عيني :

— ما أقدرش أفكر فى واحد غيرك .. أنا باحبك يا هاشم ..

قال وهو ثابت كأنه يناقش مسألة علمية :

— دينا مالوش مستقب ..

قلت :

— رايه عرفنى «انك مش حا تتجوز واحده تانيه ..

قال :

— مش حا تتجوز ..

قلب زدموعى على خدى .. دموع الهيظ والخوف :

— واطمن ازاي ؟ ..

قال :

— أنا عمري ما كذبت عليكى .. اطمنى ..

ولم اطمئن ..

مخاومى تزداد يوماً بعد يوم ..

أحس كأنى فى معركة هائلة مع الغد .. كل غد بالنسبة
لى وحش يريد أن يفترسنى .. وأتعلق بيومى حتى لا يقلبنى الى
غدى .. بل أتعلق بالساعة التى أعيش فيها حتى لا تلقينى
الى الساعة التالية ..

وكنت أعلم انى لست الوحيدة التى تطمع فى الزواج من
الدكتور هاشم .. ولست الوحيدة التى تريده بلا زواج .. ان
حوله عشرات البنات .. بنات جميلات .. وبنات من عائلات
كبيرة .. وبنات ثريات .. وأنا وحدى أقاوم كل هؤلاء البنات
.. أقاومهن فى خيالى .. كل بنت أراها فى النادى .. وكل
بنت تنشر الصحف صورتها .. تخيل الى أنها تسعى للزواج من
هاشم .. فأكرهها .. ازدددت كرها لكل البنات .. الكراهية
تجعل منى دون أن أدري ، فتاة شريرة .. قاسية ..

وأحرص كل صباح .. وبمجرد أن أفتح عيني .. على أن
أقرأ صفحة الأخبار الاجتماعية فى الصحف .. من يدري .. لعله
تزوج .. ثم لا اطمئن .. من يدري لعل الصحف لم تعلم بخبر
زواجه .. وأهرع الى التلفزيون ، وأتصل به ، لأطمئن أنه لا يزال
لى .. وما آخر !

الى أن كان يوم ..

وكنت أحادث هاشم فى التلفزيون ، وقال لى أنه لن يستطيع

ان يلتانى بعد الظهر ، لأنه مدعو الى الغداء عند عمه .. ثم
سألنى .. ماذا سأفعل اليوم .. وأجبتة بأنى سأبقى فى البيت ..
وعاد يسألنى .. مش نازله البلد .. وأجبتة بالنفى .. و ..
ولم تطمئنئى لهجة حديته ..
كان رقيقا أكثر من المعتاد ..

وأحسست انه يعتمد التأكد من أنى سأبقى فى مصر الجديدة
طول اليوم ..

وحاولت ان اتخلص من الوسواس الذى يلح على خيالى
.. حاولت أن اطمئن .. وأهدأ .. ولكنى لم أستطع .. فى
الساعة الثالثة قفزت ، وخرجت من البيت .. وركبت التاكسى
الى الزمالك .. ومررت من أمام العمارة ، فلم أجد سيارته ..
ولكن .. لعله أوقف سيارته فى مكان بعيد عن العمارة ، حتى
لا أكتشف وجوده فى الشقة .. ودرت بالتاكسى حول العمارة ..
وفى جميع الشوارع المؤدية إليها .. ولم أكتشف شيئا .. ثم
هدأنى تفكيرى الى أن أمر أمام العيادة .. وهناك .. وجدت
سيارته .. وبسرعة .. أمرت السائق ان يعود الى شقة الزمالك
.. والجبون يفتك بعقلئى .. والنار تحرق عبنى ..

ونزلت من التاكسى ، وأنا أكاد أنكفئ على وجهئى .. ولم
انتظر المصعد .. جريت على السلام الى ثالث دور .. وألقيت
كل ثقلئى على جرس الباب .. لم أرفع أصبعئى عنه .. ولكن
احدا لا يفتح .. فأخذت أخبط على الباب بكفى ، حتى التهيت
كفى .. ثم خلعت فردة حدائئى وأخذت أضرب بكعبها فوق الباب
.. وأنا اصرخ :

— انفتح يا هاشم .. افتح .. أنا عارفه انك جوه ..
لم يهمنى ساعتها شئ .. الا أن يفتح لئى الباب .. لم تهمنى

الضجيج الذى أثيرها فى العمارة .. ولا صوت عم محمود البواب
وهو يصيح من أسفل السلم :

— جرى ايه .. مين الئى بيزعق ..

وفجأة فتح الباب .. وقبض هاشم على بدئى بقوة ..
وجذبنى الى داخل الشقة ، وهو يقول فى صوت خافت كالضجيج :

— يا جنونة .. انتئى عايزه تعملئى لئى فضيحه .. دئى
أخلاق بنت ناس دئى ..

وقبل أن يضربنى .. نزعنت نفسئى منه .. كانت لئى لحظتها
قوة تهد الجبال .. قوة جنونئى .. واندفعت الى داخل الشقة ..
ورأيتها ..

انها نفس البنت ..

البت التى سبق أن ضبطتها معه ..
وكنت قد عرفت اسمها .. مرفت ..

وقبل أن يلحق بئى هاشم ، كنت قد انشبت أظافرى الطويلة
فى وجهها .. رسمت على خديها ، وعلى عنقها خطوطا طويلة
ينبتق منها الدم .. ثم أمسكتها من شعرها .. وأوقعتها على
الأرض .. ووقعت فوقها ..

ولحق بئى هاشم .. جذبئى من شعرى فى قسوة ، ورفعنى
من فوق ، رفعت ثم القئى بئى فوق السرير .. وأنا لا أزال أنظر
الى برفعت بعينئى المجنونتين ، وأصرخ :

— يا وسخه .. يا واطيه .. لسه بتجيله .. مش عارفه
انه متجوزئى .. يا .. يا ..

كلمات كثيرة لم أكن أعرف انئى اخترتها تحت لسانئى .. كلمات
أفتقدنئى كل رقتئى .. كل جمالى .. كل أتوتئى ..
ومرفت مرفت ..

خرجت ..
 ورفع هاشم يده ، فصرخت فيه :
 — ما تضربينى .. انت مالكنش حق تضربنى .. انت اللى
 غلطان ..
 ولكنه انهال بيده على خدى ..
 بلا رحمة ..
 بلا شفقة ..
 وصرخت ودموعى تنطلق :
 — اتجوزنى .. اتجوزنى .. لازم تتجوزنى دلوقتى حالا ..
 وصرخ وهو يرفع يده مرة ثانية :
 — عايزانى اتجوز واحد مجنونه ..
 وعدت أصرخ :
 — لازم تتجوزنى .. أنا ما اقبلش اكون زى اى بنت بتعرفها
 .. واللا علشان بتدينى فلوس ..
 وانزل يده فجأة قبل ان يصفعنى صفعه اخرى ..
 وأدار ظهره لى وسكت .. وهو يقرر انفاسه ..
 ومرت لحظات لا يبدها الا نشيجى ..
 وتكومت فى السرير ، وأنا أنظر اليه من خلال دموعى ..
 فى ترقب .. وغيظ .. وكل شىء فى ينزف .. حبى .. كرامتى
 .. أنفاسى .. كيانى .. ايامى .. كل شىء ينزف .. والنزيف
 الأحمر يرسم امام عينى ..
 ثم التفت الى وقال فى لهجة جادة وصوت عميق حزين .
 كأتى جرحته :
 — أنا ما باديكش فلوس يا أمينة ، الانك زى اى بنت ..
 مافيش بنت اعرفها بادياها فلوس ولا حتى بائعترى لها هديه ..

أنا باديكى لآتى باحبك .. ولانك محتاجه للفلوس .. ولان
 معايا فلوس .. ويوم ما حاتسبينى هافضل برضه اديكى فلوس .
 طول ما انتى محتاجه ، وطول ما أنا معايا ..
 وأحسست ساعتها انه لا يعنى ما يقول .. كل ما هنالك
 انه يدافع عن كرامتى .. لا يريد أن يحس بأنه يشتري امرأة
 بنقوده .. واكتشفت ساعتها أن هذه النقود ، لا تشيننى أنا ،
 بل تشينه هو .. تجرح كبرياءه وغروره .. كرجل يعتقد فى
 نفسه أنه محبوب من كل نساء الأرض ..
 وقلت وأنا متكومة فوق السرير وشعري واقع فوق عيني :
 — ان كنت بتحبنى ، كان بدل ما تدينى فلوس ، تتجوزنى
 .. لازم تتجوزنى يا هاشم .. لازم .. لازم ..
 وقال فى هدوء :
 — انتى عارفة انى مش حاجوز .. وأحسن نسيب بعض ..
 ونظرت اليه بعينين مذعورتين ، وقلت فى صوت يخرج من
 حلقى ولا بحرك لسانى :
 — تسيبنى بعد ده كله يا هاشم ؟
 ثم انكفأت على وجهى أبكى ..
 الدموع تهز جسدى كله ، كأتى أشدها الى عيني ، من أطراف
 أصابع قدمى ..
 وقال هاشم :
 — متس كده يا أمينة .. خلينا نتكلم بعقل ..
 زلكنى أبكى ..
 أبكى كل دموعى ..
 وجاء هاشم وجلس بجانبى .. يحاول ان يسكت بكأتى ..
 يحاول ان يجعلنى أرد عليه .. وبدأ يمسخ بيده على شعري

.. ثم يطوف بها فوق كفتى .. وأنا لا أكف عن البكاء ..
مستسلمة ليده التي تتمشى فوق ظهري .. ثم انحنى يقبلنى فوق
خدى .. وهو يقول :

— كفايه يا أمينه .. كفايه يا حبيبتى .. أنا آسف ..

ولم أكن أريده فى هذه اللحظة .. لم تتفتح مسام جسدى
ظمأى إليه .. ولكن تملكى احساس آخر .. كنت أريد أن
أطمئن إلى أن مرفت لم تأخذ منه شيئاً .. شيئاً مما تعودت
أن أخذه منه .. كنت أريد أن أتأكد أنها تركته لى سطيماً .. أم
تمتصه وتلقى الى ببقاياها ..

راستدرت اليه ، وألقيت جسدى كله فى أحضانه ، وأنا
لازلت أكن هامسة :

— هاشم .. اخص عليك يا هاشم ..
وانحنى الى بشفتيه ..

ويد؛ تنشط فوق أزرار ثوبى ..

وأنا فى انتظار أن أتأكد ..

وهمست وأنفاسه تلمح عسى ، وشفتاه المجنونتان تطوفان
بوجهى . وذراعاه تعصران جسدى العارى :

— حاتسيينى يا هاشم ..

وغزال وأنفاسه اللاهثة تحرق كلماته :

— أبدا .. عمرى .. لا أقدرش ..

وأطمأننت ..

لم نأخذ منه مرفت شيئاً ..

زكنتى عدت الى البيت ورأسى يغلى .. ولم أكن حاقدة على
هاشم قدر حقدى على مرفت .. كنت أريد أن أنقم منها .. أريد
أن أحطمها .. أخنقها .. وكنت فى خلال الشهور الطويلة بمدد

ضبطتها أول مرة ، قد عرفت اسمها كله .. عرفت أخبارها ..
وعرفت رقم تليفونها وعنوانها ..

وأدرت رقم تليفونها ..

وردت على أمها .. عرفتها من لهجتها .. كل الأمهات لهن
لهجة واحدة عندما يرددن على التليفون .. وقلت لها :

— أنا حرم الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وخالت فى أدمب :

— تترفنا يا فندم ..

قلت فى جراءة وهدوء :

— رجعت !

قالت وفى لهجتها استطلاع :

— لا والله .. لسه ..

قلت :

— طيب .. لما ترجع ، حتلاقى على وشها خرابيش .. أنا

اللى خربشتها .. لانى ضبطتها مع جوزى ..

وأعدت السماعة بسرعة ..

راسرحت ..

انتصمت .. اهنىء نفسى على ذكائى .. وشرى .. وانتقامى

.. ثم ضاعت لذة احساسى بالانتقام عندما اكتشفت أم مرفت

بعد أيام أن الدكتور هاشم عبد اللطيف ليس متزوجاً ..

وبقى أمامى هاشم ..

انى لم أعد أحتمل ..

لم أعد أحتمل حياتى معه ..

ولكنى لن أتركه ..

انه حبنى .. وحياتى .. فكيف أتركه ..

نعم ..

لن أتركه ..

ولكني سأخونه

ما الذى دفعنى الى خيانة هاشم ؟ ..

ذوافع كثيرة .. ليس أهمها أنه يخوننى ..

ربما كان أهمها انشغاله عنى بعمله .. وهذا الفراغ الكبير الذى يحيط بى والذى لا أجد ما أشغله به ، سوى استعراض نفسى فى النادي ، وفى شوارع القاهرة ودكاكينها ... لم تكن لى هواية تصبرنى على الانتظار الطويل الى أن التقي بهاشم .. لم تكن لى هواية سوى جسدى ..

ثم الخوف ..

الخوف من أن أفقد هاشم يوما ، كان يجعلنى أتلفت حولى ، لأتلقى الرجل الذى يعوضه عندما أفقده ..

ثم أتى أريد أن أتزوج .. ومن يدري ربما التقي برجل احس من هاشم بتزوجنى ..

ثم أتى رغم ما فعلته ، ورغم طغيان شخصيته على شخصيتى ، ورغم حاجتى اليه .. كنت بينى وبين نفسى متمردة عليه .. أتمنى اليوم الذى أتخلص فيه من حبه .. ومن سيطرته .. بل أتى كنت أصحرا أحيانا من النوم وأقرر الا أتصل به .. كنت أثير عليه نفسى .. لماذا أجرى وراءه .. لماذا لا أتركه يجرى ورائى .. لماذا أبدا أنا بالتحدث اليه فى التليفون ، لماذا لا أنتظر الى أن يتلف على ويتصل بى هو .. لماذا .. لماذا .. وكل القرارات التى أتخذها وأنا متمردة عليه ، لا تبقى سوى لحظات .. ثم أعود اليه .. لا تستطيع يدى أن تقاوم التليفون .. ولا يستطيع جسدى أن يقاوم اندفاعى اليه ..

ثم لأنه يخوننى ..

انه يخوننى وهو يقسم انه يحبنى .. فلماذا لا أخونه انا ايضا وأبقى على حبه ..

وقد بدأت بخيانات بريئة ..

سافرنا أيامها الى الاسكندرية لنقضى الصيف .. وكان هاشم لا يأتى الاسكندرية الا فى أيام الخميس والجمعة .. وأنا وحدى هناك تية الاسبوع .. أفضى يومى على شاطئ ميامى .. وأترك ابنتى مع الخادمة تحت الشمسية .. ثم أقوم باستعراض نفسى .. وكنت أتفنن فى استعراض نفسى .. أحيانا أتمشى وأنا بالمياه ، وشعرى مطلق ، وفى قدمى حذاء بكعب عال .. وأحيانا أتردى بنظلون « بلوجينز » وقميص رجالى مشمر الأكمال ، كأتى لا زلت فى التاسعة عشرة .. ثم أجرى الى البيت ، وأبدل النظلون بفستان .. كل يوم ثوب جديد .. يجتن .. ثم أجلس فى كابين صديقتى مها .. سيدة مطلقة فى مثل سننى ، وكل صديقاتها، مطلقات ، أو على وشك الطلاق .. ودائما يحيط بهن مجموعة من الشبان .. المح شباب الشاطئ .. المعهم فى اجتذاب اهتمام البنات .. بينهم شاب اسمه مصطفى .. فى الثامنة والعشرين من عمره .. دمه خفيف .. وكانت تحبه احدى سيدات الثلة .. ولكنه كان يخصصنى بكل اهتمامه .. ويلحقنى فى البحر .. ويملا الساعات التى أقضيها معه بالضحك .. وأخيرا .. رضيت أن أخرج معه .. ولكنى ما كنت أركب بجانبه فى سيارته حتى بدأت أفكر فى هاشم .. أحسست أن هاشم جالس بينى وبين مصطفى .. لا أستطيع أن أتزع صورته من خيالى .. لا أستطيع أن أوقف عقلى عن التفكير فيه .. بل خيل الى أتى أشم رائحته .. رائحة هاشم ..

وقال لى مصطفى وهو يقود سيارته فى الطريق الى ابي قير

— تعرفى تسوقى ؟ ..

قلت وأنا هاتمة وراء هاشم :

— لا ..

قال رهو بيتسم ابتسامه طفل :

— تعالى اعلمك السواقه ..

واسسخته .. هذه لعبة عيال .. لعبة قديمة ..

سندعونى الاقتراب منه .. ثم يدى على عجلة القيادة ويلف ذراعه

ورائى .. ثم يتحسس كفى .. ثم يضغطنى اليه ضغطه خفيفة

.. ثم يتهز فرصة ويقبلنى على خدى .. و .. و .. ماذا يظننى

هذا الطفل ؟ مبتدئة !

رفلت فى زهق :

— لا .. مش عايزه اتعلم السواقه .. ومن فضلك رجعتى ..

أنا اتأخرت ..

وقال فى سخافة :

— وده معقول .. ده احنا لسه ما وصلناش ابو قير ..

وأصر على ان يسير فى طريقه ..

ولم أترض .. من زهقى .. بقيت بجانبه ، وقد بدا

لى الفرق كبيرا بينه وبين هاشم .. الشخصية الفجة التى لم

تنضج بعد .. والشخصية القوية المجربة الثابتة .. شخصية

هاشم ..

وعندما عاد هاشم نى نهاية الأسبوع والتقينا فى المنقة التى

كان يستأجرها فى محطة سبابا باننا ، قلت له كأتى اغيظه :

— تعرف ان فيه واحد عايز يخطبنى ؟

قال فى برود :

— مين ؟

قلت :

— واحد اسمه مصطفى ..

قال :

— مصطفى ايه ..

قلت وأنا ازداد دلالا :

— مصطفى سامح ..

وهز كتفيه وقال فى بساطة :

— ما اعرفوش ..

زهذا هو كل شيء .. لم يحاول ان يسألنى أكثر .. بل ثم

يحاول ان يسألنى فى الأسبوع التالى عن أخبار هذا الشاب

الذى جاء يخطبنى .. كأنه نسيه .. كأنه لا يهيمه ان بقيت له

أو تزوجت .. أو كأنه كان واثقا أنى سأتقى له حتى لو تزوجت ..

وغازطى اهماله ..

غازطى غزوره ..

وخرجت مع مصطفى مرة ثانية .. وثالثة .. ثم زهقت

من مصطفى وخرجت مع أسامة .. ثم مع مجدى .. ثم مع أحمد

.. كلها مغامرات برينة .. أحمد فقط هو الذى استطاع ان

يقبلنى فوق شفتى .. فرق كبير بين قبلته وقبله هاشم .. قبلته

أحس بها فوق شفتى .. وقبله أحس بها تسرى فى جسدى

كله ..

وكنت أسرد كل هذه الاسماء لهاشم .. وأسرد مع كل منها

نصف الحقيقة .. وأحيانا ربع الحقيقة .. أقول عن واحد منهم أنى

قابلته في كابين صديقتي .. واقول عن الآخر انه صديق لابن خالتي .. واقول عن الثالث انه ابن طنط خديجة .. ولم اكن مضطرة ان اقول شيئا لهاشم .. ولكني كنت اقول له .. كنت احس اني ابريء ذمتي امامه .. احس كاني اخفف من خيانتني له .. كاني ارضي ضميري وحبى ..

وهاشم يسمع هذه الحكايات ، وينظر في عيني كأنه يعرف سرى .. ثم لا يجيب .. أو يرد ردا باردا ..

بل اني سألته يوما ، كاني اريد ان أثيره :

— ترلى يا هاشم .. لما الواحده تتجوز واحد .. تعمل ايه ؟
رگان لهذا السؤال أصل من الواقع .. فقد كنت اتمنى جدبا لو تزوجتني تناب اسمه شريف .. يسكن امامنا في سيدي بشر .. واما صديقة الامى .. وأختة صديقة لى .. غنى .. مهذب .. نال بكالوريوس التجارة .. ووسيم ..

وأجابني هاشم في هدوئه الذي يثيرني :

— نقنعه بأنها بنت كويسه وتصلح للزواج ..

وثررت في وجهه صائحة :

— معنى قصدك اني أنا مش كويسه وما انفعش للجواز ..

قال رهو ينظر الى في دهشة :

— أنا ما قلتش كده ..

قلت وأنا أنتفض من جانبته :

— امال ما بتتجوزنيش ليه ؟

ونظر الى كأنه يلومني لانى أطمع في الزواج منه .. وقال :

— أنا حاجة تانية ..

وعدت يولمها الى البيت لأبكي .. خيل الى اني فعلا لا اصلح للزواج ، وان هذا ليس رأي هاشم وحده ، بل رأى جميع

الرجال .. بدليل ان احدا ممن خرجت معهم لم يفاتحني في الزواج ..

وانتهى موسم الاسكندرية دون ان اخرج منه بشيء ، سوى بعض تمر التليفونات ، وبعض نمر السيارات ..

ولا شيء أكثر .. لم يستطع احد ان ينسيني حبي لهاشم او يخفف منه .. ولم يستطع احد ان يحرزني من حاجتي اليه ..

وبدأت في القاهرة اكرر نفس ما كنت أفعله في الاسكندرية .. احادث الشبان في التليفون ثم اخرج معهم .. واضيف الى

القائمة شبانا جددا .. بل أضفت اليهم ابن عمى .. وكان ابن عمى اقربهم الى قلبي .. كان انسانا شادا ، بوهيميا .. يملك

سيارة قديمة مهككة ، بينه وبينها الفة عجيبة ، ويحبها كأنها كلبة .. ولا يستطيع احد غيره ان يقودها او يفهم أسرارها .. وكان

يسافر بها الى البحر الأحمر مع شئلة من الأولاد والبنات .. وذهبت معه أكثر من مرة .. ذهبت باذن من امي ، فهو ابن عمى

.. ولا يمكن لاحد ان يعترض على رؤيتي مع ابن عمى .. ولكني لم أرحم ابن عمى .. استطعت ان أشد قلبه .. وأعطيته أكثر

مما أعطيت باقي الشبان .. ليس كل شيء .. فقط تركته يقبلني أكثر ويحبنى أكثر .. وكنت أطمع في الزواج منه .. بنيت في

خيالي حياة كاملة معه .. وفرحت عندما اكتشفت ان اسمي لن يتغير بعد الزواج منه .. امينة سالم .. وسأصبح بعد الزواج .. مدام سالم .. يا فرحتي ! كاني لا زلت طفلة ! ..

وقلت كل ذلك لهاشم .. قلت له اني اتمنى لو تزوجني ابن عمى .. وقلت له اني ذهبت معه في رحلات البحر الأحمر ..

مع شئلة كبيرة .. ولم اقل له الباقي .. لم اقل اني اتركه يقبلني .. او اتركه على شاطئ البحر بالمايوه وهو راقد بجانبى ..

ورأى على كتفه .. طول النهار .. وإن كل أفراد الشئلة التي
تسافر معنا ، تتركنا وحدنا ، وتفهم ما بيننا .. لم أقل له كل
ذلك .. اني لا أقول الا ربح الحقيقة ..

وهانس ينظر الى هذه النظرة الثابتة التي لا ادري منها ان
كان يصدقني أم لا .. ويبتسم هذه الابتسامة ، التي لا ادري ان
كان يسخر بها مني ، أم يشفق بها على ..

كل ما لاحظته ان هاشم بدأ يروي لي قصصا عن بنات ..
بنات جاءت الى عيادته .. وبنات دعي معها الى سميراميس ..
وبنات اميركية .. وبنات .. وبنات .. ولعله كان يقول ربح الحقيقة
.. فلم يكن يقول لي انه بينه وبين واحدة من البنات شيء ..
وكنت .. وهو يروي لي هذه القصص أحاول أن أقلده في بروده ،
وفي قلة اكرائه ، ولكني لم اكن أستطيع .. كنت أحتل مرة ..
وأفجر في المرة الثانية .. واتهمه بأنه يخونني .. ولأني أخونه
.. كنت واثقة انه يخونني .. فأجن .. وأدور بالتاكسي أبحث
عنه كلما غاب عني ..

ولم ينزوجني ابن عمي .. ذهب .. قبل وظيفة في الاسكندرية
.. ولم يعد ...

ثم ..

حمنت ..

حمنت من هاشم ..

ليس هناك شك في هذه المرة في اني حملت منه ..

ولم تكن المرة الأولى التي أحمل فيها منه ..

حملت منه .. منذ سنة .. ولكني استطعت ان أتخلص من

حظي في الشهر الأول .. وقعت صدفة من فوق السرير ..

واصطدم بطني بحاجزه .. وبقيت بعدها أسبوعا في السرير ..

وحاولت هذه المرة أن أتقع من فوق السرير .. من فوق
الولاب .. لعبت الجبل .. استحممت بها مغلى ..

ولا مائدة ..

اني لازلت حاملا ..

ومضى شهران وأنا أخفي سرى في بطني ..

ثم ..

قلت لهاشم ..

ورفع الى عيئين مذعورتين ، ثم تمالك أعصابه بسرمة ، وقال
وهو يبتسم لي :

— بسيطة .. كيرتاج ! ..

وقلت بحدة :

— طبعاً .. أنت حايهك ايه ... هو أنت اللي حاتموت ..

قال في هدوء :

— انتي عارفة انها عملية ما بتموتش حد ، ما دام دكتور

كوييس اللي بيعملها ..

قلت :

— لا .. مش حاعملها .. أتفضل أتصرف ..

قال وسحابة من الكدر تطوف بعينيه المنتفختين :

— زي ما انتي عايزه ..

قلت والدم يرتفع الى راسي :

— أنا عايزه نتجوز ..

قال :

— ونخلف بعد خمسة أشهر .. مش كده ..

قلت :

— حاسن ما اموت ..

قال :

— تلك مشن حاتموتى .. وما تفكريش فى نفسك بس ..
فكرى فى اللى حاتخلفية ..

عدنا نتناقش ..

نقاشا طويلا مالأ كل ساعات قضيتها معه خلال الاسبوع كله
.. وهو مصر على رأيه .. يغلّق فى وجهى كل الأبواب الا باب
الطبيب الذى يجهضنى ..

الى ان قلت وانا ارتعد ودموعى فوق خدى :

— طبيب تيجى معايا عند الدكتور ..

قال وهو يمسك بيدي ويضغظ عليها ونظرة اشفاق تطل
من عينيه :

— مش ممكن يا أمينة .. مافيش راجل بيروح مع الست
فى حاله دي .. حتى ولو كان جوزها .. ما بتقيش صغيره ..

قلت ودموعى ترتعش فوق أهدابى :

— أنا خايفه يا هاشم ..

قال وهو يضمنى الى صدره فى حنان :

— ما تخافيش .. نو ما كنتش مطمئن عليكى ، ما كانتش

ممكن أسيبك تعملى العمليه ..

وأحسست ساعتها ابنى لا أريد أن أرثع رأسى من على صدره
.. أريد أن أختبئ فيه .. أريد أن أبقى هنا .. لاهدا ..

الأستريح .. الأطمئن .. لأهرب ..

وبكيت ..

وبعد يومين ذهبت الى طبيب يهودى تقع عيادته فى أول
شارع سليمان باشا .. وذهبت وحدى .. ولم أكن اعرف هذا
الطبيب من قبل .. ولا هاشم كان يعرفه شخصيا .. بل ان

هاشم لم يرشحه لى .. رفض أن يرشح لى أحد أصدقائه الأطباء
.. وتركتنى أختار هذا الطبيب بعد أن سمعت اسمه يتردد كثيرا
فى أوساط المطلقات ، كطبيب متخصص فى عمليات الاجهاض
.. كل ما فعله هاشم هو أن دفع لى أجر العملية مقدما .. ودفع
بسخاء ..

ودخنت عيادة الطبيب ، ودمائى هاربة متى .. وكل ما فى
داخلى يرتعش .. قلبى .. معدتى .. ركبتي .. خيل الى
أنى داخله الى سلخانة .. هنا ، سأذبح .. واستقبلتنى الممرضة
بنظرات وقحة ثابتة .. كأنها تبدى رأيا علنا فى صنف النساء
اللاتى يترددن عليها .. وأشارت لى بيدها الى غرفة الانتظار
دون أن تتكلم .. دون أن تبتمسم .. كأنى لا أستحق منها كلمة ..
ولا أبتسامة .. وتركتنى وحدى .. تركتنى طويلا ، رغم أنه لم
يكن فى العيادة غيرى .. ودقات الساعة خبطات فوق رأسى
وأعصابى .. ثم لمحت من باب غرفة الانتظار سيدة خارجة من
غرفة الطبيب .. مستندة على ذراع الممرضة .. وجهها أصفر
.. لا .. ليس أصفر .. أبيض .. لون الفراغ .. لون الموت ..
وعيناها مطفأتان .. وشفتاها باهتتان جافتان ، ترتعشان ، كأنها
تتنفس بهما .. وألقنتها الممرضة على مقعد عريض .. وتركتها ..
كأنها ألقت شيئا فى صندوق الزبالة .. ثم نظرت الى نظرة
صارمة وجمدة .. وانصرفت .. والأذعر يهلا عيني .. أنظر الى
السيدة التى أمامى ، ويخيل الى انى أنظر الى مرآة .. أرى
نفسى هكذا .. نصف ميتة .. وتملكنى خاطر جارف بأن أهرب
.. أهرب من هذه السلخانة .. أهرب من الذبح .. ولكنى كنت
مشدودة الى وجه هذه السيدة الملقاة أمامى كأنها نصف ميتة ..
مشدودة بعيني وأعصابى .. كأن هناك نداء خافيا ينطلق منها

ويدعوني اليه .. نداء لا أستطيع أن أقاومه .. كقدرى ..
كمصيرى ..

وجذابت المرهضة وأثارت الى قائلة بالفرنسية :

— تستحى ..

ونشبت بمقعدى . لا .. لن استمع .. لن أذبح ..
ظلت المرهضة واقفة أمامى تسلط على نظراتها القوية
الوقحة . كأنها تسلبنى ارادتى ..

وقمت إليها .. مسلوية الارادة ..

ومشيت وراءها ، أحاول أن الحق بها لأستند عليها ، قبل
أن أقع .. ركبناى لا تتحملانى .. وأمعانى تنقلب حتى خيل
الى أنى سألفظ الجنين قبل أن أصل الى الطبيب ..
واستقبلنى الطبيب ..

رجل فى الخمسين .. ألمس الوجه .. كل شيء فيه ألمس
.. لزج .. نظراته أوتح من نظرات ممرضته .. واخذ يسلط
على هذه النظرات فى جراءة كأنه يفكر فى الاعتداء على ..
كأنه يشتهينى ..

وقال وهو يشير الى سرير الكشف :

— تقضلى .

وتوقفت .. حاولت أن أتكلم .. قلت له انى زوجة .. وانى
أم الأبناء فى الثالثة من عمرها .. وانى حامل .. وانى اتفقت
مع زوجى على أن أتخلص من الجنين لأننا .. و .. و .. حكاية
طويلة كنت قد أعددتها قبل أن أصل اليه .. ولكنه لم يكن يستمع
الى .. كأنه سمع الكثير من هذه الحكايات ، ويعلم أنها كلها
كاذبة .. انشغل عنى فى اعداد بعض أدواته .. ثم جذبتنى
المرهضة الى سرير الكشف .. وساعدتنى فى خلع ثيابى .. ثم

تقدم ليكشف على .. كان يكشف على فى وقاحة .. يتحسنى
كأنه يندذذ بى .. كأنه ينتقى القطعة التى يأكلها أولا .. ثم ابتعد
عنى وهو يقول :

— بكرة الساعة حداثر .. وتعالى من غير افطار ..

وخرجت من عيادته كالفرخة الدائخة التى نجت صدفة من
الذبح .. وقضيت نهارى ولىلى خائفة مذعورة .. أقرر فى
دقيقة الا أذهب الى الطبيب ، وفى الدقيقة التالية أعدل عن
قرارى .. وفكرت أن أطلع أمى على مصيبتى ، لتأتى معى ..
حتى لا تتركنى أذبح وحدى .. ولكنى خفت من أمى .. فكرت
أن أستعين بزوجة أبى ، وكانت أيامها لا تزال صديقتى ، ولكنى
خجلت منها .. وتحدثت الى هاشم بالنيفون ليقوى قلبى ..
ويشد أزرى .. حدثته بدموعى لعله يشفق على .. ولكنه كان
رقيقا .. حنوناً .. حدثنى طويلاً ، على غير عادته .. ولكنه لم
يشفق على .. كل ما فعله أن شرح لى العملية من الناحية
العلمية ، ليثبت لى أنها ليست خطراً .

وذهبت فى اليوم التالى ..

وحدى أيضا ..

ودمناى هاربة منى .. وقد رأيت نفسى فى المرآة قبل أن
أخرج من البيت .. ولم أكن أعتقد أنى يمكن أن أكون صفراء الى
هذا الحد ..

وبكيت فى غرفة الانتظار .. بكيت فى صمت .. فهذا الطفل
كنت أربده .. انه طفل الرجل الذى أحببته وتمنيته .. الرجل
الوحيد الذى أردت طوال حياتى أن يكون أباً لطفلى .. ورغم
ذلك مانى أقتله .. أقتل هذا الطفل .. لأن ليس من حقى أن
أجعله عى بطنى .. وليس من حقى أن أكون أما له ..

والتقيت بنظرات الطبيب الومقة ..

وعندما أعطاني حقنة البنج ، خيل الى مرة ثانية ، انه يريد أن يفقدنى وعيى ليعتدى على .. ولا أدرى لماذا تملكنى هذا الخاطر .. ولكنه خاطر مهلاً خيالى كله .. وذعرت .. خيل الى أنى اريد أن اصرخ لأنادى هاشم ..

ولا أدرى هل صرخت أم لا ..

غبت عن الوعى ..

ولم اعذ أدرى ما يحدث لى ..

وأفتت وأنا راقدة على سرير العمليات .. ثم جاءت الممرضة والبستنى ثيابى .. وساعدتنى على الوقوف .. وسحبتنى الى الدرفة الخارجية .. والقتنى على نفس المقعد الذى القت عليه المرأة الأخرى .. وتركتنى .. وسكين يشق بطنى .. ألم حاد .. وبعبت على هذا المقعد ، وأنا أتصور نفسى فى شكل المرأة الأخرى .. مسكينة .. كأتى بقايا آدمية القيت فى صندوق الزبالة .. وعقلى صاح ، وجسدى مخدر ، ولا أحس فيه الا الألم ..

كم بقيت ..

ساعة .. ساعتين .. ثم بدأ الألم يخف .. وبدأت استرد قواى .. واستطعت أن أقوم من صندوق الزبالة .. وخرجت .. لو يودعنى أحد الى باب العيادة .. ووقفت أمام باب المصعد .. مستندة الى حاجز حتى لا أقع .. هزيلة .. ضعيفة .. أرى كل شىء من خلال ضباب ..

وما كدت أصل الى الشارع حتى رأيت هاشم فى سيارته منتظراً أمام الباب .. وخيل الى أنى أخرف .. أنى أحلم ..

وأهزرت رموشى بعنف لتزيح من أمام عيني الضباب .. ولكنه هاشم ..

ونزل من سيارته بسرعة .. وتقدم منى .. وأمسك بذراعى كأنه يخاف على أن أقع ، وكان يخيل الى أنى سأقع فعلاً .. سأقع من الفرحة .. فرحة المفاجأة ..

وهمس هاشم فى أذنى :

.. الحمد لله على السلامة ..

وابتسمت ..

وقادنى هاشم الى سيارته .. وأجلسنى .. ثم لف حول العربة بسرعة ، كأنه سائق مهذب .. وجلس بجانبى وهو يقول :

— مشن قلت لك انها بسيطة ..

وعدت أبتسم له .. وقد أصبح احساسى بالتعب تدللاً عليه أكثر منه نعياً ..

وعد هاشم يقول :

— داوقتى تروحى البيت ، تنامى شوية .. وبالليل تقدرى تروحى سينما ..

وقلت فى صوت خافت :

— لا .. بلاش تودينى البيت أحسن ماما تلاحظ حاجه .. ودينى بيت بابا ..

وأوصلنى هاشم الى بيت أبى .. وكان رقيقاً حنوناً طوال الطريق .. جعلنى أضحك .. وقد كان شىء فى يضحك ضحكة كبيرة منذ رأته فى انتظارى .. خيل الى ساعتها أى تأكدت من حبه .. انه يحبنى .. مهما تظاهر بالبرود .. ومهما سلط على غروره .. ومهما انشغل عنى .. فهو يحبنى .. ونسيت فى احساسى بحبه كل ما تحملته .. نسيت الجنين الذى قتلته

منذ لحظات .. بل خيل الى ان هذا الجين ربط بيننا أكثر ..
قد جمعنا الي الأبد .. كائى والدته .. كائى لم أقتله .. أحسست
فعلا بأحاسيس الأم ، عقب أن تضع مولودها ، وتنظر الى زوجها
فى امتنان كأنها تشكره لأنه منحها الأمومة .. خيل الى انى أنظر
الى هاشم نفس النظرة .. نظرة الامتنان .. وخيل لى أنه
ينظر الى كما ينظر الى زوجته .. نظرة تقدير وشكر .. تقدير
لامومتى ، وشكر لأنى جعلته أبا ..

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التى أجهضت نفسى فيها ..
أجهضت نفسى كثيرا .. أربع مرات .. خمسا .. لا أدرى ..
لقد أصبحت عمليات الاجهاض بالنسبة لى ، كخلع الضرس ..
وأصبحت نظرات الطبيب اليهودى الى نظرات ترحيب بعد أن
أصبحت زبونة مستديمة .. ولكن هذه المرة الأولى هى التى
لا أزال أذكرها .. وهى المرة الوحيدة التى انتظرنى فيها هاشم ،
وأبدى لى كل هذا الحنان ، وأثار فى كل هذه المشاعر انحلوة ..
وقد عشيت شهورا فى هذه المشاعر ..

حاولت خلالها أن أكون محترمة .. أقلعت عن حادثة الشبان
فى التليفون والخروج معهم .. وتجددت آمالى فى الزواج من
هاشم .. تجددت أكبر وأعنف ..

ولكن هاشم لم يتغير ..
عاد كما كان ..

عاد بمأى حياتى بالفراغ الكبير .. ويثير فى الغيرة ..
ويهملى : لالاحقه .. ويهملى أكثر لالاحقه أكثر .. ولا يريد
أن يتزوج .. بل لا يريد أن يقول سببا معقولا يمنعه عن الزواج
.. فقط ، لا يريد .. ويخيرنى بين أن أبقى له بلا زواج ، أو أتركه
واتزوج ..

ولم أكن أستطيع أن أتركه ..
أبدا لن أتركه ..

والح عليه فى الزواج ..
ويغضب ..
يخادمنى ..

ولكنى لا أستطيع أن أحتمل غضبه وخصامة ، أكثر من
يومين .. أو ثلاثة على الأكثر .. ثم أعود إليه ..
وأعود الح عليه ..

استجديه أن يتزوجنى ..

وأهى فوق رأسى .. تثير فى الخوف من أن يتزوج هاشم
غيرى .. وكل تقوده التى أودعها معها ، لا تسكت لسانها ..
ثم فكرت أن أستعين بأخته ..

لم أكن قد رأيت أخته من قبل .. ولكنى كنت أحداثتها فى
التليفون .. وكنت ادعى صداقتها فى أحاديثى مع الناس ..
ومع مرور الأيام ، وكثرة لقائنا خلال التليفون ، أصبح بيننا فعلا
نوع من الصداقة .. صداقة تليفون .. كنت أسألها عن الأولاد
.. وكانت تسألنى عن ماما وبابا وغم أنها لا تعرفهما .. مجرد
مجالمة ..

واعتمدت على هذه الصداقة ، وحادثتها فى التليفون دون
أن أخبر هاشم ، وفى وقت كنت أعلم فيه أنه فى العيادة ، وقلت
لها بعد أن وضعت فى صوتى رنة حزن عميق :
— أقدر أشوفك يا مديحه هاشم ..

وسكنت برهة كأنها تفكر ، ثم قالت كأنها تحاول أن تخفف
عنى :

— عابرة تشوفينى لوحدى ولا مع أبيه هاشم ؟

لاكتشاف كنز الدكتور هاشم .. وليس معنى هذا أن بيت هاشم
أفخم بيت دخلته .. لا .. لكنها شخصية هاشم .. الشخصية
التي تسيطر على وتملكنى .. هي التي أشعرتنى بالرهبة ..

وقادنى السفرجى النوبى المهذب الى صالون جانبى ..
وجلست وأنا أدير عينى فوق الجدران ، وأتلصص بهما من خلال
الباب .. ولم أنتظر طويلا .. جاءت مديحة تحمل بين شفتيها
ابتسامة خبيرة ، وتحمل فى يدها علبة من زجاج البكاراه مملوءة
بالشيكولاتة ..

وقبلتنى فوق خدى قائلة :

— أهلا وسهلا ..

ثم ابتعدت عنى قليلا ، لم أخذت تنظر الى من خلال ابتسامتها
الكبيرة ، ثم قالت :

— لا ، ده انتى حلوه قوى .. أول مره أخويا يبقى ذوقه

كويس ..

وأرخت عينى فى خفر ..

وجلسنا احدانا بجانب الأخرى ، على أريكة واحدة .. وقدمت
لى الشيكولاتة .. أخذت واحدة ، وأنا أرفع عينى اليها الأملأها
منها .. انها أصغر مما كنت أعتقد .. هاشم كان يقول لى أنها
فى الرابعة والثلاثين .. ولكنها تبدو أقل من الثلاثين .. أنيقة فى
وقار .. وأكثر مرحا مما يعبر عنها صوتها فى التليفون ..

وتبادلنا كلاما كثيرا ، استطاعت به مديحة أن تريح أعصابى ،
وتكسب ثقتى واطمئنانى .. ثم بدأت أروى لها حكايتى مع أخيها
.. قلت لها كيف عرفته .. لم أقل لها انى ادعيت المرض لأذهب
اليه .. قلت لها انى كنت مريضة فعلا عندما التقيت به .. وقلت
لها كيف تركت زوجى من أجله ، رغم انى كنت حاملا .. وقلت

قلت :

— لا .. لوحدك .. لو سمحتى ..

قالت وهى تضحك ضحكة صغيرة تواسينى بها :

— لازم حاتشكىلى من أخويا ..

قلت بعد أن ضغطت على عبنى حتى انطلقت دموعى :

— انتى ما تعرفيش عمل فى ايه .. دى شكوى كبيره ..

ومش لاقيه حد أروح له الا انتى .. ما اقدرش أروح لماما ..

ما اقدرش أروح لوأحده من خالاتى .. ما فيش قدامى الا انتى ..

وقالت مديحة وأنا أحس بلهفتها على :

— طيب ما تعيطيش يا أمينه .. بكره زى دلوقتى تشرفينى

.. ونقع على راحتنا ونتكلم سوى .. أنا كل واحد بتعرف

أخويا بتصعب على .. وانتى استحملتية مده طويله .. أنا عارفه

استحملتية ازاي .. بكره تحكىلى على كل حاجه ..

وقضيت الليل أنتقى الثوب الذى سأذهب به اليها .. وأعد

الكلمات التى سأقولها لها .. كلمة كلمة .. بل أعد ابتسامتى

.. ودموعى .. وكل ما أحتاج اليه الأصل الى قلبها ..

وذهبت الى المعادى ، بعد أن تعمدت أن أنتقى لنفسى ثوبا

كحشمة ، وتعمدت أن أخفف من زينتى قدر امكانى ..

وعائلة هاشم ليست أكبر من عائلتنا .. بالعكس .. عائلتنا

أكبر وأعرق ، حتى لو كانت عائلة هاشم أغنى .. ورغم ذلك

فقد شعرت برهبة غريبة وأنا أدخل بيته .. خيل الى انى أسير

فى حلم انتظرته طوال عمري .. وخيل الى انى قزمة فى عالم

مسحور .. أحسست بشخصيتى تضعف ، تضيق بين هذه

الأبهاء الواسعة .. وهذا الهدوء .. وآليات الورد .. وقطع

الأثاث الضخمة .. والأوبيسون .. خيل لى انى فى مغارة رهيبة

قالت بسرعة :

— ما أعرفش تسيبيه ازاي .. انما اللي اعرفه ان أخويا
مش حايته جوز .. دي ماها قعدت تتحايل عليه انه يتجوز من
يوم ما تخرج وبقي دكتور .. عرضت عليه أحسن بنات البلد ..
ما فيش فايده .. وقبل ما تموت بتلات اشهر بس ، رضى انه
يتجوز علشان يفرحها .. خطبنا له بنت مدهشة .. جمال ..
وعيله .. وثقافته .. وأخلاق .. وأعلنا الخطبه فعلا .. والبنت
حبته .. وماتت المرحومه ماها .. ماتت فرحانه .. وبعد ما ماتت
بتلاثة شهور بس .. يدوبك بعد الأربعين .. انلكك على سبب
هايف وفسخ الخطبه ، وكسر قلب البنت .. ده حرام عليه ..
حرام ومن يومها .. ما فيش فايده يتجوز .. وما اعتقدش انه
ينفع فى الجواز .. أخويا فيه حاجات كثير كويسه الا حكاية
الجواز دي ..

وبكيت ..

لم أفتعل البكاء ..

ولكن بكيت فعلا .. وبكل دموعى ..

ومديحة تربت على كتفى .. وتضغط على يدي .. وتمسح
على شعري .. وهى تقول :

— انا باقولك الحقيقه يا امينه .. مش عايزه أضحك
عليكى .. لازم تسيبيه .. اتسيه .. كل حاجه بتتنسى ..

وتنهدت تنهيدة عميقة ، وقالت فى صوت خافت :

— كل واحده فى حياتها حاجه اضطرت تنساها ..

ولم استطع ان اناقشها طويلا ..

انها كأخيها .. تصدمك بالحقيقه .. بلا رحمة ..

وأخذتنى الى الحمام لأغسل وجهى بعد بكائى الطويل ..

لها كيف احتملت الاشاعات التى ثارت من حولنا .. وقلت لها كيف
احتمل سخط أمى وأبى وعائلتى .. وكيف أعرض مستقبل ابنتى
كله للخطر من أجله .. وأفضت طويلا فى الحديث عن ابنتى ..
فهى أيضا لها ابنة .. وقد يرق قلبها لى .. ثم قلت لها انى منذ
ثلاث سنوات وأنا رفض كل خاطب يتقدم الى .. فى انتظار
أن يتقدم هاشم .. و .. دموعى أعصرها مع كلماتى ..

واسنمعت الى فى هدوء وصبر .. لم تقاطعنى .. الى أن
قالت وأصابها تعبث بعضتها فى بعض لتخفى غضبها :

— والله مش عارفه أقول لك ايه يا امينه ..

ثم سكتت قليلا واستطردت قائلة :

— هو وعدك بالجواز ؟

ونظرت اليها كأنى ألومها . وقلت :

— تقريبا .. ولكن حتى لو ما كئش وعدنى بالجواز .. كان
بيحبنى .. ولغاية دلوقتى مفهمنى انه بيحبنى .. وهو عارف
آخرة الحب ايه ؟

وعادت تقول :

— أنتى عايزه رأى ..

قلت فى مسكنة :

— أيوه ..

قالت وهى تزغر كأنها ضاقت بفظائح أخيها :

— سيبه .. سيبى أخويا .. غلطتك انك فضات معاه

لغاية دلوقتى .. ما كئش حد ممكن يستحمله كل ده الا انتى ..

قلت لها وأنا أشهق ، وقد فوجئت برأيها .. رأى قاس

يسد كل الأبواب :

— اسيه ازاي بس ..

دخلت غرقتى وارتميت على فراشى وعيناي معلقتان فى
السقف ..

قررت أن أنسى هاشم ..

وكنت مخلصه فى محاولة نسيانه ..

صدقونى ..

كنت مخلصه فعلا ..

وكل هذه النار التى أحرقت حياتى ، شسبت الأنى حاولت
نسيانه .. كل يوم من أيامى التى مرت بعد ذلك ، لويته بيدي ،
الأصنع منه آلة حادة أقطع بها ما بينى وبين هاشم .. ولم أكن
أدرى أتى أقطع فى نفسى .. فى قلبى .. فى عقلى ..

ما هو النسيان ..

هو أن أستبدل بقلبي قلبا جديدا .

وأن أستبدل بعقلي عقلا جديدا ..

وأن أستبدل بجسدى جسدا جديدا ..

كنت أعتقد أن هذا هو النسيان .. وكنت أعتقد أن هذا ممكن
.. ولكن .. لا .. ليس هذا هو النسيان .. ولا يمكن أن
نعثر على قلب جديد ، ولا عقل جديد ، ولا جسد جديد .. القلب
واحد ، والعقل واحد ، والجسد واحد .. الى أن تموت ..

والنسيان هو أن تحتل جرح قلبك الى أن يندمل .. وتحتل
جرح عقلك الى أن يجف .. وتحتل جرح جسدك الى أن يلتئم ..
أن تحتل العذائب الهائل المريع ، شهرا .. شهرين .. سنة ..
سنتين .. الى أن يجف العذاب .. وحتى بعد أن يجف العذاب ،
سيترك وراءه أثرا مشوها ، كالشرخ فوق لوح الزجاج .. وتعيش
طول عمرك بقلب مشروخ ، وعقل مشروخ ، وجسد مشروخ ..
ليس هناك انسان استطاع أن ينسى .. أبدا .. كل

ونظرت الى الجدران القيثمانى .. وأدوات الزينة الأنيقة الملقاة
فوق الحوض .. كأنى أودع كل شىء أراه .. وخرجت ..

خرجت وأنا أكره مديحة ..

أكرهها وأحقد عليها ..

انها تستطيع أن تقول لى ببساطة .. انسيه .. لأنها ليست
هى التى ستتحمل ألم النسيان .. انها لم تفكر فى انى قد
لا أستطيع أن أتحمل هذا الألم .. قد لا أنساه .. والا لكأنت
انتقت لى نصيحة أخرى غير النسيان .. ولوقفت بجانبى حتى
تجبر أخاها على زواجى ..

ولكن ..

انسيه ..

هكذا ببساطة ..

انى أكرهها ..

وأكره هاشم أيضا ..

وعقلى يغلى طول الطريق ..

الى ان وصلت الى البيت .. واندفعت نحو أمى قائلة كأنى
أصرخ :

— ماما .. أنا خلاص حاسيب هاشم .. شو فى لى واحد
أتجوزه ..

وقالت أمى والفرحة تزغرد على وجهها :

— بركه يا بنتى .. خلاص .. من بكره يجيلك العريس ..
أهى خالتك نعيمه جاييه عريس بالدنيا كلها .. اسمه حسن
عبد الكريم .. مهندس .. وابن باشا من بتوع زمان ..
ولم أرد عليها ..

ما يستطيعه الانسان هو ان يزيح ذكرياته من امام عينيه ، ويضعها
فى مؤخرة رأسه .. وعملية الاراحة هذه هى العملية الصعبة ..
هى العذاب الاكبر .. عذاب لا يستطيع كل انسان ان يحتمله ..
ولم أحتمله أنا ..

وكنت أعتقد أنى أستطيع احتماله .

كنت أعتقد أنى يكفى ان أتخذ قرارا بأن أهجر هاشم ثم
أتزوج .. وينتهى كل شىء .. أفيق من هذه الحياة القلقة المهوشة ،
لأعيش فى استقرار وهدوء .. كما تعيش ابنة عمى مع زوجها
وأولادها .. وكما تعيش ابنة خالتى .. انى لست أقل منهما ..
أنا أجمل منهما وأذكى ، وأولى منهما بسعادتهما .. كنت أقول
لنفسى هذا الكلام .. ثم أعود وأذكر نفسى بالمرات السابقة التى
حاولت ان أنسى فيها هاشم وفشلت .. وأقول لنفسى .. يا بت
مش حاتقدرى .. ده انتى واقعة لشوشتك .. مش ممكن
حاتسييه ، ولا حاتنسيه .. ولكى أشد ارادتى ، وأعود أحاول
ان أقنع نفسى بأنى لم أكن جادة فى المرات السابقة .. كنت
لا أزال أعيش فى بعض الأمل .. ولكننى الآن فقدت كل الأمل ..
والياس من هاشم سيعيننى على هجره ونسيانه ..

ومر يوم ولم أتصل به ..

ولم يحاول ان يتصل بى .. ليس من عادته ان يتصل بى
إذا لم أتصل به ..

وحاولت ان أشغل نفسى فى هذا اليوم بكل شىء يبعدنى عن
التليفون .. التصدت بأهى حتى تحميتى من نفسى .. ولعبت
الكنتشينة مع أخوتى .. وذهبت معهم الى السينما فى حفلة الساعة
الثالثة .. ثم خرجت مع أمى فى المساء لزيارة احدى خالاتى ..
ونمت ..

تمت وكل عقلى وكل قلبى مع هاشم .. ترى ماذا فعل فى
هذا اليوم .. هل أشتاق الى .. هل تنبه الى انى لم أحادثه
فى التليفون .. هل قالت له أخته انى ذهبت الى زيارتها ..
هل ذهب الى لقاء فتاة أخرى .. لعله حمد الله لأنى أخليت له
الطريق فاللقى بمرفت دون ان يخشى ملاحظتى .. والغيره تعصفت
بى .. وتخف الغيرة حيناً لتتقلب الى شوق .. والحنين اليه
يقرصنى فى قلبى ، ويشد من جسدى ..

وقمت فى اليوم التالى .. والفراغ يمتد أمامى .. الملل
.. والزهق .. والخطوات البطيئة المتكاسلة .. ولكننى لن أتصل
بهاشم .. مستحيل .. ان ارادتى قوية .. وقرارى نهائى ..
ولكن .. لعل من حقه ان يعلم بهذا القرار .. انى لا أستطيع ان
أهجره هكذا ، دون كلمة وداع .. ثم أنه صاحب حق على ..
أربع سنوات من عمرى ليست شيئاً هيناً حتى أسحبها منه
بلا كلمة .. و ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت به ، وسمعت صوته منطلقاً
طبيعياً كأنه لم يشعر بأنه مر يوم دون ان أتصل به .. وقال :

— كنتى فين .. ما تكلمتيش أمبارح ليه ؟ ..

قلت فى وقار وقلبى يخفق لصوته :

— وحشتك ؟ ..

قال :

— طبعا ..

قلت وأنا أضع رنة تحد فى صوتى :

— يظهر حاوحشك على طول ..

قال وفد هذا انطلق صوته :

— قصدك ايه ؟ ..

قلت :

— خلاص .. حاتخطب ..

وسكت ..

سكت برهة طويلة ..

وقلت وكاني شامته فيه :

— زعلت ..

قال وفى صوته حشرجة طفيفة :

— أبدا .. بس اتفاجئت ..

قلت متهكبة :

— على كل حال أنا عملت زى أختك ما وصتنى ..

قال فى أسى :

— أختى لها حق .. وانتى لك حق ..

وسكت قليلا ثم قال .

— ومبين الخطيب المره دى ..

قلت كائى أغيظه :

— واحد كويس قوى ..

قال :

— اسمه ايه ؟ ..

قلت :

— ما اقدرش أقول لك ..

قال :

— ما دام كويس .. مش عايزه تقولى اسمه ليه ..

قلت :

— مش دلوقتى .. يمكن أقول لك بعدين .. المهم أنى مش
حالقدر أشوفك بعد كده ..

قال وهو يتنهد :

— برضه أحسن ..

واغتظت .. كنت أريده أن يطلب لقائى ولو لآخر مرة ..
كنت أريده أن يتوسل الى .. أن يبكى .. أن يشعرنى بأنه
لا يستطيع أن يستغنى عنى .. لا يستطيع أن يعيش بدونى
.. وربما كنت ذهبت اليه .. بل قطعاً كنت سأذهب اليه لو طلب
لقائى ، فقد كانت كل قطعة منى تحن اليه .. ولكنه لم يفعل ..
تركنى لقرارى ..

واعدت سماعة التليفون وأنا نادمة .. نادمة لائى حادثته ..

وانقضى اليوم أثقل من سابقه .. وجاءت خالتي سعيدة
لتحدثنى عن العريس الجديد .. عريس لقطه .. وهو فعلاً
لقطة .. ولكنى كنت أستمع الى حديثها فى برود .. ليس هناك
أمل يحرك دمائى ، أو يثير لهفتى .. كنت يائسة .. اكتشفت
أنى بنسيت من نفسى منذ قررت أن أياس من هاشم ..

وجاء العريس ..

حسن ..

شباب فى الرابعة والثلاثين .. أستمر .. حلو التقاطيع ،
يحمل فوق وجهه شاربا كثا كبيرا ، أكبر من سنه .. ربما اقتبسسه
من الانجليز عندما كان يتلقى علومه فى انجلترا .. وضحكت
لشاربه عندما رأيتة لأول مرة .. ولحمت الفرحة فى عينيه عندما
رأنى كأنه لم يكن ينتظر ان يجدنى جميلة الى هذا الحد .. انه
من الناس الذين لا يرون صدرى الصغير ، ولا ظهرى المسحوح ،

ولا يعتقدون أن عيني الواسعتين جاحظتان ، أو أن بشرتي
البيضاء صفراء ..

وجلست أمامه وأنا أدعى خفر العروس وهدوءها ..

وهو ثابت الشخصية .. جرىء .. لم يرتبك .. ولم يتلعثم
.. رغم ترحته بي التي تبدو في عينيه .. ولم تنقض لحظات
حتى ملك الحديث كله .. وأثار ضحكات أمي .. وقهقهة زوجها
«...» وفي خلال حديثه كنت المح عينيه يتفحصاني .. يسقطان
على ساقى .. ويرتفعان الى صدرى .. ويتوقفان عند شفتى
.. وربما جرأته لم تجرحنى ..

وتحمس له زوج أمي الى حد أن أصر على أن يدعوه ليلتها
الى العشاء .. وفتح له زجاجة ويسكى .. وزوج أمي لا يفتح
زجاجة ويسكى الا فى المناسبات العريضة ..

وامتألاً الليل بالضحكات التي أثارها نكات حسن وتعليقاته ..
وعندما هم بالاتصراف أمسك بيدي وضغط عليها ضغطة
واضحة جريئة ، ورفع الى عينيه الفرحتين بي ، ثم انحنى يقبل
يدي ..

وسرت قبلته حتى كوعى ..

لا أكثر ..

وسحبت منه يدي ، وأنا أنظر الية وأبتسم فى خفر ..
لا زلت أمثل دور العروس ..

وبعد أن خرج ، سألتنى أمي والفرحة تزغرد على وجنتيها :
— ايه رأيك بأه ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

— باين عليه جدع كويس ..

وصاح زرع أمي :

— كويس بس .. ده لقطه .. علم ومركز وعيله .. عمرك
ما حتلاقي أحسن منه ..

وابتسمت لزوج أمي كأنى أطمئنة .. ودخلت غرفتى أفكر
فى حسن .. ووجدت نفسى أقارن بينه وبين هاشم .. انه لا يقل
عن هاشم .. لا فى المركز ولا فى العيلة .. ربما يقل عنه فى
شهرته .. هاشم كطبيب أشهر من حسن كمهندس
ويختلف عنه فى الشخصية .. كلاهما له شخصية تبرز فى أى
مجتمع .. ولكن شخصية هاشم أثقل فى وزنها من شخصية
حسن .. وكلاهما وسيم .. ربما لو كان أنف حسن أكبر قليلا ،
لأصبح فى وسامة هاشم ..

ولكنى وجدت نفسى بعد قليل أفكر فى حسن من وجهة نظر
هاشم .. لم يعد المهم هو رأيى فى حسن ، بل رأى هاشم فيه ..
وأخذت أتصور ماذا يمكن أن يقول هاشم عن حسن .. عن شكله
.. عن مركزه .. عن عائلته .. وهل يمكن أن يغار منه ..
ثم أخذت أنساق وراء أحلام كاحلام الأطفال .. تصورت نفسى
أنتعشى نى سيميراميس مع حسن ، وهاشم جالس فى مائدة
مواجهة ينظر الينا فى غيظ ونكد .. وأنا أميل على حسن وأضع
رأسى بجانب رأسه ، ونضحك .. ثم أنظر من طرف عيني الى
هاشم لأشرب من غيظه ومن نكده .. ثم تستطرد بى الأحلام
.. فأتصور أن هاشم أيضا معه امرأة أخرى .. وأتصور حالى
.. هل أستطيع أن أبتسم ساخرة .. هل أستطيع أن أهز كتفى
بلا مبالاة .. لا .. لن أستطيع .. ربما قمت وانصرفت بمجرد
أن أراه مع أخرى .. ربما صرخت .. ربما هجمت عليها وأنشبت
انظافرى فى وجهها .. وأحسست بقلبي يرتعش لجرد هذا

التصور .. أحسست بدمائى تتور .. رأسى يلتهب .. عينائى
تشقان ظلام الغرفة الأناكد أن ما أتصوره هو مجرد تصور ..
وانئى لم أر هاشم .. فى سميراميس مع أخرى ..

وانتهيت الى انئى أصبحت أفكر فى هاشم وحده .. نسيت
حسن .. وبدأت قول لنفسى كلاما يضاعفنى .. لماذا قررت أن
أهجر هاشم الآن .. لماذا لا أنتظر الى أن تعلن خطوبتى رسميا
ثم أهجره .. قد لا تعلن الخطبة .. قد يحدث أى شئ .. فلماذا
لا أحتفظ بهاشم حتى آخر يوم .. انئى فى حاجة اليه .. وأنا
أشعر وهو معى بأئى قوية .. أستطيع على الأقل أن أتمعن
فى الرجل الذى سأتروجه ، ولا أرمى عليه لمجرد الخلاص من
هاشم ..

وتملكنى هذا الضعف ..

وكنت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ..
والبيت كله نائم ..

وتسللت على أطراف أصابعى الى التليفون ، وعدت به الى
غرفتى ، وأدريت رقم هاشم .. فى البيت .. وسمعت صوته
.. انه يضع التليفون دائما بجانبه عندما يكون فى البيت .. انه
طبيب ..

وقلت فى صوت هامس ، رغم انه لم يكن هناك داع للهمس :
— أزيك ..

وقال وهو يقلدنى فى همس :

— أزيك انتى ..

وهمست :

— انت فاضى بكره الساعة أربعه ؟

وهمس :

— آه ..

وهمست :

— طيب حاشوفك بكره .. تصبح على خير ..

وضعت سماعة التليفون ، وقمت أتسل وأعدت التليفون
الى مكانه ..

ولم أندم ..

استرحت ..

ونمت ..

وذهبت اليه فى اليوم التالى .. وكنت أشعر بأئى قوية
وأنا ذاهبة اليه .. قوية فى شخصيتى ، وفى اعتزازى بنفسى
.. قوة أستمدتها من حسن .. فلم يعد هاشم هو الرجل الوحيد
فى حياتى .. لم أعد فى حاجة اليه لاتزوج .. انئى أستطيع أن
أتزوج غيره بسهولة ..
وكان فى انتظارى ..

فتح لى الباب .. ووقف ينظر الى ، كأن كل حبه تجدد فى
لحظة واحدة .. ولا أدرى لماذا شعرت ساعتها بأنه مهتز ..
فيه شئ مهتز .. وابتسمت له ابتسامة قوية كأنئى أشفق عليه
.. أتعطف عليه ..

وألقي نظرة سريعة على أصابع يدي ، كأنه يبحث فيها عن
شئ .. فلم يجد فيها سوى دبلة الفضية .. واتسعت ابتسامته
.. ثم أخذنى بين ذراعيه .. وضمنى اليه فى حنان عجيب
أشعر به منه من قبل .. كأنه يستريح فى صدرى .. ثم أبعدهنى
عنه وابتسامته لا تزال تملأ هممة .. وقال :

— انتى صحيح اتخطبتى ..

وهزرت رأسى وقلت :

— تقريبا ..

قال وهو ينظر في عيني كأنه يبحث عن الحقيقة :

— تقريبا يعني ايه ..

قلت وأنا أبتسم في تدلل :

— يعني كان عندنا امرار لغاية نص الليل ..

وأدار لي ظهره ، وقد انهار وجهة حتى خيل الى أن انه سيقع من مكانه ، وتقدم من المكتبة الصغيرة والتقط كتابا ، أخذ يقلب فيه كعادته عندما يغضب ..

وقلت في لهجة قوية :

— هاشم .. ما تعملش كده .. لازم تشجعني على اني

اتخطب .. واتجوز .. انت عارفا اني مش ممكن أعيش بالشكل ده على طول ..

قال وهو يحاول أن يسترد بروده وغروره :

— يعني عايزاني أعمل ايه ؟ ..

قلت :

— عايزاك تبقى لطيف معايا ..

قال :

— لو كنتي عايزاني أشجعك على الجواز يبقى لازم ماكنش

لطيف معاكي .. لازم أخليكي تكرهيني ..

قلت وأنا أقترب منه :

— أنت عارفا ان عمري ما حاكرك .. ولو حاولت تخليني

اكرهك ، حاتعلق بيك زياده .. لو كنت عايزني أتجوز بصحيح

خليك لطيف معايا لغاية ما أتجوز .. لغاية ما أقدر أستغني

عنك ..

قال وهو يلقي الكتاب من يده وينظر في عيني :

— واقدر أكون لطيف ازاي وانتي كنتي قاعده مع واحد تاني

لغاية نص الليل ..

وقاطعته وأنا ألتصق به :

— بتغير على لادرجه دي يا هاشم ..

قال وهو يشيح بوجهه عنى :

— مش غيره .. مبدأ .. مبادئ يا أمينه .. لازم تعرفي

ان مش ممكن تكوني لرجلين في وقت واحد .. الجوازه اللي

فاتت ، أسحملناها لانك كنت متجوزه غصب عنك ، ولانك

أتجوزتي قبل ما تشوفيني . انما الدور ده بتتجوزي بارادتك

.. ما لكيش عذر .. ولا لي عذر ..

قلت وأنا أطوق عنقه بذراعى :

— عذري اني لازم أتجوز وعذرك انك مش عايز تتجوز ..

ورفع يديه ليزيح ذراعى من حول عنقه .. وهو يقول :

— ده مش عذر .. ده موضوع تاني .. ده ..

وقبل أن يتم ، أسكتة بشفتي ..

ذابت بقية كلماته فوق لساني ..

وذبت في قبلته .. ذبت .. كأنى لم أقبله منذ مائة سنة ..

وكل قطعة منى تتمسح فيه .. وجسدى الذى شققه العطش ،

يشرب ..

ولكن هاشم تغير

ليس عنيفا ..

لا يضريني ..

أخذني برفق واحترام .. كأنى شيء كبير محترم .. وفي

عينيه نظرة ضعيفة مبتهلة .. كأنه يودعنى .. أو كأنه يأخذ

شيئا لم يعد من حقه .. أو كأني أصبحت أقوى منه لجرد أن
رجلا آخر تقدم ليخطبني ..
انى لا أريده هكذا ..

لا أريد أن أكون أقوى منه .
لا أريد أن أكون محترمة ..

أريده عنيفا كما تعودته .. يضربنى .. يمزقنى .. يلوى
خصلات شعري بين أصابعه .. وفى عينيه هذه النظرة التي
تخيفنى . كأنه سيخفقنى .. سيشرّب دمي .. سيأكلنى ..

و ..

وأنشبت أظافرى فى كتفه العارى .. بكل حدتها .. فصرح
.. وضربنى ..

ورغم ذلك .. فبعد أن انتهت هذه اللحظات عدت أتمتع
باحساسى بالقوة .. قوتى عليه .. وتمتعت بنظرتيه للضعيفة
وهو يسألنى فى لهفة :

— حاقد ر أشوفك تانى ؟ ..

وقلت ونا ابتسم ابتسامة واثقة فيها خيلاء :

— مش عارفه لسه ..

وخرجت وأنا أدب الأرض بكعب حذائى العالى فى خيلاء
كأنى فتحت عكا .. كأنى امبراطورة زمانى ..
وقد عدت اليه ..

عدت مرات كثيرة ، وأنا أتعلل بأن خطبتى الى حسن ثم
تعلن بعد .. ويوم تعلن لن أذهب اليه .. سأقطع ما بينى وبينه ..
وحسن يتردد على البيت كل يوم ، يحمل شاربه الكث تحت
أنفه ، ويحمل فى يديه هدية .. ولكنه يأتى وحده .. المفروض
أن تأتى معه أمه ، أو أبوه ، أو احدى اخوته البنات ، حتى نبدا

فى اتخاذ اجراءات الخطبة .. أبوه سافر .. أخته دخلت
المستشفى ..

ولم أصدق كل هذه التعللات ..

واخفت

خفت أن يكون قد سمع شيئا عن حكايتى مع هاشم ..
ومنذ أن جاء ورايته لأول مرة ، وأنا أسائل نفسى هذا السؤال
.. هل يعرف شيئا .. وطمأنتنى مواظبته على التردد على البيت ،
واستمراره فى مشروع الخطبة .. ولكنى عدت أخاف ..
والخوف يضعفنى أمام هاشم ..
الى أن كان يوم ..

وجاء حسن كعادته .. وبعد أن جلس مع العائلة كلها بعض
الوقت ، نظر الى نظرة طويلة ، وعلى شفثيه ابتسامة باهتة .
ثم التفت الى أمى قائلا :

— أقدر أقعد أنا وميتو لوحدا شويه ؟ ..

والتفتت أمى الى زوجها ، ثم ترددت قليلا ، وقالت :

— وماله يابنى .. ده حقك ..

وكانت أمى حريصة حتى هذا اليوم على ألا تتركنا وحدنا
أبدا ، حتى تدخل فى وهم حسن اننا عائلة محافظة .. ولكنها
اضطرت أمام نظرة حسن الجادة ، أن تدعن لطلبه ..

والتفت الى حسن وقال :

— تحبى نقف فى الفرانده شويه ؟

وهزرت رأسى بالموافقة ، وخرجت الى الشرفة وقلبى
يرتجف ، واستندت على حاجزها ، أطل على الشارع ، وجاء
حسن ورائى ووقف بجانبى .. وأشعل سيجارة .. وصمت قليلا
.. ثم قال ودخان سيجارته يتخلل شعرات شاربه الكث :

— أنا حاكلكم بصراحه يا ميتو .. مش حا اخبى عنك حاجة ..
واللى يخلينى اكلك بصراحه ، انى فعلا اتمنى اليوم اللى
نتجوز فيه .. أنا حاسس من دلوقتى انى باحبك .. وباحبك
قوى كمان ..

ورفعت اليه عينى الواستعتين ، ثم خفضتهما ، دون أن أتكلم
.. لم أجد شيئاً أقوله ..

واستطرد حسن قائلاً :

— أنا أوى واخواتى ، معارضين فى جوازنا ..

ورفعت رأسى اليه فى لفطة عنيفة ، كأتى ضقت بخوفى
وارتجافة قلبى ، وقلت والدماء تتجمع فى رأسى :

— أنا كنت حاسه بكده .. واحب أقول لك من دلوقتى
اننا مش ممكن نتجوز الا اذا كانوا أهلك موافقين .. وييجوا
يخطبوني كلهم ..

وقال كأنه يعتذر لى :

— أرجوكى يا ميتو .. استحملى كلامى للآخر .. لازم
نتكلم بصراحه .. ومن غير زعل .. أنا حاسس انك تقدرى
تفهمينى أكثر ما أهلى يقدرُوا يفهمونى .

وعدت أطل من فوق حاجز الشرفة ، وقلت :

— اتفضل اتكلم ..

قال :

— اننى عارفة الأمهات ، وعتلية الأمهات .. أمى كانت
الأول بتعارض لأنك سبق اتجوزت ولأنك مخلفة .. وطبعاً هى
فاهمه أن ابنتها صغير وما يصحش انه يتجوز واحده مطلقه .
واحسست انه يشتمنى ، ولكنى بقيت صامتة .

وعدا يقول :

— وطبعاً ده كلام فاضى .. وأنا عارف انى أقدر أقنع أمى
.. وعارف إن أمى مستعدة تضحى بكل آراءها علشان سعادتى
.. انما فيه موضوع تانى ..

وعدت أرفع رأسى اليه ، وعاد قلبى يرتجف ، وقلت وأنا
أحاول أن أضع على شفتى ابتسامة ساخرة :
— خير ..

وقال وهو يدير عينيه عنى :

— سمعت انك تعرفى .. أو كنت تعرفى الدكتور هاشم
عبد اللطيف .. وفضلت تعرفيه مده طويله ..
وسقط قلبى فى قدمى ..

وبقيت كما أنا ، أطل من فوق حاجز الشرفة ، دون أن ألتفت
اليه ، وقلت وأنا أحس بشوكة فى زورى :

— سمعت من مين ؟

قال كأنه يواسينى :

— بن اخواتى البنات .. والحقيقة ناس كثير عارفين
الحكاية دى ..

والتفت اليه والدموع تنبثق من عينى ، وقلت :

— انت عايز الحق .. أيوه كنت أعرفه .. قعدت سنتين
أعرفه .. وكان مغروض نتجوز .. ومتجوزناش .. وسببته
.. وما كانش ممكن انى أقبل أتخطب لك الا اذا كنت سببته ..
وغلبتنى دموعى ..

بكيت من الغيظ .. بكيت من خوف الفشل ..

ونظر الى حسن فى حنان ، وقال كأنه يريد أن ينتهى من
الموضوع حتى أخره :

— أقدر أعرف ما تجوزتوش ليه ؟ ..

قلت بسرعة :

— لأنه سافل .. زى أى واحد بيعرف بنت ولا بيتجوزهاش ..

قال فى هدوء :

— كنتى بتحببيه ؟ ..

قلت بحدة وأنا أنظر اليه فى غضب :

— طبعا كنت باحبه .. أمال كنت حا اعرفه ليه ..

قال وهو لا يزال هادئا :

— ولسته بتحببيه ؟ ..

قلت وأنا أزداد حدة :

— لا .. لو كنت لسته باحبه كان زمانى لسه معاه .. قلتك

سبته .. وكفايه يا حسن .. كفايه .. انت مالكنش حق تحقق

معايا .. أنا مش واحده خانتك ولا ضحكت عليك .. احنا لسه

ما تجوزناش علشان تعذبني بكلامك .. أنا قلت لك على كل

حاجه ، وبعد كده انت حر ..

وهممت أن أتركه .. ولكنه أمسك بيدي فى رفق ، وقال :

— أنا آسف يا ميتو .. انما كان لازم اتفولك كل اللى فى

قلبي .. أنا اترددت كتير قبل ما أفاتحك فى الموضوع ده ..

بقالى سبعة أيام ما بنمش .. وأنا مقدر صراحتك .. ماتقدريش

تعرفى اد ايه أنا سعيدي لأنك اعترفت لى بكل حاجه .. الاعتراف

لوحدده معناه أنك أحسن بنت فى مصر .. معناه أنك ست الستات

كلهم ، وأشرفهم .. وانتي عارفة انى عشت فى انجلترا ..

مانيش مقفول ولا شيخ طريقه .. وعارف إن كل بنت ضرورى

فى حياتها راجل قبل جوزها .. ومش عيب .. انما أنا عايزك

تسيبيني أفكر يومين .. فيه حاجه لازم أتخلص منها قبل ما آخذ

قرارى .. و ..

وقاطعته قائلة فى حدة :

— فكر زى ما انت عايز ..

وهممت أن أدخل الى الغرفة .. ولكننى تذكرت زوج أمى

.. فتوقفت وقلت له ، وأنا أمسح دموعى :

— حانقول لماما وجوزها ايه !

قال :

— حا اقول لهم انى لسه باقتع أمى ..

قلت :

— من فضلك ما تقلهمش حاجه .. روح دلوقتي حالا ..

ومش ضرورى ترجع ..

وقال وهو بيتسم ابتسامة حزينة :

— حاضر ..

ثم دخلنا معا الى الغرفة .. وأمى تبطلق فى وجهى لتقرا

فوقه ما تبادلناه من حديث ..

وصانح حسن أمى وزوجها وقيل اخوتى الصغار .. وخرج

معتذرا بأنه على موعد .. وصاح زوج أمى ورائى بلهجتة

العسكرية :

— قالك ايه ؟

قلت وأنا أدخل غرفتى :

— بعدين ماما تقولك ..

ودخلت غرفتى ..

ولحقت بى أمى ..

وقلت لها ما قاله لى حسن .. قلت لها ان أمه واخوته

معارضين فى زواجه منى ، لأنى مطلقة .. ولأن عندى ابنة ..

ولأنى أعرف هاشم ..

هل صدق حسن براءى ..

هل يعون ..

لا أدري ..

ولكنى بينت ساعتها أنى بعث مستقبلى كله لهاشم ..
انى لم أعد أستطيع أن أتزوج .. لا يكفى أن أكون جميلة ، وأن
تكون أمى وخالاتى الخمس حتى أستطيع أن أتزوج فى أى وقت
أشاء .. وامتلات بالحقد .. الحقد على هاشم .. لقد بعته
مستقبلى وربما مستقبل ابنتى ، وهو لم يعنى شيئاً سوى هذه
اللحظات القصيرة ، وهذه النقود التى يعطيها لى ..

وشعرت كأنى أفيق .. أفيق الى الهوة السحيقة التى تردت
فيها .. وتصورت نفسى كأنى أنشبت أظافرى فى جدار أملىس
لأتسلقه واصعد الى وجه اندنيا .. الى النور .. الى المستقبل ..
لا ..

لن أعرف هاشم بعد اليوم ..

كفانى ..

ورغم ذلك . اتصلت به فى التليفون صباح اليوم التالى ..
كان اليوم فارغاً ، وانتظارى القرار الذى سيتخذه حسن يقتلنى
.. فاضطرت أن أحادث هاشم .. كأنى أريد أن أطمئن الى أنه
لا يزال حيا حتى أقتله .. ولم أقل له ما جرى بينى وبين حسن
بالأمس .. خفت أن يشمت فى .. أن يفرح .. اكتفيت أن
أحادثه حديثاً بارداً .. ولم أحدد معه موعد لقاء .. كنت قد
صممت ألا أذهب اليه ..

ومر يوم رلم أسمع شيئاً عن حسن ..

واليوم الثانى ..

وفى اليوم الثالث اتصل بى فى التليفون ..

دقت أبى على صدرها ، وقالت :

— طار الرجل ..

ثم التفتت الى بكل عينيها قائلة :

— وقتلى له اية على سى هاشم بتاعك اللى مهيب عيشتنا ،
وخارب بيتنا ..

قلت وأنا أنظر الى السقف :

— قلت له نى كنت أعرفه وسبته ..

وعادت تدق على صدرها قائلة :

— وده اسمه كلام ده .. كان لازمته ايه تقولى له أنك
كنت تعرفى هاشم .. اذا كانت الناس فاضحاكى ، مش ضرورى
تفضحى نفسك ..

قلت وأنا لا زلت أنظر الى السقف :

— كده أحسن ..

وصرخت واندموع تنطلق من عينيها :

— ولا أحسن ولا حاجة .. أعمل ايه بس ياربى .. يا رب
حرام .. حرام .. حرام تميل بخت البنت بالشكل ده ..

ثم خرجت تمنسح دموعها ..

وأنا لا زلت أنظر فى السقف ..

هل كان الأفضل لى أن أنكر علاقتى بهاشم .. وأصر على
الانكار .. لعله كان يصدقنى ، ويكذب كل الناس .. أم كان
الأفضل هو ما فعلته .. هو أن أعترف .. انى لم أعترف
بلا تفكير ، بل فكرت بسرعة .. فى لحظة خاطفة كان عقلى تد
تتحرك واتخذ قراراً بالاعتراف .. وكنت معتمدة على أن الاعتراف
قد يقنع حسن بأن علاقتى بهاشم كانت بريئة ، نظيفة ، بدليل أنى
أعترف بها .

كان رقيقاً مهذباً وفى صوته رنة ألم .. وحدثنى عما سمعه من الناس ، وكذبت له كل ما سمعه .. انت عارف كلام الناس يا حسن .. يعنى هم كانوا معنا يا حسن .. الناس ما يصدقوا يلاقوا حكاية يتكلموا فيها يا حسن .. أصل علشان هاشم مشهور الكلام كتر حوالى يا حسن ..

وحسن يبذل كل جهده ليصدقنى .. وليخرج من حيرته .. واستمر حسن يحادثنى فى التليفون كل يوم .. أحياناً مرتين وثلاث مرات فى اليوم .. انه يحبني .. لا شك أنه يحبني .. وأمى واقفة بجانبى تتلقى منى نشرة الأخبار .. ويطمئن قلبها حيناً .. وتبأس حيناً ..

وطوال هذه المدة لم أذهب الى لقاء هاشم ..

كنت خائفة على نفسى من لقائه .. خائفة ان يطير منى حسن .. ولم يكن حسن وحده يكفى ليشتغلنى عن هاشم .. أبداً .. انى لا زلت أفكر فى هاشم كل يوم .. كل دقيقة .. وقلبي وجسدى يتهزقان لهفة عليه .. ولكن المعركة كانت تعيننى على الابتعاد عنه .. المعركة التى أخوضها لاسترد حسن .. واستردت ثقتى فى نفسى .. فى ذكائى .. فى جمالى .. فى قدرتى على التحكم فى مستقبلى ..

وعاد حسن ..

عاد ليخطبنى .. وضغط على أمه وأخوته البنات ، حتى جئن معه ..

وحددنا موعد اعلان الخطبة فى الأسبوع التالى ..

وامتلاً زجه أمى بالفرحة .. وزغردت خالائى الخمس .. وقهقهة زوج أمى قهقهته العسكرية .. وخيل الى أن شارب حسن ما هو إلا رذاذ ضحكة كبيرة تجهدت فوق شفثيه ..

واستعدت ثقتى فى نفسى ..

كل ثقتى ..

ثقتى بأن مستقبلى بين يدي .. ملك ذكائى .. أستطيع أن أتصرف فيه كيف أشاء .. مهما فعلت .. مهما قال الناس عنى ..

وفى نفس اليوم الذى جاء فيه حسن وأمه ليخطبنى ، وبعد أن انصرنا اتصلت بهاشم فى التليفون ..

وذهبت الى لقائه فى اليوم التالى ..

ترى .. لو لم يعد حسن ليخطبنى ، هل كنت أعود الى لقاء هاشم ؟

لا أدري ..

ولكن يخيل الى أنه لو كان حسن قد صمم على العدول عن الخطبة ، لكان التى على درسا ينبهنى الى خطورة الطريق الذى أسير فيه .. ولا متأت حقداً على هاشم الذى أضاع مستقبلى .. وهجرته .. ولكن .. لأن حسن عاد ، فقد ازدادت استهتاراً .. وازددت اندفاعاً فى جرائى .. وفى خطيئتى ..

المهم ..

ذهبت الى هاشم ، وأنا لا زلت اتحجج بينى وبين نفسى بأن الخطبة لم تعلن بعد ، وأنا يوم تعلن ، فسأكف عن هاشم .. بضعة أيام أخرى .. ثم ينتهى هاشم من حياتى ..

واستقبلنى هاشم ، ونظرة ضعيفة مسكينة تطل من عينيه المنتفختين .. كان يتألم .. ويقاوم حتى لا يبدو عليه الألم .. كان يعرف أنه لم يعد الرجل الوحيد فى حياتى .. هناك آخر ..

وشعرت بالسعادة ، وسرت القسوة فى شخصيتى ، وأنا أرى النظره الضعيفة تطل من عينيه ..

يبدو أنني لا أستطيع أن أكون سعيدة ولا قوية ، الا اذا كنت لرجلين فى وقت واحد ..

وقال هاشم وهو يتنهد :

— احنا مش لازم نشوف بعض بعد كده ..

قلت فى استهتار ساخر :

— ما تخافش كلها يومين ومش حاشوفك أبدا .. يا ترى

حانتقدر تعيش من غيرى يا هاشم ؟

وهز كتفيه والألم مرتسم فوق شفثيه :

— مش عارف حاعيش ازاي .. انما متأكد انى مش

حاموت ..

وضحكت :

— بعد الشر عليك من الموت ..

وقضيت ساعة معه أو ساعتين .. وأنا أميرة .. أنا المسيطرة

.. أنا القوية ..

وكل يوم القاء ..

أخذ منه كل ما يستطيع ، وأكثر مما يريد .. كأنى أريد أن

اعتصره حتى لا أترك فيه شيئا بعدى ..

الى أن أعلنت خطبتى ..

أقمنا حفلة عائلية صغيرة .. بدوت فيها جميلة .. جميلة ..

أجهل مما تعودت أن أبدو .. ربما كان سر جمالى يومها هو

فرحتى بنفسى ..

والتوب « البروكار » الذى كنت ارتديه ، اشتراه لى هاشم

عندما سافر الى دمشق فى العام الماضى .. والحق الماسى

الطويل الذى يندلى من أذنى اشتراه لى هاشم فى عيد ميلادى

.. والخاتم ذو اللؤلؤة الواحدة اشتراه لى أيضا هاشم ..

وثيابى الداخلية كلها .. قطعة ، قطعة .. اشتريتها من نقود

هاشم .. وكنت أحس بكل ذلك .. أحس بأن هاشم معى فى

حفلة خطوبتى .. بل أحسست أن حسن لم يخطبنى وحدى ، بل

خطبنى أنا وهاشم .. مع بعض .. أو .. على بعض ..

وضحكت لهذا الإحساس ..

وأخذنا حسن بعد الحفلة الصغيرة الى الهيلتون لنسهر هناك ،

ومعنا أمى وزوجها .. واعتذر أبى وزوجته ، لأنهما لا يجبان

السهر فى المحال العامة ..

ودعائى حسن فى اليوم التالى لنسهر سنويا .. فى ملهى

قاصد خير ، وحاولت أمى أن تعارض .. حاولت أن تبدو سيدة

محافظه على التقاليد لا تسمح لابنتها أن تخرج وحدها مع رجل

الا بعد عتد القران ، حتى لو كان خطيبها .. ولكن أمى لم تستطع

أن تصر على رأيها ، فهى تعلم أن حسن يعلم عن ماضى الكثير ..

وهمس حسن فى أذنى :

— احنا لازم نظهر مع بعض كثير ، علشان الناس تنسى

الحكاية القديمه ..

وخرجت معه ، ومعنا صديق له وزوجته ..

وحسن انسان مرح .. يرقص .. ويشرب .. ويضحك

كثيرا .. وضحكته تهز شاربه هزات سريعة ، فتجعلك تضحك

معه .. وهو جرىء فى كلماته .. جرىء فى لمسات يده ..

ان يده لا تكف عنى .. أجدها فوق يدي .. ثم أجدها فوق فخذى

.. ثم أجدها على كتفى .. وأجدها تعبت بشعرى .. وأجدها

تمسح على ظهري وهو يرقص معى .. لا أستطيع أن أتخلص

منها .. انى أقضى السهرة كلها ، أزيح يده عنى ..

وعندما أوصلنى بسيارته بعد قضاء السهرة ، مال على

ليقبلنى .. لم يكن يريد قبلة هادئة .. قبلة على خدى .. أو على
يدى .. كان يريد قبلة كبيرة .. وفوجئت به فوق شفتى ..
لا يريد أن يتخلى عنهما .. وأنفاسه تهب على كنفخ النار ..
وأعصابه كلها مشدودة حولى .. واضطرت أن أكون عنيفة
لأزيحه عنى .. وأنا أكاد أصرخ :

— مش كده يا حسن .. ما تبقاش مجنون ..

وفتحت باب السيارة ، ونزلت بسرعة ، كانى أهرب ..
وابتسمت له .. كانى أرطب أعصابه بابتسامتى ..

وكل ذلك لم يفضبنى من حسن ..

لم أكن أحبه .. قطعاً انى لا أحبه .. ولكنى كنت أستطيع
أن **أحتمله** .. ولكن ما لم أحتمله منه هو أنه لم يستطع أن ينسى
هاشم .. كان يذكرنى به دائماً .. كان يقطع ضحكته العالية
ويهمس فى أذنى .. النهارده شفت الدكتور بتاعك .. ثم يندمج
فى حديث مع أسدقائه ويعود الى هامسا .. كنتى بتروحى معاه
فين .. ثم يشرب من كأسه ويعود يهمس .. فيه واحده قالت
لى النهارده اذك مش ممكن تنسى هاشم .. انه مسيطر عليكى
.. ساكنك من جوه .. و .. و ..

وقد ذكرت به كل ما أستطيع أن أذكره عن علاقتى بهاشم ..
وأصر دائماً على أنها كانت علاقة بريئة .. وكنت أجيب على
بعض أسئلته السخيفة .. وأتجاهل البعض الآخر .. ولكنه
لا يكف عن الحديث عن هاشم ..

وكان حسن يتركنى ، وبمجرد أن يتركنى أجد نفسى أفكر
فى هاشم .. أفكر فيه بكل قطعة منى .. كان حسن يتركنى
لهاشم ..

ومنذ أن أعلنت خطوبتى وقد امتنعت عن لقاء هاشم .. حادثته

فى التليفون مرة أو مرتين .. وذكرت له الأماكن التى أسهر فيها
مع خطيبى ، فقط لأغيظه .. ولم أطلب منه شيئاً .. ولا هي
طلب منى شيئاً ، فقط قال فى هدوء والم :

— أرجوكى يا أمينه تبقى تقولىلى حاتسهرى فىن ، علشان
ما اسهرش فى نفس المكان ، ونحرج بعض ..

وقلت وقلبى ملهوف عليه :

— حاضر ..

ولكنى لم أكن أحادثه فى التليفون كل يوم حتى أقول له أين
السهر هذا المساء .. كنت أريد أن أعود نفسى على الحرمان
من صوته كما حرمت من لقائه ، وربما كنت أستطيع .. كان
يمكن أن أقلل من هذه المحادثات التليفونية الى أن تنقطع .. لو أن
حسن ساعدتى .. ولكن حسن لم يساعدنى .. بالعكس ..
انه يذكرنى دائماً به .. بهاشم .. يذكرنى بأنى لازلت أحبه ..
بأنى لا زلت فى حاجة اليه .. يذكرنى به وأنا معه .. ثم يتركنى
له بعد أن يوصلنى الى البيت ..

ولم أستطع أن أقاوم طويلاً ..

ذهبت الى هاشم ..

دبلة الخطوبة .. فى اصبعى !

اتصلت به فى التليفون ، وقلت :

— عايزاك ضرورى ..

قال :

— خير ..

قلت :

— ما قدرش أقول لك فى التليفون ..

قال :

— أحسن بلاش نتقابل يا أمينه ..

قلت فى حدة :

— انت فاكرا أنا عايزه أقا:اك علشان حاجه .. أبدا ..
لولا انها مسألة مهمة ما كانش ممكن أفكر انى أشوفك ..
واسنسلم ..

ولقيني روجه متجهم .. وبوزه شبرين .. كأنه يضع نفسه
فى حالة يستطيع بها أن يدافع عن نفسه ..

لا داعى للتفاصيل ..

لقد استمرت علاقتى بهاشم وأنا مخطوبة لحسن .. واستمر
هاشم يدفع لى مرتبى الشهرى .. والتنايش .. وربما رضى
هاشم أن تستمر علاقتنا الأنى أفنعه بأنه لو تركنى الآن فسأتعلق
به أكثر ، ولن أحتمل أن أعيش بعيدا عنه .. ولكنى اكتشفت
يومها شيئا جديدا فى هاشم .. اكتشفت انه يخافنى .. أو على
الأصح يخاف الفضيحة .. وقد كان يعتبرنى مجنونة .. ويخاف
أن ينطلق جنونى إذا عاندى ، فأتسبب له فى فضيحة تهز مركزه
واحترامه .. لذلك رضى أن يستسلم لى الى أن يوصلنى الى
باب زوجى ، كما كان يقول ..

وكننت فعلا أمتى نفسى بأن أقطع علاقتى به بعد أن أدخل
بيت زوجى .. بعد كُتب الكتاب .. وقد فشلت فى أن أقطع
علاقتى به بعد اعلان الخطبة .. ولكن ما هى الخطبة .. انها
مجرد كلام .. انها شيء لا يربطنى بحسن .. انها مجرد فترة
تفاهم .. بل انى الى الآن لا أعتبر انى أخون حسن .. انى لم
أصبح زوجته بعد حتى أحاسب على خيانتة .. أما بعد كتب
الكتاب فسأصح زوجته ، ويومها يستطيع أن يحاسبنى الناس ،
وأستطيع أن أحاسب نفسى إذا خنته ..

واقنعت نفسى بهذا الكلام .. وأصبحت أخرج مع خطيبى
حسن .. وأتسأل لألتقى بهاشم .. عشرات الحيل كنت ابتدعها
لألتقى به .. وكل حيلى تجوز على حسن .. وكلاهما — حسن
وهاشم — سعبدان بى .. كل منهما يأخذ نصيبه .. وأخذ منه
نصيبى .. وأنا قوية .. أشعر بشخصيتى كاملة ثابتة .. قوية
على حسن ،هاشم .. وقوية على هاشم بحسن .. وسعيدة
بقوتى .. كنت أيامها فى منتهى السعادة .. سعادة سوداء ..
سعادة مدنسة .. ولكنها سعادة ..

وقد حدث فى هذه الأثناء حادث صغير أعتقد أنه كان له فى
حياتى أثر كبير .

كنت فى زيارة أبى ، وأستقبلتنى زوجته مرحة أكثر مما
تعودتها .. ترتدى قميص نوم فوقه روب دى شامبر ، مشغولين
بالدانيل .. وابتسامة كبيرة تقفز فوق شفيتها وتطل من عينيها
.. وسألتها وأنا دهشة لحالها :

— مالك يا فايزه .. ايه اللى مفرحك كده ؟ ..

ونظرت الى والفرحة تلمع فوق خديها :

— أقول لك ولا تقولبش ..

قلت وأنا لازلت غارقة فى العجب :

— قرلى ..

فالت كأنها نزعرد :

— أصلى أمبارح اتجوزت أبوكى ..

وخبطن على صدرى وأنا أضحك قائلة :

— انتم كختم لسه ما تجوزتوش ..

قالت وهى تعوم فى ضحكة رنانة :

— لا .. أصلى انا اتجوزت أبوكى حته حته ..

قلت فى دهشة :

— حته حته ازاي ؟ ..

قالت كأنها تروى قصة عمرها :

— شوفى يا ستى .. بأه أنا عرفت أبوكى وهو منجوز البلوه
الى كان متجوزها .. وقعدت معاه سنتين من غير جواز ..
وبعدين كنبنا ورقه واحده .. ورقه عرفيه .. وفضل أبوكى
شسايل الورقه معاه .. وطبعما ما سكتش بعد كمان سنه ..
خليته طلق مراته .. وكتب الورقه التانيه .. اديتها لابويا ،
وجبت قعدت مع أبوكى .. يعنى اتجوزنا جواز عرفى .. وبرضه
ما سكتش .. فانتت كما سنتين .. وامبارح بس كتب على
شرعى .. هو أنا كنت أقل من مين .. ده ضفر رجلى بعمر
السنات اللى اتجوزهم كلهم .. ما عدا مامتك طبعما .

ونظرت الى زوجة أبى وأنا مبهوره ، كأنها فتحت لى عالما
جديدا مستورا . لم اسمع عنه من قبل .. وبسرعة وجدت
نفسى أفكر فى هاشم .. لم يخطر على بالى من قبل أن أتزوج
هاشم حته حته .. وكنت اسمع عن الزواج العرفى
.. ولكنى كنت اسمع عنه كما اسمع عن الحشيش ، وعن
الأميون .. أشياء موجودة ولكنها ليست موجودة فى حياتى
.. فقط اسمع بها .. ولكنى اكتشفت أن الزواج العرفى يمكن
أن يوجد فى حياتى .. انه موجود فعلا وأبى قد تزوج عرفيا ..
واكتشفت أيضا أن الزواج العرفى قد يبدأ بورقة واحدة .. ثم
ورقتين .. ثم زواج شرعى .. حته حته ..

وعدت أنظر الى زوجة أبى ، مبهوره الأنفاس .. كأنى أنظر
الى ساحرة .. الى سيدة عظيمة .. شاطرة وامتلات عيناي
الواسعتان بالتمسك .. حسدتها على شطارتها .. وعلى ذكائها ..

ترى . لو كنت حاولت أن أتزوج هاشم بورقة واحدة .. ثم
ورقتين .. هل كان قد انتهى بى الأمر الى أن أصبح زوجته
الشرعية ؟

من يدري ..

واخذت أستزيد زوجة أبى من التفاصيل .. عصرت منها
كل ما تعرفه عن الزواج العرفى ، وعن الطريقة التى اتبعتها
لتقنع أبى بها .. وتركتها وقد أصبحت مثلى الأعلى بين النساء ..
وكان هذا المثل الأعلى كفيلا بأن يدمر ما بقى منى ..

ولم أحاول بعدها مباشرة أن أقنع هاشم بالزواج العرفى
.. صحيح انى كنت أتمنى أن أتوجه أكثر من أى شىء فى
الدنيا .. فلم يكن زواجى به هو مجرد نظرة الى المستقبل ،
بل كان أيضا تصحيحا للماضى الذى عشت فيه .. كان زواجى
به براعتى من كل خطاياى .. يغسل قلبى وجسدى .. ولكنى
رغم ذلك ، لم أحاول فى مبدأ الأمر أن أفتح له موضوع الزواج
العرفى .. انما كنت أحاول أن أكتفى بنصيبي .. أكنمى بحسن
.. واحمد الله .. ولكنى لم أستطع أن أنزع فكرة الزواج العرفى
من رأسى .. كنت أفضى ساعات طويلة وأنا أتصور أن هاشم
كان من الممكن أن يتزوجنى زواجا عرفيا .. على الأقل بورقة
واحدة ، يحتفظ بها معه .. فهو لن يخسر شيئا بهذه الورقة ..
ويستطيع أن يمزقها فى أى وقت يشاء .. ويستطيع أن ينكر
زواجه بى أمام الناس اذا أراد .. ولكنها تحمل لفظ الزواج ..
انها على الأقل مرضى كبريائى .. ترفعنى عن مستوى البنات
اللانى يعرفهن هاشم .. ويمكن بعد ذلك أن تصبح الورقة
ورقتين .. ثم تصبح زواجا شرعيا .. بعد أن يكون هاشم قد

تعود على نوع من الحياة الزوجية .. واطمأن الى .. وشفى
من غروره .. تماما كما فعلت زوجة أبى ..
وكنت أحاول أن أطرد هذه الأفكار من رأسى ..
ولكنها تعود الى ..

وفى كل يوم أرى أفكارى أوضح من اليوم السابق .. وفى
كل يوم أقسو فى يوم نفسى لأنى لم أعرض على هاشم فكرة الزواج
العرفى تبيل أن أعلن خطبتي على حسن .. وأندم على العمر
الطويل الذى فات وأنا جاهلة ، مغمضة العينين ، لا أدري أن
هناك طريقا للزواج اسمه الزواج العرفى ..

وهذا الاحساس دفعنى دون أن أدري الى التهاون فى اتخاذ
الحيل التى تعودت أن ألجأ إليها حتى لا أثير شك حسن فى كلما
ذهبت الى لقاء هاشم .. فاندفعت فى لقاءه ، أكثر جراءة ..
وتهاونت حتى فى ملاحظة نظرات الشك التى بدت تطل من عيني
حسن .. وأسئلته الكثيرة السخيفة التى يوجهها لى .. ثم أم
أحاول أن أكتشف سر تغير معاملة حسن لى .. لقد أصبح
يعاملنى كأنى عشيقته لا خطيبته .. ويقبلنى قبلات وقحة ..
ويطالبنى بأشياء لا يمكن لرجل يحترم خطيبته أن يطالب بها ..
بل انه عرض على ذات ليلة ونحن عائدان من سهرتنا ، أن
يصحبنى الى شقة أحد أصدقائه .. وغضبت يومها .. ثرت ..
وكدت أصغعه على وجهه .. ونزلت من السيارة ، وتركته يجرى
ورائى ، ويقبل يدى وهو يعتذر لى ويؤكد أنه لم يكن يقصص ..
شيئا ..

الى أن كان يرم ..

وكنت مع هاشم فى شقته فى الزمالك .. وكنت قد قلت

لحسن انى ذاهبة الى زيارة أبى .. واطمأنت الى انه سينام بعد
الغداء كماكانه ..

ثم تركت هاشم ..

وما كدت أخرج من باب العمارة حتى وجدته أمامى ..

حسن ..

فى سيارته ..

وقفت أنظر الية ودمائى تنسحب منى .. وقشعريرة تسرى
فى بدنى .. وهو يطل من نافذة السيارة ، ويتسهم ابتسامة
تسيل من تحت شاربه الكث .. كأنه فرح لأنه ضبطنى .. كأنه
يتباهى على بذكانه ..

ولا أدري هل فكرت ساعته أم لم أفكر .. ولكنى وجدت
نفسى أندفع الى سيارته ، وأفتح بابها ، وأجلس بجانبه ثم قلت
فى برود :

— من مضلك وصلنى البيت .

ونظر الى عى دهشة ، واهتزت ابتسامته تحت شاربه ،
كأنه فوجئ ، بتصرفى .. ثم قاد سيارته فى صمت ..

واستمر الصمت بيننا فترة طويلة الى أن وصلنا من الزمالك
الى شارع رمسيس .. ثم التفت الى وقال ، وشاربه مسدل
فوق شفثية وعلامة الجذ تكسو جبينه :

— اسمعى يا مپتو .. أنا ..

وقاطعنه قبل أن يتم ، وأنا لا أنظر الية :

— احنا لازم سعيب بعض يا حسن .. أنا لسته باحب هاشم
.. وهو مستعد بتجوزنى ..

وارتفع حاجباه ، وقال وقد انقلب موقفه من الهجوم الى
الدفاع :

— از آن ده .. هي المسائل سهله بالشكل ده يا ميتو ..
قلت :
— كل حاجة صريجه سهله . وانا باكلكم بصراحه ..
قال وقت بدأ بنهار :
— واشمعى ايز يتجوزك دلوقتى ..
قلت مى سرعة وبرود :
— لأنه ما استحملش ان واحد تانى يتجوزنى ..
قال ه الألم ينضح من عينيه :
— يعنى انا كنت لعبه فى ايدىكى .. لعبت دورى .. ورميتينى
.. مش خده ..
قلت وغد بدات أشفق عليه :
— أبدا يا حسن .. أنا ما كنتش فاكهه ان هاشم بيحبى
للدرجه دى .. ما كنتش منتظره أبدا انه حايفكر يتجوزنى ..
قال وكأنه عنى وشك أن يبكى :
— بس أنا حينك أنا كمان يا ميتو .. وفكرت أتجوزك قبل
ما يفكر ..
وفكرت لحظتها أن أعدل عن خطئى .. أن أفيق من جنونى
.. أن أقبل حبب حسن .. وأن أسأله الصفح .. ولكن كان من
المستحيل أن أعدل .. كنت منساقه فى خطئى بدافع مجهول ،
.. كائى اللقى نفسى فى البحر .. فى النار .. وقتلت .
— أنا أسفة يا حسن .. مش عارفه أقولك ايه .. بس
كده أحسن ..
ولعل ما حدث كان هو الأحسن فعلا .. لعل حسن لم يكن
ليصفح عنى أبدا بعد أن رأنى خارجة من العمارة .. من شقة
عشيقى .. وربما كان خوفى من ألا يصفح عنى حسن ، هو الذى

دفعنى ألى التمسك بخطئى .. بكذبتى .. رغم الحاج حسن ..
رغم توسله .. رغم دموعه التى بللت شاربه ..
وقد كان حسن نبلا ..
لم يقل شيئا لأهنى ..
كل ما قاله اننا لم نتفاهم ، وأنتى أنا التى طلبت، فسوخ
الخطبة .. وانسبب .. رفض أن يسترد هداياه .. بل رفض أن
يسترد الدبلة .. دبلة من ماس ..
ولطمت ساعنها أوى ..
وحاولت أن أكرر عليها قصة هاشم وانه قرر أن يتزوجنى
.. ولكنها لم تصدقنى .. انها تبكى .. تبكى كل دموعها ، وتدعو
على هاشم ، وسنين هاشم ..
المهم هو زوج أوى ..
لقد صرخ فى وحدى :
— على الطلاق بالتلاثة مانتى قاعده فى بيتى .. أنتى جرسيتيا
وخليتى راسنا من التراب .. أنتى فاكهه انى مش عارتك وعارف
بتعملى ايه .. أنتى طالعه لابوكى .. منحله .. بايظه .. أنتى
ما يصحش تقعدى من عيله .. أنتى تقعدى فى الشارع .. فى
كباريه .. أنا عدى بنات خايف عليهم .. وخايف على سمعتهم
.. اطلعى بره بيتى .. بره ..
وصرخت أوى ..
وارتمت على مدره تستعطفه بدموعها :
— اهدى بس يا خويا .. مش كده .. حرام عليك دى مالهاش
حد غيرك .. سى بنتك .. انت ربيتها وهى لسه عندها ثلاث
سنين .. علشان خاطرى .. أبوس رجلك ..
وعاد يصرخ :

— أنا حلفت بالطلاق .. فاهمه يعنى ايه الطلاق .. وعلى
الطلاق بالثلاثة ما انتى شايفه بنتك دى بعد النهارده .. لو شفتيها
تبقى طالق .. طالقه .. حرام عليكى خافى على بنتك الصغيره ..
خافى على بنتنا .. وسمعنا ..

ولم أعد احتار .. لم أبك .. لم أتوسل .. لقد ركبتى
ساعتها شيطان أهج .. وصرخت فى وجه زوج أمى :
— انت فآكر انى ماليش أب .. أنا كنت قاعده هنا علشان
ماما مش علشان محتاجة لك .. أنا رايحة لبابا ..

وحملت ابنتى .. فى قسوة كآنى أحمل حقيبة ثيابى ..
وخرجت ..

وتعلقت أمى بأذيانى ، ودموعها تجرى على خديها ، وتقع
تحت أقدامى :

— استنى يا مينو .. استنى ..

وقلت كآنى كذب منها :

— لا يا ماما .. مش ممكن أسيبك تطلقى علشانى ..

قالت وهى تحاور ، أن تمد يدها الى ابنتى هدى :

— طيب سيبى هدى .. الدنيا ليل يمكن تاخذ برد ..

قلت وأنا أنزع نفسى منها ، وأبعد ابنتى عن يديها :

— الأ .. دى بنتى ..

وخرجت ..

طردت ..

وذهبت الى بيت أبى ..

واستقبلنى أمى فى صمت حزين ، فقد كان زوج أمى قد

اتصل به ، وأبلغه أنه لم يعد يستطيع أن يحمل مسؤوليتى بعد
أن فسخت خطبى لحسن .. وقال له كل ما يعرفه عنى ..

وكانت لى غرفة فى بيت أبى كما ذكرت ، وكنت أذهب اليه
وأقضى فى بيته أياما .. ولكنى فى هذا اليوم لم أشعر أنى
ذهبت الى بيت أبى .. شعرت أنى دخلت الى بيت غريب ..
ليس هذا بيتى .. لأن ليس فيه أمى .. وأنا غريبة هنا ..

ووضعت ابنتى فى فراشى ..

وانكفات بجانبها أبكى ..

بكيت الليل كله ..

ولم أعد من ليأتها الى بيت أمى .. وأصبحت لا أراها الا سرا ..
.. كأننا عاشقان .. خوفا من أن يعلم زوجها بلقائنا فيوقع عليها
يمين الطلاق .. كما نتقابل فى بيت خالة من خالاتى .. وأحيانا
نتفق على اللقاء عند الخياطة .. وأحيانا فى دكان بن دكاكين
شارع قصر النيل ..

ودخلت من يومها فى حياة جديدة ..

وقد هرعت الى هاشم فى اليوم التالى ، وقلت له والدموع

تملاً عينى :

— أنا فسخت خطبى .. سببت خطيبي ..

وامتألاً وجهه بالذعر ، وقال وكأنه بلع حصاة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشانك ..

قال وهو يتعد عنى ويشوح بذراعيه :

— علشانى أنا .. ليه أنا عملت ايه .. أنا قلت لك سيبه ..

قلت وأنا أنسج فى بكائى :

— شافنى وأنا خارجه من عندك ..

ونظر الى وكأنه يتهمنى بالكذب :

— وعرف الشفة منين ..

قلت :

— مش عارفه .. يمكن كان بيراقبني ..

وصرخ :

— انتى السبب .. انا قلت لك مش لازم نشوف بعض بعد

ما تخطبتي ..

قلت وأنا أحتد فى بكائى :

— أنا ضيعت حياتى كلها علشانك يا هاشم .. حياتى كلها

ضاعت .. مش بس سبت خطيبي .. وجوز أمى طردنى من

البيت ..

ثم ارتميت على الأريكة أبكى بكاء صارخا .. وأشد شعرى

بأصابعى .. أشد بقسوة .. لعل الألم الذى أشعر به من شد

شعرى ، يخفف من الألم الذى أشعر به فى صدرى ..

وجاء وجلس بجانبى وأخذ يربت على ظهري بيد ثقيلة ليس

فيها حنان .. وقال فى صوت جاف :

— ما تعيطيش يا أمينه .. العياط مش حايل حاجه ..

وعندما رفعت رأسى الية ، رأيت وجهه مكتسبيا بالألم ،

وشفتيه مقلوبتين ، كأنه قرفان من حياة .. ومنى ..

والقبت نفسى من فوق الأريكة ، وسجدت تحت قدميه ،

وتعلقت بركبته ، ورفعت الية عيني المخلتين بالدموع ، وقلت

فى توصل :

— أحنأ لازم نتجوز يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وأدار رأسه عنى ، وقال وهو يتنهد :

— ما حدش بيتجوز بالطريقة دي يا أمينه ..

قلت على الفور :

— نتجوز جواز عرفى ..

ونظر الى فى دهشة كأنه فوجيء باقتراحى ، وقال :

— ما فيش حاجة اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى ..

يا جواز ، يا ..ش جواز ..

قلت كأنى لم أسمع كلامه :

— نكتب ورقه واحده .. وخليها معاك .. بس نتجوز

.. أى جواز ..

وأزاحنى من تحت قدميه ، وقام واقفا ، وقال محتدا :

— ايه اللى ورقه واحده .. وورقتين .. جايه الكلام ده منين

.. ما فيش بت عيله تفكر التفكير ده أبدا ..

قلت :

— طيب سعال نقف فى البلكونه .. ونرفع رأسنا لرينا ..

وتقول أنك اتجوزتني ..

وصرخ :

— انتى حاتجنينى .. الجواز مش كلمه .. ولا ورقه ..

الجواز بيت .. وعيله ، وأولاد .. وأنا مش عايز لا بيت ولا عيله

ولا أولاد .. ولازم تواجهى الحقيقة .. لازم تعرفى ان احنا مش

متجوزين ، ومش حاتجوز .. وما تضحكيش على نفسك ..

واجهى الحقيقة علشان تعرفى تتصرفى ..

وبقيت صامته ..

كل شىء فى داخلى صمت فجأة ، حتى دموعى ..

وقلت وأنا ساهمة :

— طيب بلاش .. بلاش يا هاشم .. حافضل معاك من

غير جواز .. حاواجه الحقيقة ..

ولم أكن صادقة فيما قلت ..

ولكننى فجأة ، اكتشفت انى تعجلت .. كان يجب أن أنتظر
مناسبة أخرى لأحاول أن أقتنعه بالزواج .. والزواج العرفى ..
وتركته ..

عدت الى بيت أبى ..

وفى بيت أبى حياة تخلف تماما عن الحياة فى بيت أمى ..
حياة منهارة ، ضائعة ، مفكوكة .. ليس لها تقاليد ، ولا صواميل
ترتبط كل قطعة منها بالأخرى .. وكان أبى يخرج فى الصباح
.. ويعود فى المساء .. ويجلس مع زوجته ، ومعى وأحيانا
يدعو معنا أحد اصدقائه .. ويشرب زجاجة كاملة من الكونياك
.. ويداعب زوجته مداعبات جريئة صريحة .. أمامى .. وأمام
صديقه .. وأحيانا يداعبنى أنا أيضا بنفس المداعبات .. ثم
بدأ يداعب ابنتى أيضا بنفس الجرأة .. ويأكل كثيرا من اللحم
.. ثم ينام ، ويرتفع شخيرته حتى الصباح .. ليخرج من البيت ،
بعد أن يترك لنا عشرين قرشا لنشتري بها العيش والخضار ،
أما اللحم فكان يشتريه بنفسه وبحمله معه عندما يعود فى المساء
.. وأجلس أنا وزوجته طوال النهار ليس لنا عمل الا انتظار أبى
.. قد تذهب زوجته الى زيارة جيرانها فى العمارة .. وأبقى
أنا أتحدث فى التلفزيون .. وأشغل نفسى بابنتى هدى .. أو أنزل
البلد ، لأطوف بالدكاكين وأشتري ما يروق لى ..

وكان أبى يراى أشتري كثيرا .. كل يوم أدخل بقطعة
قماش ، أو حذاء ، أو حلية .. فلا يسألنى أبدا من أين احصل
على النقود التى أشتري بها .. هل كان يعرف .. لا أدرى ..
هل كان من الغفلة بحيث لا يخطر على باله أن يسألنى .. لا أدرى
أيضا .. ولكن زوجته لم تكن غافلة ، ولا طيبة .. انها تواجهنى
والسؤال الكبير يطل من عينيها .. واضطرت أن أعترف لها ..

قلت لها انى أعرف الدكتور هاشم .. وضحكت ضحكة باردة
وأنا أقول لها :

— اللى ببى وبينه ، زى اللى كان بينك وبين بابا قبل
ما تتجوزوا ..

وضحكت ضحكة صارخة كهدير الشلال .. وقالت فى مياعة :

— عقالكو زينا .. ونبقى كئنا فى الهوا سوا ..

والأيام تمر .. وعقلى يطن كخلية النحل وأنا أفكر فى الطريقة
التي أتزوج بها هاشم حته حته .. وكنت أستعرض كل ما ضحيت
به من أجله ، فأجد أن لا سبيل أمامى الا الاستمرار فى المجازفة
.. أصبحت كالمقامر الذى خسر معظم ماله ، ولم يبق الا القليل ،
فيضطر أن يجازف به لعله يسترد ما خسره ..

وقررت أن أبدأ بأن أقتنح هاشم بأنى فتاة فاضلة .. عاقلة ..
لست مجنونة كما يعتقد .. فأصبحت لا أخرج من البيت الا نادرا ،
ويعد أن أستاذنه .. وامتنعت فعلا عن التسلل فى التلفزيون ..
وكان هاشم — بعد أن انتقلت الى بيت أبى — يستطيع أن يكلمنى
فى التلفزيون فى أى وقت .. فأبى غائب طول النهار .. حتى
لو كان أبى فى البيت ، فهو لم يتعود الرد على التلفزيون ، وكان
يتركى أنا أو زوجته ترد عليه .. ولكن هاشم لم يكن أبدا يطلبنى
فى التلفزيون ، كنت أنا التى أطلبه .. لم يكن يطلبنى الا بعد أن
الح عليه ، وأتظاهر بالفضب .. ويعتذر لى بأنه مشغول ..
وبأنى فاضية .. وفى المرات التى طلبنى فيها بالتلفون فرحت
.. فرحت فرحة كبيرة كأنه جاء يخطبنى ..

ولم أكن أريد من هاشم شيئا خلال هذه الفترة الا أن يخلص

لى .. أن اخلاصه لى هو الأمل الوحيد فى أن يتزوجنى يوما ما
... ولو بورقة واحدة .

ومرت ثلاثة أسابيع منذ فسخت خطبتى الى حسن ..

ثم ..

تكررت المأساة ..

بحثت عن هاشم فلم أجده فى العيادة ، ولا فى البيت ولا فى
مطعم الجريون ، ولا فى أى مكان يذهب اليه .. ولم يقل لى
التومرجى أنه ذهب لعيادة مريض ..

وذهبت الى الشقة والجنون يزحف على عقلى ..

ووجدت سيارته أمام العمارة ، لم يحاول اخفائها ..

وصعدت ودمائى تتجمع فى عيني .. وقلبى يدق كأنه يمزق
نفسه .. وضغطت على الجرس بيد باردة .. ولم يترك لى
هاشم فرصة لأثير فضيحة فى العمارة .. فتح لى الباب بسرعة
.. وتركنى أدخل .. وأغلق الباب ورائى .. ثم وقف أمامى
وهو بالقميص والبنطلون وفى عينيه نظرات متحدية متحفزة ،
كأنه ضمهم على قتلى ، لو حاولت أن أدخل لأبحث عن الفتاة التى
معه ..

ووقفت أمامه أرتعش ..

ثم صرخت ..

صرخت صرخات كثيرة كأننى أطلق النار من صدرى .. وأشد

شعرى .. وأخبط الأرض بقدمى ..

ثم وقعت على أتراب مقعد ، وأنا أبكى وأقول كأنى أصرخ :

— حرام عليك يا هاشم .. حرام عليك .. حرام تعمل فى

ده كله ..

وهو واقف أمامى ، صامت .. يحمى بجسده المرأة الأخرى
التي فى الداخل ..

وفجأة جرت دموعى ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت والجنون يطل من عيني :

— أنت ما تستاهلش .. أنت سافل .

ثم انتفضت واقفة .

وخرجت ..

ورزعت الباب ورائى ..

وعدت إلى البيت .. وبقايا دموعى متجمدة فوق خدى ..

وبقايا صراخى تجرح حلقى ..

ورفعت سماعة التليفون وأنا لا زلت الهت ، واتصلت بحسن ،

وقلت له بمجرد أن سمعت صوته :

— حسن .. أنا مُستعدة أرجع لك ، واعمل فى اللى انت

عايزه .. كل اللى انت عايزه .. بس رجعنى يا حسن .. أرجوك

.. أنا خلاص .. تبت .. حرمت ..

وقال حسن فى لهفة :

— طيب اهدى يا ميتو .. حصل ايه ..

وقلت وقد عادت دموعى المتجمدة تذوب :

— قوللى الأول انك مستعد ترجعنى ..

قال فى حنان ملهوف :

— طبعا مستعد .. انتى عارفه يا ميتو انى باحبك ..

قلت :

— طيب فوت على بعد ساعة .. استثنانى قدام باب

عمارتنا ..

وقال :

— حاضر .. بعد ساعه حاكون عندك ..

وكان حسن طوال هذه الفترة التي أعقبت فسخ خطوبتنا
لا يزال الانسان النبيل .. لا يزال يرفض أن يسترد هداياه ..
أو يسترد الدبلة .. وكان يحدثني في التليفون .. ويقول لي
كلما رقيقا حنونا .. ويؤكد أنه يحبني .. وأنه لا يستطيع أن
يصدق أننا سخنا خطبتنا ..

كنت متأكدة أن حسن انسان نبيل ..

وبدأت أستعد للقائه .. ووجهي في المرآة أصفر في نون
الموت .. وعيناي شحقت فيهما دموعي خطوطا حمراء .. ومعدتي
تتقلص .. وقلبي يتلوى .. وصدري ينقبض كأنني أحمل فوقه
ألف كيلو .. ان ألم الغيرة .. ألم الفشل .. ليس مجرد ألم
نفسى انه ألم جسمانى أيضا .. كأن في داخلي آلات تعذيب
تتطلق لتكوى كل قطعة من جسدى ..

ودخلت الحمام ، ووقفت تحت الدش مدة طويلة لعلى أغسل
عن جسدى العذاب .. لعلى أسترد بعض شبابى .. بعض
نضارتى .. ثم سكبت على جسدى نصف زجاجة كلونيا ..
ونصف علبة بودرة « تلك » لعلى أنتعش ..

وخرجت أتزين أمام مرآتى ..

ولعلى بالغت فى وضع الكحل .. وبالغت فى صبغ جفونى
باللون الأخضر .. وبالغت فى وضع « الريمل » على رموشى ..
حتى بدا كل رمش كأنه سهم منطلق فى الهواء .. ولعلى أيضا
بالغت فى صبغ شفتى بالروج .. لقد كنت ساعتها عصبية ..
فاقدة الثقة فى جمالى .. فبالغت .. وكلما بالغت ازدادت
عصبيتى ، وتهاوت ثقتى فى نفسى .. فبالغت أكثر ..

وقد رأيت أثر هذه المبالغة فى عينى حسن عندما نظر الى
وهو جالس أمام عجلة القيادة فى سيارته .. نظر الى كأنه يرى
أمامه ، مجنونة ..

وجلست بجانبه صامته .. وقلبي لا يزال يتلوى ..

وقال والسياره تتحرك بنا :

— تحبى بروح فين ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— زى ما انت عايز .. خدنى فى حته نقعد نتكلم فيها ..

قال وصوته يرتعش قليلا :

— تحبى نروح نقعد فى بيت ..

قلت بلا مبالاة :

— بيت مين ؟

قال :

— بيتى .. تصدى يعنى .. شقة ..

— انت عندك شقه ؟ ..

قال :

— كانت عندى من زمان .. وناوى أبيعها .. من يوم

ما تخطبنا وأنا بادور على حد يشتريها .. صدقيني ..

وقلت والابتسامة الساهمة على شفتى :

— مصداك ..

وقاد سيارته فى اتجاه شارع سليمان باشا .. وعاد يقول

فى تردد :

— تحبى نروح هناك ؟ .. علشان تشوف فيها .. وانتى اللى

تبيعها .. تبيعى كل حاجة كانت فى حياتى قبل ما اتبلك ..

ونظرت اليه كأننى أختبره ، ثم قلت :

— زى ما انت عايز ..

وزهبنا الى شقتة ..

كل الشقق التى من هذا النوع لها ريح واحد .. قد تختلف فى ائائها .. قد تختلف فى نظافتها . قد تختلف فى اهتمام صاحبها بها .. ولكن كلها لها ريح واحد .. هذا الريح الحزين الصامت .. كأن على جدرانها بقايا دموع ..

ودخلت بلا ميالة .. وتطلعت حولى فى صمت .. لم يرتجف فى شيء .. كانت الصدمة التى صدمنى بها هاشم قد سحبت كل احساسى ..

وجلست على مقعد دون أن أنظر الى حسن ..

وجاء وجلس قبالتى على مقعد آخر .. وأمسك بيدي وقال وشاربه الكث يرتفع فوق ابتسامة حنان :

— احكى يا ميتو .. احكى لى على كل حاجه ..

وتعلقت عيناي بشاربه الكك ، كأنى أعد شعراته .. وقلت وأنا ساهمة :

— أنا سبت هاشم خلاص .. عمرى ما خارج له تانى ..

عمرى .. ضحك على مره تانيه ..

وأخذت أروى قصتى لحسن .. رويتها كلها .. ما عدا

أن هاشم يدفع لى مرتبا شهريا .. وكنت أتكلم ساعتها كأنى أتكلم مع نفسى .. كأنى أراجع كل يوم من أيام عمرى الضائع .. وحسن لا يزال يمسك بيدي .. وفى عينيه نظرة رثاء كبيرة .. يشوبها غيظ .. غيظ من هاشم ..

وقلت له ودموعى على خدى :

— أنا كنت باحبه .. انما اللى عمله يخلىنى أتوب عن حبه .. يخلىنى أكرهه .. أنا باكرهه .. باكرهه موت .. لو كان بايدى كنت قطعت قلبى اللى حبه .. كنت قطعت من جسمى كل حته حط ايده عليها ..

وقال حسن وهو يضغط على يدي :

— لا يا ميتو .. مش ممكن يكون ده حب .. اللى خلاكى تعملى ده كله انك اتعودت عليه .. وكنتى دايمما بترجعى له لأنك اتعودت عليه ، مش لأنك بتحبيه .. والعادة أصعب من الحب .. انتى ممكن تستحملى ألم الحب .. انما مش ممكن تستحملى ألم انك تسيىى حاجه اتعودت عليها .. زى السكير اللى يحاول يبطل شرب .. زى الحشائش اللى يحاول يبطل الحشيش .. عيبك انك استنتيتى معاه لغاية ما تعودت عليه .

وفتحت عينى ، كأنى رأيت فى كلامه عالما جديدا .. عالم يريحنى .. نعم .. انى لم أحب هاشم .. ولا أحبه .. فقط تعودت عليه ..

وقلت وأنا ساهمة :

— أنا حانساه .. حاشطبه من حياتى ..

وقام حسن وجلس على حافة المقعد الذى اجلس عليه ، واحاطنى بذراعه وقال فى رقة :

— وأنا حاخلىكى تنسيه .. زى ما بيتقول المثل .. المسمار ما يطلعوش الا مسمار .. أنا المسمار اللى حايطلع هاشم .. وأنا عارف انك بتحبينى يا ميتو .. مش ممكن تكونى ما بتحبنيش .. وحا تحببىي أكثر .. يوم ما تنسى هاشم ..

وكان وهو يتكلم قد وضع خده على خدى .. ثم ادار وجهي
اليه وقبلنى .. فوق شفتى ولم يرفع شفتيه عنى ..

واستسلمت ..

تركته يعبث بشفتى كما يريد ..

وكنت ضعيفة ..

وكنت قد قررت أن أبدأ محاولتى للتخلص من هاشم ..

وتركت حسن يأخذنى كلى ..

جسدى عار ..

بارد ..

لا أحس الا بثقل حسن ، وشاربه الكث يدغدغ أنفى ..

وسقطت عيناى فوق السوار الذهبى الذى اشتراه لى يوما

هاشم ..

وتعلقت عيناى بهذا السوار ..

لم أرفع عيني عنه ..

وأفكر فى هاشم ..

وحسن يعبث بجسدى ..

ثم ..

بقيت معه الى الساعة العاشرة .. حدثنى كثيرا .. حاول

أن يضحكنى .. حاول لن يروى لى أيامه التى قضاها بعيدا عنى

.. ولكنه لم يحاول أن يحدثنى أبدا عن اعلان خطبتنا من جديد

.. ثم عاد يحدثنى عن هاشم .. وقاطعته فى ضعف :

— ما تكلمنيش عنه .. أنا عايزه أنساه وأنسى سيرته ..

وقال حسن :

— أنا آسف ..

ثم أعادتني الى البيت .. واستقبلتني أبى ضاحكا ، وقال وأمامه
زجاجة الكوبيك :

— كنت فين ؟

قلت :

— كنت عند بنت خالتى ..

قال بلا مبالاة :

— اتعشيتي ؟

قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما تيجي تقعدى معايا شوية ..

قلت :

— تعبانة ..

ودخلت حجرتى وأغلقت بابها على .. وارتيمت على الفراش

.. نسيت حتى أن أطل فى وجه ابنتى ..

لقد خنت هاشم ..

خيانة كاملة ..

وحاولت أن أشعر بالتشفى .. حاولت أن أشعر بأنى

انتقمتم منه .. ولكن .. لا .. لم أشعر بشيء من هذا ..

شعرت بأنى بائسة ، مسكينة ..

وبكيت ..

ونمت من التعب ، ودموعى صاخية بين عيني ..

واتصل بى حسن فى اليوم التالى ..

وذهبت معه الى شقته أيضا .. وتركته يأخذنى .. وتعلقت

عيناى بالسوار الذهبى فى معصمى .. ورياح هاشم تهب على
عقلى وقلبى .. وشارب حسن الكث ، يدغدغ أنفى ..
ثم خرجت مع حسن الى سميراميس فى اليوم التالى ..
تعشينا هناك ..
وطلب لى حسن كأسا من انويسكى .. كأسين .. ثلاثة ..
سكرت ..
وذهبت معه الى شقته وأنا سكرانه ..
وكنت أضحك .. وأهذى .. وكان عقلى السكران لا تزال
فيه قطعة صاحبة ، تحس أنى أفتعل الضحكات الكبيرة ، وأفتعل
الهُذيان ..
وزدت نى هذيانى ..
أقبلت على حسن .. أقبله أكثر مما يقبلنى .. وأداعبه أكثر
مما يداعبنى ..
ولكن ..
عندما أصبحت عارية ، تعلقت عيناى بالسوار .. وهبت
على ربح هاشم .. ولا أشعر من حسن بشيء ، الا بشاربه
الذى يدغدغ أنفى ..
ومضى أسبوع ..
أسبوعان ..
وأنا لا اتصل بهاشم ..
وهاشم لا يحاول الاتصال بى ..
وكل يوم أذهب الى لقاء حسن .. لعلى أنسى .. لعلى
أنخلص من تهودى على هاشم .. وحسن لا يحدثنى عن اعلان
خطبتنا من جديد .. بل هو لا يأتى لزيارة أهلى .. ولا يأخذنى لزيارة
أهله .. الى أن قلت له :

— أنت مش حاتروح تتفق مع بابا يا حسن ..
وقال حسن ، وهو يبتسم فى رقة ويضغط على يدى :
— أنا مستنى لغاية ما أتأكد انك خلاص .. بتيتى لى ..
خايف نستعجل يحصل زى المره اللى فاتت .. وتحنى .. اللى
عايزك تتأكدى منه انى باحك .. وحافظل أحبك لغاية
ما نتجوز ..
ولم أرد عليه ..
ولم أغضب منه ..
له حق .. له حق أن يقون هذا الكلام .. لقد سبق أن
جرحتة .. سبق أن أهنته أمام أصدقائه ، وأمام كل الناس ..
عندما فسخت خطبتى له ..
يكفى أنه يساعدى على نسيان هاشم ..
ولكنه لا يساعدى ..
انه يشعل احساسى بهاشم .. ان كل مرة أكون له ، تؤكد
لى أنى لن أكون أبدا الا لهاشم .. لن أحس برجل الا هاشم ..
لن أروى عطشى الا من هاشم .. لن يملأ عقلى ، ولا قلبى ..
الا هاشم .. مهما فعل بى .. مهما عذبنى ..
لماذا أستمر ..
ان حسن لن يتزوجنى .. انى أحس أنه لن يتزوجنى ..
يستطيع دائما أن يدعى انى لم أنس هاشم .. ويكون صادقا فى
ادعائه ..
وهاشم أيضا لن يتزوجنى .. ولكنى أحبه ..
فلماذا أترك رجلا أحبه ، الى رجل لا أحبه ..
و .. .

وعدت أحداث هاشم في التلفون .. قلت له كاذبة ، إن
حسن تقدم لخطبتي من جديد ..

فلم يبال ..

وبدأت أبلغه في كل يوم كذبة جديدة .. حسن كان عندنا
أمس .. حسن بلغ في تحديد موعد الخطبة .. حسن
حسن ..

وقال لي مرة وهو نائم ، وأذكر أنني يومها كنت أحادثه في
صباح يوم الجمعة :

— أرجوكي يا أمينة ما تكلمينش تاني .. احنا خلاص سيينا
بعض ..

وقلت كأنني لم أسمع شيئاً :

— انت حاتعمل ايه دلوقتى ؟ ..

وقال في برود :

— عدى ميعاد :

قلت وأنا ابتسم :

— فين ومع مين ؟

قال :

— في الشقه .. مع واحده ..

قلت في توسل :

— بلاشر تروح ..

وصرخ :

— يا ستي انت مالك ومالي .. أنا خلاص بقيت حر ..

قلت وأنا أكاد أبكي :

— يعنى مصمم تروح ..

قال كأنه يبصق في وجهي :

— أيوه ..

ثم القى سماعة التلفون ..

ولم أعد أحتمل ..

هل كان هاشم يعتمد اثاره غيرتى عندما قال لي أنه على
موعد مع فتاة أخرى ، حتى يعيدني إليه ، وهو يعلم أنني أجن
عندما أغار .. أم كان يعيش حياته الطبيعية بعد أن اعتبر نفسه
حراً ، واعتبر أن علاقتنا قد انتهت ..

لا أدري ..

ولكني لم أطق أن أتصوره مع فتاة أخرى ..

حاولت ..

حاولت كثيراً أن أقنع نفسي بالأأهم به ، سواء كان مع
فتاة أخرى ، أو كان على وشك أن ينتحر .. بل أنني حاولت أن
أقنع نفسي بأنه يكذب علي ، وأنه ليس على موعد مع أي فتاة ،
وأنه يحاول فقط أن يثير غيرتي حتى يجنني ، فأعود إليه ..

ولكن ..

كل هذه المحاولات لم تدم سوى نصف ساعة .. ساعة على
الأكثر .. والنار تاكل في قلبي ، وتشتعل في رأسي .. ثم لم
أعد أستطيع .. خرجت دون أن أتزين .. بل لم أنظر الى المرأة
كأنني أفر من الحريق الذي نشب في صدري ..

ووقفت أمام باب الشقة مترددة .. قلبي يرتجف .. أطراف
أصابعي باردة .. كنت أعرف ما سأجده في الداخل .. سأجد
فتاة أخرى .. وسأجد هاشم بالقميص والبنطلون .. وسأحاول
أن أضرب الفتاة .. سأجن .. ستشقى الصرخات حلقى .. سأشد
شعري .. ستجحظ عيناى .. ويضربني هاشم .. وأقع على
الأرض أبكي .. كنت أعلم كل ذلك .. وكنت أراه خلف الباب ،

كان عيني تثقبان الخشب ، وتثقبان الزمن لتريا ما يمكن ان يحدث لى بعد دقائق .. ورغم ذلك امتدت يدى ، كأن قسوى مجهولة تحركها ، وضغطت بأصبعى المثلجة ، على الجرس .. وفتح هاشم فى الحال ، كأنه كان واقفا خلف الباب ..

ونظر الى وقد اتسعت عيناه من الدهشة .. بل خيل الى ان فتحتى أنفه قد اتسعتا أيضا من الدهشة .. كان صادقا فى دهشته ..

تأكدت ساعتهما أنه لم يكن يكذب على عندما قال لى أنه على موعد مع فتاة أخرى .. لقد فتح الباب وهو ينتظر أن يرى الأخرى ..

وابتسمت ابتسامة مرتعشة ذليلة ..

وظل واقفا أمامى صامتا ، وقد ارتخت دهشته ، واكتسى وجهه بتعبير جاد كأنه واقف أمام مشكلة ..

وقلت فى صوت مسكين :

— فى حد معاك ؟

وقال فى صوت باتر :

— لا ..

قلت :

— أقدر أخش ؟ ..

قال وهو ينظر من فوق رأسى كأنه يخاف أن يرانا أحد :

— انفضنى ..

ودخلت وأنا لا أنظر فى عيبيه ... وجلست وابتسامة باهتة

فوق شفتى .. ومرت لحظة صمت بيننا ثم لمحت على شفتيه ظل

ابتسامة ، فقلت وأنا أشعر برجفة فى قلبى ، رجفة خوف :

— بتضحك ليه ؟ ..

قال وقد اتسعت ابتسامته :

— باضحك على حالنا .. يظهر ما فيش فايدة اننا نسيب

بعض ..

قلت وأنا أنظر اليه فى ابتهاج :

— لأننا بنحب بعض ..

قال :

— وبعدين .. أخرة الحب ده ايه ؟

قلت :

— أنا مش عايزه منك حاجة الا انك تكون كويس معاى ..

ما تعرفش بنات تانيه ..

قال :

— ما اقدرش ما اعرفش بنات تانيه ، لانى عارف ان جايجى

يوم تتجوزى وتسيبنى ..

— أنا مش محتاجوز .. خلاص ..

قال وهو يهز كتفيه :

— ده كلام .. مش ممكن ست تعيش من غير جواز ..

قلت :

— أنا لو كنت بافكر فى الجواز ، فبافكر انى اتجوزك انت ..

قال وهو يلوى شفتيه :

— انتى عارنه انى مش محتاجوز ..

قلت :

— عارفة .. بس ما اقدرش أعيش من غير أمل ..

قال كأنه يسخر من أملى :

— الأمل بعيش سنة والا ستنتين .. انما مش ممكن يعيش

خمس سنين .. لو كان اللي ربطك بى هو الأمل .. كان زمانك
يئست وسييتينى ..

قلت كأنى الومه ؟

— أمال ايه اللي ربطنى بيك ؟ ..

قال بسرعة :

— جنانك ..

قلت :

— أنا مش مجنونه يا هاشم ..

قال :

— مجنونه قوى .. ويوم ما حاتعقلى حاتسيبينى ..

قلت :

— ده ما استمهوش جنان .. اسمه حب ..

قال :

— طيب .. ما تزعلش .. حب !

وأدار ظهره لى ..

ومرت فترة صمت أخرى ..

ثم عدت أقول ونظراتى تتمسح بقامته الطويلة :

— أمال مين البنيت اللى انت مواعدها ؟ ..

قال بلا مبالاة :

— زمانها جايه ..

قلت :

— لازم جديده ..

والتفت لى وقال فى دهشة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشان اتأخرت .. أنا كمان كنت بتأخر لما كنت جديدة ..
ولم برد على ..

جلس على مقعد ، وهو يزفر أنفاسه واستطردت قائلة :

— بكره تاخذ لها قلمين ، تقوم ما تتأخرش .. وتبتدى انت
تتأخر .. مش كده ! ..

ونظر الى كأنه يعايرنى ، وقال :

— وحاضرتك عامله ايه مع سى حسن بتاعك ..

قلت :

— ده خطيبى ..

قال :

— طبعا قلتى له اننا كنا مخطوبين ، وانك فسخت الخطبة ،
لانى سافل .. مش كده ! ..

قلت :

— أنا اعترفت له بكل حاجه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

— ما أظنشى ..

قلت :

— ده انسان نبيل .. قدر يفهمنى .

قال :

— وعملتى ايه مع الانسان النبيل ده .

قلت :

— ولا حاجه ..

قال فى حدة :

— يعنى ايه ولا حاجه .. بتسهرى معاه لغاية نص الليل ،

وبعدين تقولى لى ان ما حصلش حاجة بينكم ..

قلت وأنا أنكسر رأسى :

— باسنى ..

قال :

— باسلك بس ..

قلت :

— طبعاً .. أمال فإكر ايه ؟ ..

قال :

— لا يا شيخه ..

قلت :

— وحياء بنتى ..

وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي أحلف بها بـحياة ابنتى ، كذبا .. وربما ارتعشت شفتاى وأنا أقسم بحياتها .. ربما رجف قلبى .. ربما شعرت بالخوف على ابنتى وأنا أستهين بحياتها وغلاوتها عندى الى هذا الحد .. ولكنى بعد ذلك أصبحت أقسم « بحياة بنتى » فى كل كبيرة وصغيرة .. أصبحت كلمة « وحياء بنتى » الوكها فى فمى كقطعة اللادن .. أطرقت بها .. وكنت أرى لطرقتها صدى على وجوه الذين أقسم لهم .. كأنهم يصدقوننى .. لانى أقسمت بابنتى ..

ولكنى لم أعرف أبدا إذا كان هاشم قد صدقنى أم لا .. لقد اطل على بهذه النظرة التي تنطلق من تحت جفنيه المنتفختين .. والتي لا تكشف أبدا عما يدور فى رأسه .. وفجأة ..

دق جرس الباب ..

وابتسمت ..

وتعقد جبين هاشم .. وزم شفثيه .. وبقي فى مكانه صامتا ..

ودق الجرس مرة ثانية ..

وهاشم جالس فى مكانه ، لا يتحرك ..

وقلت :

— مش حاتقوم تفتح ؟ ..

قال فى حزم وهو ينظر الى والشرر يتطاير من عينيه :

— لا ..

قلت وأنا أرفع صوتى ، متعمدة ان يصل الى ما وراء الباب .

— حرام عليك ، قوم افتح ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال هامسا :

— إذا ما سكتيش ، حاموتك من الضرب ..

ورن الجرس ثالثة ..

وأحسست برنينه كأنه زغرودة فى قلبى .. زغرودة تنطلق

بالشمامة من هذه الأخرى التي تقف خلف الباب .. زغرودة

لانتصارى على كل فتاة تحاول أن تأخذ منى هاشم ..

وكف الرنين ..

وسمعت صوت أقدام الفتاة تبتعد عن الباب ، فى اتجاه

المصعد ..

وقلت وأنا ابتسم له ساخرة :

— طبعاً حاتضرب لها تليفون وتعتذر لها بأن جات لك حاله

مستعجله .. مش كده .

قال وهو يضغط على أسنانه :

— لا .. حالقولها ان فيه واحده بتفرض نفسها على ، وبتتهجم

على الشقة من غير ما حد يقول لها تعالى ..

وضحكت .. ضحكة ملأت كل قلبي .. وعدت أقول :

— أقدر أعرف مين المسكينه دى ..

قال وهو لا يزال غاضبا مفتاظا :

— لا ..

وقمت من مكاني ، وجلست على ركبتيه .. وكنت أنتظر أن يلقى بي على الأرض .. أو يضربني .. ولكنه لم يفعل .. تركني اجلس على ركبتيه .. كل ما فعله أن أشاح بوجهه عني .. قلت وأنا أضغ يدي على خده :

— احنا الاتنين مجانين يا هاشم .. انت عارف انك ما تقدرش تستغنى عني ، وأنا ما اقدرش أستغنى عنك ..

وسحب خده من تحت خدي ، وظل صامتا مديرا وجهه عني .. وعدت أقول :

— أنا حاسيب حسن تانى .. وعمره ما حايكون فى حياتي راجل تانى أبدا ..

وظل صامتا ..

ووجهه محتقن من الغيظ ..

ودرت بوجهي الأوجه شفتيه ، وحاولت أن أقبله .. ولكنه أشاح عني وأبعدهما قبل أن أصل اليهما ..

وقلت فى توسل :

— بوسه، يا هاشم ..

وقال فى صوت مخنوق بغيظه :

— لا .. ما اقدرش أبوس شفائف لسه واحد تانى بايسهم تبلى .. أنا قرفان منك ..

قلت :

— اشمعنى أنا ما باقرفش من شفائفك وانت بتبوس ستات

غيرى ..

قال :

— أنا حر .. اذا كنتى انتى ما بتقرفيش منى .. أنا باقرف

منك .. حر ..

قلت ودموعى تتجمع فى عيني :

— هاشم .. ما تعذبنيش ..

قال :

— من فضلك قومى اقعدى مطرحك ..

وهمست :

— .. هاشم .. هاشم .. حرام عليك ..

ثم بكيت ..

بكيت على كتفه ..

وأنا لزلت جالسة على ركبتيه ..

ورفع كفه وبدأ يربت على ظهري لأكف عن البكاء ..

ولا أطيل ..

انى أعرف دائما كيف أستعيد هاشم ..

وأحسست بعد أن استعدتة كأتى انتصرت عليه .. لا أدري

لماذا .. ربما لأنى أعود اليه بعد أن خنته .. بعد أن خدعته ..

بعد أن أعطيت جسدى لرجل آخر .. هذا الجسد الذى كان

هاشم يعتقد أنه ملك له . تحرر منه .. انطلق الى رجل آخر ..

أصبح قادرا على أن يتحرك وحده ..

ربما كان هذا هو السر فى احساسى بالانتصار على هاشم

عندما استعدتة .. وهو احساس دهرنى .. دمر ما بقى منى ..

فقد تعودت من يومها أن أتعمد الاحساس بالانتصار .. الاحساس

بأني أخدم هاشم .. أحطم غروره .. ولم أكن أدري أن هذا
الاحساس بالانتصار لم يكن إلا انعكاساً لهزيمتي .. هزيمتي
أمام نفسي ..

وقد تركت هاشم يومها ، وذهبت الى لقاء حسن بعد الظهر
.. رفضت أن ألقاه في شقته .. كانت لا تزال في بقية من
احساس تمنعني من أن أدخل شقتين في يوم واحد ..

قابلته في سيارته ، وقلت له بصراحة وبساطة :

— أنا رجعت لهاشم ..

وفغر شفثيه كالإبله ، وقال وشعرات شاربه ترتعش :

— ليه ؟ ..

قلت :

— ما اقدرتش ..

قال كأنه على وشك البكاء :

— بس احنا كنا حانتجوز ..

قلت في حزم :

— انت ما كنتش ناوي تتجوزني يا حسن .. ولك حق ..

أنا اللي عملته فيك مش شويه .. وحتى لو كنت اتجوزتني
ما كنتش حاتقدر تنسى ، وكنا حانعذب بعض ..

قال وقد انهمرت دموعه فعلا :

— بس أنا باحبك يا ميتو ..

قلت وأنا أنظر الى دموعه ، والغرور يسرى في كل عروقي .

— عارفه ..

وظلت أينسأى معلقتين فوق دموعه .. ان منظر الرجل

وهو يبكي بيثر الشفقة .. الرثاء .. انه ينزف رجولته .. كأنه

يعصر شخصيته .. وتمنيت وأنا أرى دموعه ، لو كانت هذه

الدموع دموع هاشم .. كنت كرهته .. كنت استرحته منه ..
ولكن هاشم لا يبكي .. انه قطعة جامدة من الصلف والغرور ..
والدم الثقيل ..

وعدت أقول :

— أنا آسفه يا حسن .. اعتبرني مجنونه .. اعتبرني وحشه
.. اعتبرني أي حاجه ..

قال وهو يمسح شاربه المبلل بالدموع :

— أنتي عملتي في كثير يا ميتو .. ومش ممكن تسيبيني
بالطريقه دي .. أنا لى حق عليكى ..

وفكرت قليلا ، وقلت وقد خيل الى أنه فعلا صاحب حق على :

— احنا حانفضل أصدقاء .. مش ممكن أسيبك زى ما انت

فأكر .. أنت انسان نبيل ..

قال :

— وحاأشوفك ؟ ..

وعدت أفكر برهة ، ثم قلت :

— أبوه .. حا ابقى أشوفك ..

وأشرقت ابتسامة فوق شفثيه ..

وبخرت الابتسامة دموعه ..

وقد عدت الى لقاء حسن فعلا .. ولكن ..

ليس كسديق .. لقد كنت أذهب اليه في شقته .. ربما

لاملاً نفسي بالاحساس بأني أخدم هاشم .. وبأني أقوى منه ..

ربما لأن هاشم كان يضمن على بوقته .. كان لا يزال يلقي الى

بهذه الكلمات السريعة في التليفون ، ويلقائني كل يومين أو ثلاثة

.. ساعة أو ساعتين .. فكنت أحاول أن أملاً فراغى بأن الهوى

بجسدى .. هوايتي الوحيدة .. والهوى به مع حسن .. ولكنى

اكتشفت أنني كلما ذهبت الى لقاء حسن ، وضعت في يدي هذا السوار الذئبي الذي أهدانيه هاشم .. وأجد نفسي في لحظة معينة ، وقد تعلقت عيني بهذا السوار .. وانسحب من جسدي كل احساس .. لم يعد في احساس الا احساسى بهذا السوار فى معصى .. كأتى أستغيث به .. كأتى أناديه .. هاشم ..

وكنت فى كل مرة التقى فيها بحسن أقول لهاشم :

— تعرف أمبارح شفت مين فى الشارع .. حسن ..

ويزوم هاشم بشفتيه ، ولا يعلق بشيء ..

وكنت أحيانا أقول أكثر من هذا ، لعلى أثير شكوكه ، لعله يحس بى كامرأة مرغوبة من عشرات الرجال .. كنت أقول له :

— النهارده حسن ضرب لى تليفون .. تعرف انه لسه بيحبنى .. ولسه عايز يتجوزنى ..

ويرد فى برود :

— خسارة .. كان لازم تتجوزيه ..

وأجن لبروده ..

وأرد :

— اللى لازم اتجوزه .. انت ..

ثم أضحك ضحكة باردة ، حتى لا يغضب منى ..

وكنت معلا لا زلت أحاول أن أتزوج هاشم ، ولو على طريقة زوجة أبى . حته حته .. وكنت أجلس طويلا مع زوجة أبى وليس لنا حديث الا الوسيلة التى يمكن أن نقنع بها هاشم بالزواج .. بل أتى أخذتها يوما معى الى هاشم فى الشقة .. وربما جاءت معى لترى هاشم الذى سمعت بشهرته كطبيب ، أكثر مما جاءت لتساعدنى على اقناعه بالزواج .. ومن يدرى .. ربما جاءت معى وهى تتمنى أن تأخذ منى هاشم ..

وكان هاشم يعلم أن زوجة أبى تعلم ما بيننا .. وكان يعلم أى صنف من النساء هى .. ولكنه دهش الى حد الذهول عندما فتح الباب ووجدها معى .. وأسرعت أقول له :

— أصر بابا فى البيت النهارده .. ولولا فايزه ما كنتش حاقدرا أشوفك أبدا ..

وقلب هاشم شفتيه امتعاشا ، وترك الباب وتقدمنا الى داخل الشقة .. ودخلنا وراءه .. وأغلقت الباب بيدي .

وجلست زوجة أبى وهى تدير عينيها حولها ، كأنها خبيرة فى الشقق الخاصة ، تستطيع أن تقدر قيمة الرجل بمجرد التطلع الى جدران سقته ..

وجلست بجانبها كأتى تلميذة عبيطة ..

وجلس هاشم قبالتنا وفى عينيها نظرات تحد ، كأنه يعلم ما فى رأسنا ..

ودارت بيننا كلمات تافهة سخيفة ، الى أن قالت فايزة :

— والنبي يا دكتور دى مينو بتحك قوى .. أنا ما شفتش حب بالشكل ده أبدا ..

ونظر إليها هاشم بعينين ملؤهما التحدى ، وقال :

— بس يا خساره ، مش ممكن نتجوز .

وفوجئت زوجة أبى ، بهذه الصراحة كأن هاشم سحب الأرض من تحتها .. الأرض التى مهدتها لتلعب فوقها بذكائها .. وقالت :

— ليه ناه ؟ ..

قال فى بساطة .. لا .. وقاحة :

— علشان أنا مش حاتجوز ..

ونظرت الية فى هلع كأنها بدأت تخافه ، وقالت كأنها تدافع عن آخر حصونها :

— ولو نكتبوا ورقه كده .. ترضى رينا ..

قال دون أن يهتز :

— ولا ورقه .. ولا حاجه .. أنا ما باعتقدش فى الحاجات

دى ..

قالت كأنها قررت أن تتحداه :

— أمال تعتقد فى ايه ؟ ..

قال :

— أعتقد ان اللى عاوزه تتجوز تدور على واحد تانى غيرى ..

قالت :

— بس ده حرام .. يعنى تسبب البنيت تحبك .. وبعدين

تقول لها روحى دورى على واحد تتجوزيه .. مالكش حق يا دكتور

.. دا كلام ما يرضيش رينا ..

قال :

— أمبته عارفه الكلام ده من أول يوم شفنا بعض فيه ..

وتدخلت أنا قائله وأنفاسى تضح فى صدرى :

— بلاش الموضوع ده يا فايزه ..

قالت :

— بس يا ميتو ده كلام مش معقول .. ده انتى بنت ناس

.. ولك أب وأم .. وعيلتك أحسن عيلة فى البلد مش ناقصك

حاجه

وقاطعنها قائله :

— أعملى معروف .. بلاش الموضوع ده أحسن هاشم يفتكر

اننا متفقين مع بعض .. وجايبكى مخصوص علشان كده ..

وانتى عارفه مش عايزه أتجوز دنوقت ..

وابتسم هاشم فى غرور ، كأنه هزمننا ..

ولا ادري لماذا لم أغضب يومها من هاشم .. بالعكس ..

أحسست ابنى فخورة به ، أحسست كأنى أتباهى به أمام زوجة

أبى .. وقلت لها ونحن ننزل على السلم :

— مش قلت لك انه راجل مش سهل ..

وقالت فى غيظ كأنها تتحمل الهزيمة وحدها :

— ده مغرور ، ما ينطقش .. أنا عارفه استحمتيه السنين

دى كلها ازاي ؟ ! ..

وابتسمت ..

فخورة بهاشم ! ..

ولم تكن زوجة أبى وحدها هى التى تحدثت معه ..

وكنت لا زلت التقتى بأبى سرا عند الخياطة أو عند احدى

خالاتى الخمس ، أو فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل ..

حتى لا يطلقها زوجها اذا علم باننا نلتقى .. وكنا نضحك كلما

التقينا سرا .. أو كلما استطاعت أن تحدثنى فى التليفون خفية

عن زوجها .. كنا نعتبر نفسينا عاشقين .. وكانت أمى تسمينى

« الخواجه ميتو » وتقول لخالاتى انها ذاهبة للقاء الخواجه الذى

تحبه .. وتخبط على صدرها وتقول وهى تضحك ، على آخر

الزمن أخرج أقبال بنتى من وراء جوزى .. آه منك يا خواجه

ميتو ..

وكنا فى لقاء عند خالتى سعيدة ، وكنا نتحدث عن هاشم

عندما قالت أبى :

— هاتى لى الجدع ده أكلمه ..

وقلت لها :

— ما فيش فايدة يا ماما .. بلاش أحسن ..

وعادت تقول :

— بالقولك خلينى اكلمه .. مش حاستريح الا لما اكلمه ..
اما اشوف اخرتها معاه ايه ..
وأصرت امى ..

وأدرت لهم رقم تليفون هاشم وأعطيتها السماعه .. ووضعت
أذنى بجانب أذنها ..
وقالت امى :

— صباح الخير يا دكتور .. أنا مامه ميتو .. امينه ..
ورد عليها: هاشم فى أدب حقيقى .. وكنت اعرف أن هاشم
يحترم امى ويقدرها ويحبها ، أكثر مما يحترم أبى .. وسمعته
يقول لها :

— صباح النور يا أفندم .. ده شرف كبير ..
وقالت امى :

— أنا يا دكتور باسمع عنك دايمًا سمع طيب .. ما فيش
حد الا ببشكر فى أخلاقك وشهامتك وشطارتك .. بس يا بنى
نفسى تظننى على بنتى ميتو .. أنت ناوى على ايه ..
وقال فى أدب وفى صوت هادى :

— والله يا أفندم أنا مش ناوى على حاجه أبدا .. وأنا قلت
الكلام ده الامينه كثير .. ونصححتها انها تتجوز ..
وقالت امى :

— ده مش كلام يا بنى .. تتجوز ازاي دلوقتى وهى متعلقه
بيك بالشكل ده .. دى ستابت خطيبها علشان خاطرک .. راجل
ما يتعوضش .. وقبل كده ستابت جوزها .. حقّه مالکثس حق
يا دكتور ..

وقال هاشم وهو لا يزال هادئًا مؤدبًا :

— يا أفندم أنا ماليش ذنب .. امينه غلطانه فعلا لأنها ستابت
خطيبها ، وأنا عمري ما وعدتها بحاجه ..
وتنهدت امى قائلة :

— صعب على يا ابنى انى اتحايل عليك .. بنتى مش وحشه
ولا ناقصه حاجه ، علشان اتحايل على حد يتجوزها .. انما اعمل
معروف يا ابنى .. البنيت بتحبك .. استرها رينا يسرك ..

وسمعت صوت هاشم وقد ارتعش رعشة خفيفة لا تتبينها
الا أذناى اللذان تعودتا على صمته ، وأحبنا كل نبيرة ذيه :

— أنا آسف يا أفندم .. أنا عارف انى غلطان .. وغلطتى
هى اللى مخطيائى أستحمل كثير من امينه .. انما أرجوكى انك
تتأكدى انى لو كان ممكن اتجوز كنت اتجوزت امينه من زمان ..
انما مش ممكن .. مش ممكن أبدا يا هانم ..

وسكتت امى برهة ثم قالت بطيبتها :

— كده .. طيب يا ابنى .. رينا يرضى عليك .. أنا آسفه
.. انما اعذرنى يا حبيبى .. أنا كلمتك بقلبى .. قلب الأم ..
مع السلامه يا ابنى ..

وضعت امى سماعه التليفون ..

وبكت ..

وبكىت معها ..

لم أشعر هذه المرة بانى اتباهى بهاشم لأنه هزم امى ..
أحسست بالسخط عليه لأنه أهان امى .. وكنت أضعف من أن
أحيل سخطى الى ثورة .. ثورة على حياتى .. على هاشم ..
على خطيئتى .. كل ما فعلته انى ذهبت يومها الى لقاء حسن
.. لأتوهم انى أنتقم من هاشم ..

وحدثت فى حياتى فى هذه الأثناء حادثة أخرى كان لها اثر

كبير فى حياتى .. فقد كانت العلاقات بينى وبين زوجة أبى ،
قد بدأت تسوء يوما بعد يوم .. فقد كانت تغار منى بسبب النقود
الكثيرة التى أخذها من هاشم ، وأشتري بها فى كل يوم شيئا
جديدا .. رغم أنى كنت أشتري لها هدايا كثيرة من هذه النقود
حتى أضمن صداقتها ، وأضمن مساعدتها لى فى نزوانى كلما غبت
عن البيت .. وفى الوقت نفسه كنت أيضا أغار منها .. لأنها
استطاعت أن تتزوج من أبى رغم أنها كانت عشيقته قبل الزواج ،
وأنا لا أستطيع أن أتزوج هاشم .. ثم أغار منها على أبى ..
غيرة أى بنت من زوجة أبيها .

وتضخمت خلافتنا ، وحناقاتنا ، الى حد لم يعد بقاؤنا فى
بيت واحد ممكنا .

وأبى ليس له طاقة على الخناق ، وليس له قوة على مواجهة
المشاكل ولكنه يهرب منها ، لبضمن لنفسه ليلة هادئة يشرب
فيها زجاجة الكونياك ..

وقد هرب أبى من مشكلتى أنا وزوجة أبى ، بأن استاجر شقة
أخرى فى نفس العمارة وانتقل إليها هو وزوجته ، وتركنى وحدى
أنا وابنتى .. وأصبح يعاملنا كزوجتين .. يعود فى المساء فيمر
على ويجلس ساعة ثم يصعد الى زوجته ليقتضى الليل معها ..
ويشرب زجاجة الكونياك .. وأحيانا يقرر أن يستريح من زوجته .
فيأتى بزجاجة الكونياك ويشربها معى ..

وفرحت بهذا الحل ..

وأصبح لى بيت .. لأول مرة أشعر أن لى بيتا .. عندما
كنت زوجة كان بيت حماتى .. وعندما كنت مع أمى كان البيت
بيت زوج أمى .. وعندما انتقلت لأعيش مع أبى كان البيت بيت
زوجته .. أما الآن فقد أصبح لى بيت .. وحدى . وأحببت

بيتى ، وأحببت أبى أكثر لأنه منحنى بيتا .. وفكرة الزواج من
هاشم نامت فى رأسى فترة ، كأتى استغفيت بهذا البيت عن
الزواج ..

وكانت اشاعة زواجى من هاشم قد ازدادت انتشارا بعد أن
فسخت خطبتي من حسن ، فقد اعتقد الناس أنى لم أفسخ خطبتي
الا لأتزوج هاشم .. لم يكن يخطر على بال أحد أن هناك مجنونة
يمكن أن تفسخ خطبتها للاشيء .. حتى بلا وعد بالزواج ..
ولذلك انتشرت الاشاعة .. واكتفيت بأن أعيش فى اشاعة ..
اشاعة زواج ..

وأصبحت حرة ..

أكثر حرية ..

واندفعت فى حريتى الى آخرها .. لم أعد اكننى بالخروج
فى النهار .. أصبحت جريئة فى الخروج بالليل .. كنت أنتظر
الى أن يصعد أبى الى زوجته وأطمئن الى أنه نام .. وأترك
ابنتى مع الخادمة ثم أخرج .. كنت أخرج مع هاشم ونذهب
الى شبرد ، والهيلتون ، وميراميس ، ومينا هاوس .. والناس
تعتقد أننا زوجان .. وهاشم لاه عما تعتقده الناس .. غروره
يعمى عينيه ويسد أذنيه عن سماع الاشاعة .. أنا وحدى التى
أسمعها وأراها فى العيون ، وأفرح بها ..

ولكن هاشم لم يكن يرضى أن يخرج معى كل ليلة .. كان
مشغولا .. وكان يتدلل على كثيرا .. يعذبنى .. فأصبحت
أخرج مع حسن .. ولكنى لم أكن أخرج معه الى المحال العامة
.. حتى أبقى على اشاعة زواجى من هاشم .. كنت أذهب معه
الى شقته .. أو أنتزه معه فى سيارته .. ثم .. لم يعد حسن
وحده الذى أخرج معه بالليل .. كان هناك محام آخر شاب

التقيت به في حفلة أقامتها ابنة عمتي .. اسمه عادل .. كان انسانا هادئا .. حديثه كله منطوق وكان يكره هاشم ويحاول أن يخلصني منه .. فخرجت معه أيضا .. ولكني لم أذهب إلى شقيقته ..

وحريتي تتسع أمامي ، ولا يملؤها شيء .. والرجال يزغزلون عيني في كل مكان .. وكل واحد منهم يقترب مني ، أفتنع نفسي بأنه يريد أن يتزوجني .. وأشجعه .. وأتركه يحدثني في التليفون وقد أخرج معه .. ثم يذوب .. أزهد منه .. أو يزهد مني ، قبل أن يفتاحني بالزواج .. لم أحب واحدا منهم .. لم التقي بالرجل الذي يستطيع أن ينزع هاشم من قلبي ومن جسدي ، ويحتل مكانه ..

ولكنها عقدة الزواج .. العقدة التي كانت تأكل من عمري دون أن أدري .. هي التي كانت تدفعني إلى كل هؤلاء الرجال .. وتدفعني إلى محاولة التخلص من هاشم ..

واحساسى بأنه أصبح لي بيت ، دفعني إلى أن أملا هذا البيت برجل .. كنت أريد أن يملأه هاشم .. وكنت أعرف أن هاشم لن يتقبل أن يأتي إلى في البيت بمجرد أن ادعوه ..

وفي ليلة .. وكانت الساعة الحادية عشرة .. اتصلت به في سميرابيس وادعيت له أنى مريضة .. مفص حاد يمزق أحشائي .. وبكيت له في التليفون .. من شدة الألم .. وصدقني هاشم .. وجاء ..

وكنت قد أعددت نفسي له .. لبست قميص نوم أزرق فاتح مشغولا بالدانتيل .. وتركت شعري مسدلا على كتفي .. وتعطرت بعطر « أرييج » الذي يحبه ..

واستقبلته ضاحكة ..

وغضب ..

غضب عندما اكتشف أنى خدعته بمرضى .. ورفع كفه يحاول أن يضربني ، ولكنه عاد وخفضها عندما تنبه إلى أنه في بيت غريب عنه .. وهم أن يتركنى ويعود .. ولكني تعلقت به .. التصقت به ، وجسدى ساخن تحت القميص الحريري .. وتركت عطري يملأ أنفه .. وكنت أعلم أنه شرب كأسين .. وهو عندما يشرب يصبح رقيقا ، متفتح الاحساس كما تفتح أنبوبة البوتاجاز .. يكتفى بعد ذلك أن تقرب منها عود الكبريت ..

واشتعل هاشم ..

وسحنته إلى غرفتي ..

وابنتى هدى نائمة في الغرفة المجاورة مع الخادمة ..

حياة جديدة ..

ومغامرات جديدة ..

وقد تعلمت في هذه الفترة شيئا جديدا لم يخطر ببالي .. تعلمت كيف أعامل البوابين .. انه شيء يجب أن تتعلمه كل فتاة مثلى .. وقد كان بواب عمارتنا يحترمني في أول الأمر .. ولكنى عندما بدأت أتأخر في العودة بالليل ، تغيرت معاملته .. كان يستقبلني بنظرة ملؤها القرف .. ثم أصبح يغلّق باب العمارة .. ويتركنى بالليل أدق الباب .. ربع ساعة .. نصف ساعة .. إلى أن يفتح لي ..

وثررت في وجهه أول مرة ، فقد ظننت أن من حقى كساكنة في العمارة — بل أن أبى يستأجر شقتين — أن أثور عليه ..

وتحمل ثورتى في هدوء .. واحتقار ..

ولكنى ، عندما تأخرت في العودة مرة ثانية ، تركنى ملطوعة ساعة كاملة .. وعندما حاولت أن أثور .. هب في وجهى صارخا :

— لما انتى بتزعلى كده ما تبقى ترجعى بدرى .. ولا فاكراه
انى مش فاهم يعنى ..

«ودوى صوته فى العبارة كالرعد .. وخفت .. وقفت امامه
ارتعش .. وحاولت أن اعود وأصرخ فى وجهه ، ولكن صوتى
انحبس فى حلقى . وكان هاشم هو الذى يوصلنى ليلتها ، فنزل
من سيارته بسرعة .. ووضع فى يد البواب خمسة وعشرين
قرشا وهو يقول له مبتسما :»

— ما ترعلشر يا ريس .. أصلها تعبانه ثويه .. احبا
أسفين اللى أزعجناك ..

ثم نظر الى نظرة قوية يأمرنى أن اصعد الى بيتى ..
ومن يومها أصبحت أخاف من البواب أكثر مما أخاف من
أبى .. وأدفع ثمن خوفى خمسة وعشرين قرشا ، كلما تأخرت
بالليل .. أو كلما زارنى رجل .. وأصبح البواب يحترمنى ..
ويبتسم لى .. ويترك باب العبارة مفتوحا الى أن اعود ..

ولم يكن هذا هو البواب الوحيد فى حياتى ..
لقد عشت حياة مزدهمة بالبوابين .. كلهم أخاف منهم ..
وكلهم أدفع لهم الخمسة والعشرين قرشا ..

شيء لا تعرفه البنات المحترمات ..

ولم تكف عنى زوجة أبى ..
حاولت أن تثير أبى على علاقتى بهاشم .. قالت له أشياء
كثيرة تحاول أن تثير بها نخونه واعتزازه بشرفه .. ولكن أبى
لم يثر .. بل ان حياتى الجديدة جعلته يستسلم أكثر لعلاقتى
بهاشم .. ويكاد يعترف بها .. فقد كان يرى النقود فى يدي ،
ولا يسألنى من أين أتى بها .. ثم تركنى أدفع فاتورة التليفون

.. ثم بدأت حالته المالية ترتبك أكثر .. فتركنى أدفع اجرة
الخدمة .. وفى بعض الشهور دفعت أجر البيت .. ثم اشتريت
أثاث حجره طعام جديدة ، كلفتنى مائة وخمسين جنيها .. وجلس
أبى يأكل على المائدة الجديدة . دون أن يسألنى من أين أتيت
بها .. لا بد أنه كان يعرف أن هاشم هو الذى يدفع .. أصبح
هذا امرا مسلما به بيننا .. أنا وأبى .. بل ان أبى اقترض منى
يوما .. اقترض مائة جنيه لم يردها حتى اليوم ..

.. وهاشم يدفع ..

.. كان يدفع كثيرا ..

الموضوع الوحيد الذى كان يثير نقاشا بيننا هو ان أشعره
بأنى فى حاجة الى نقود .. كان يدفع بسرعة .. ولكنه لم يعد
يبذل مجهودا ليكون رقيقا وهو يدفع لى ..

.. ثم ..

.. وقعت مصيبتى الكبرى ..

.. فقد يئست زوجة أبى من أن تثير أبى ..

وبدأت تتصل بزوجى السابق عبد السلام .. ابو ابنتى ..
وكان عبد السلام يأتى كل أسبوعين مرة .. وأحيانا كل
أسبوع . ليرى ابنته .. وكنت اتعمد الا التقي به .. كنت أخرج
من البيت قبل أن يأتى .. وفى المرات القليلة التى كنا نلتقى فيها .
كان ينهال على بالنصائح .. ويستحلفنى بحياة ابنتى أن أحرص
على سمعته .. وأن أتزوج .. حتى أضمن للبنات حياة مستقرة
هادئة .. وكنت أستمع الى نصائحه فى زهق .. وضيق ..
وأترك له هدى وأخرج من البيت ..

ثم بدأ عبد السلام فى المرات التى نلتقى فيها يحدثنى عن
هاشم .. وعن علاقتى به .. ويقول لى تفاصيل لم أكن أعلم

أيامها من أين عرفها .. ثم يثور .. ويرفع صوته الكريه ليملاً
به البيت كله .. ويهددنى .. يهددنى .. أن يأخذ منى ابنتى ..
ولم أكن أصدق تهديده ..
كنت أتحداه وأغضبه ..

ثم فجأة .. بدأت معاملته بتغير .. أصبح رقيقاً ، هادئاً ..
بل بدأ يدفع لى نفقة البنت .. أعطانى عشرين جنيهاً .. ثم استأذن
فى أدب أن يصحب هدى ليشتري لها بعض الثياب واللعب ..
وسمحت له .. وأخذها وخرج .. واعادها بعد ساعتين محملة
بمشتريات كثيرة .. وبعد أسبوع رجائى أن أسمح له بأن يأخذ
هدى لتبيت معه فى الفندق الذى يقيم فيه .. وسمحت له ..
لم لا .. إنه أبوها ، وهو المسئول عنها قبل هاشم .. ويجب
أن تشب هدى وهى تحبه ..

وقد أعادها عبد السلام فعلا فى اليوم التالى .. أعادها
ضاحكة مرحة ، الى حد أنى غرت عليها منه ..
ثم ..

كنت خرجت من البيت للقاء هاشم .. وعدت فى حوالى
الساعة الخامسة .. واتجهت مباشرة الى غرفة ابنتى كعادتى
كلها عدت ..

انها ليست فى غرفتها ..
ولا فى غرفة الطعام ..

وبدا قلبى يرتعد .. لا أدرى لماذا .. واقتحمت المطبخ ..
فوجدت الخادمة جالسة تلوك قطعة لبان ، وتغنى أغنية
لعبد الحلیم حافظ ، وسألتها فى لهفة :

— فین هدى ؟

وأجابت وهى لا تزال تلوك قطعة اللبان :

— عبد السلام بية ، جة ، وأخذها .. وخرج ..
وصرخت فيها :

— وإزاي تسيبيه ياخذها .. استأذنتينى ..
وقالت الخادمة :

— يوه يا ستى .. مش أبوها ..
ورفعت كفى وهويت على صدغ الخادمة ، وأنا أصرخ :

— أنا حاوديكى فى داهيه ..
وقالت وهى تنظر الى فى غيظ :

— وأنا مالى .. بتضربينى ليه .. ده حتى عبد السلام مبيه
قال لى انى أقول لك انه مش حايرجع ست هدى الا لما تتجوزى ..
وصرخت ..

لقد خطف ابنتى .. خطف هدى ..
وانطلق الجنون فى رأسى ..

وانهلت على الخادمة أضربها ، وأنا أصرخ :

— بنتى يا بنت الكلب .. بنتى .. بنتى .. ضيعتى بنتى ..
بنتى .. اتسرقت ..

ثم وجدت نفسى أجرى على السلم ..
وأجرى فى الشارع ..

ولم أكن أدرى انى أجرى الى قدرى ..

كنت أجرى كالمجنونة أبحث عن ابنتي .. كنت أجرى وأنا
جالسة في التاكسي .. كل شيء في يجرى .. قلبى يجرى ..
دمى يجرى .. عقلى يجرى .. أنفاسى تجرى .. كانى أجرى
وراء قطعة من جسدى نزعته منى .. والم .. الم هائل ..
كأنه قد نزع قطعة من جسدى فعلا .. وأحس بأن ما نزع
منى هو عيناى ، فأحس بالآلم فى عيني .. ثم أحس بأن ما نزع
منى هو صدرى فأحس بالآلم فى صدرى .. ثم أحس بأن ما نزع
منى هو بطنى ، فأحس بالآلم فى بطنى .. الم حقيقى .. انى
لم أشعر بكل هذا الآلم من قبل .. ولا بكل هذه اللوعة .. ولا بكل
هذا الهلع .. عذاب .. عذاب ينصب على كأن أفواه السماء
قد فتحت كلها لتصب على العذاب :

وصلت أنى الفندق الذى تعود أن يقيم فيه عبد السلام .
واندفعت الى مكتب الاستقبال والجنون يشق لى الطريق ، وسألت
بانفاسى اللاهئة :

— عبد السلام بيه موجود ..

وأجاب موظف الاستقبال وهو ينظر الى فى دهشة :

— لا يا مدام .. سافر النهارده الصبح ..

وانكثأت على الحاجز المرتفع الذى يفصل بينى وبين الموظف .
وبكيت .. بكيت فى غل .. فى غيظ .. والموظف يقول :

— جرى ايه يا مدام .. حصل ايه !

ورفعت انيه عيني المجنونتين ، وصرخت ،

— تليفون .. عايزه اتكلم فى التليفون ..

ووضع الموظف أمامى آلة التليفون ، وأدرت رقم أمى ..
ورد على زوجها .. ولم أخف منه .. ولم أخف أن يطلق أمى
.. صرخت فيه وصوتى غارق فى دموعى :

— عايزه أكلم ماما .. عايزه أكلمها حالا ..

وانتظر زوج أمى برهة ، وربما أشفق على ، فنادى أمى
لتحادثنى .. وصرخت فيها بمجرد أن سمعت صوتها :

— بنتى .. عبد السلام خطف بنتى يا ماما ..

وقالت أمى فى دعر :

— خطفها ازاي ..

وصرخت :

— ما اعرفشر خطفها ازاي .. مش مهم خطفها ازاي ..

أنا عايزه بنتى .. هاتى لى بنتى ..

وقالت أمى ..

— طيب هدى نفسك يا امينه .. وحصلينى على خالتك

صبريه ..

ووضعت سماعة التليفون ، وجريت الى الخارج .. وموظف
الفندق يتبعنى بدهشته دون أن يطالبنى بثمن المكالمة التليفونية ..

وركبت التاكسي ، وأنا أصب لعناتى على عبد السلام ..
كل ما فى من قوى الحقد تنصب عليه .. وخيالى ينطلق ليخنق
عنقه .. ليقتذف فى وجهه بماء النار .. ثم فجأة وجدت نفسى
أفكر فى هاشم .. وتحول حقدى كله عليه .. انه هو السبب
.. هو .. هو الذى مزق حياى .. هو الذى ضيعت من أجله

زوجى .. وعائلتى .. ثم خطيبي .. وسمعتى .. وكل هذا
قد يهون .. ولكن ابنتى .. هدى .. لا .. لا يارىى .. لا تأخذ
منى ابنتى . خذ منى هاشم .. خذ منى كل شيء . ورد لى ابنتى
.. ووجدتني أرفع دموعى الى السماء وأهمس :

— خلاص يا رب .. تبت خلاص .. تبت وحياة السيدة
زينب عندك ترجع لى هدى ..

ودموعى لا تكف .. دموع صامته .. ليس فيها حقد ..
ولكن فيها احساس بالخطيئة .. احسست بالحرام الذى عشت
فيه طول هذه السنين .. احسست بصورة خطيئتي أمامى ..
صورة بشعة ليس فيها حب ولا جمال .. صورة امرأة لونها
أزرق ، وجسدها يتفصد قطرات كبيرة من العرق ، ورأسها منكس
محلوق الشعر .. وأخفيت عيني بكفى حتى لا أرى هذه الصورة
.. وعدت أبتهل الى الله لعله يطهرنى من خطيئتى ويصفح عنى .
ويعيد الى ابنتى .. ثم تقفز فى خيالى صورة هاشم مرة ثانية ..
ويخيل الى أنى أصرخ هلعاً منه .. وأجرى لأبتعد عنه .. انه
الرجل الذى يخطف الأطفال .. أخافه .. واحقد عليه ..
وأستغيث بالله منه .. وسائق التاكسى يلتفت وراءه ويتفرج
على دموعى ، ثم يهز رأسه فى أسى ، ويقول :

— كله يتعوض يا ست هانم ..

لا .. كل شيء يعوض الا ابنتى ..

الى أن وصلت الى بيت خالتي صبرية .. وهى تقيم مع زوجها
فى مصر الجديدة قريباً جداً من بيت أمى ، ومن بيت خالتي
سعدية .. وتعتبر فى وسط أخواتها « حلالة المشاكل » رغم انها
ليست أكبرهن سناً .. انها أصغر من أمى .. ولكنها أذكاهن ،
وأعقلهن ..

ووجدت أمى وثلاثة من خالانى فى انتظارى ..
وارتميت على صدر أمى أبكى فى حرقه .. وكلماتى تمزق
دموعى :

— بنتى يا ماما .. هدى .. أخذ منى هدى ..

وضمنتى أمى فى حنان ، وأخذت تربت على ظهري ، وتقبلنى
فى شعري ، قائلة :

— بس يا حبيبتى .. ما تعميليش فى نفسك كده ..

وقالت خالتي سعدية :

— أنتى فاكركه انه يقدر يأخذها منك .. ما يقدرش ..

الحضانة لغاية سن اثنا عشر سنه ..

وبدا المؤتمر النسائى المنعقد حولى يناقش موضوع الحضانة
.. ويتناقلن القصص والقضايا والحواديت التى سمعن بها ..
وكل منهن تدلى بفتوى قانونية .. الى أن قالت خالتي صبرية :
— هو قال ايه للبت الخدامه ساعة ما اخذ هدى ؟

قلت وقد جفت دموعى فوق خدى :

— قال لها انه مش حايرجعها الا لما أتجوز .

وساد الصمت فترة ، الى أن انطلق صوت خالتي فتحية ،
صغرى خالتي :

— والنبي الراجل له حق .. أصلك يا ميتو مزوداها قوى

مع الدكتور بتاعك ده .. والبلد كلها بتتكلم عنك ..

وثارت كل أعصابى ، وانطلقت صارخة فى وجهها :

— وسيتونى للدكتور بتاعى السنين دى كلها ليه .. كلكم

كنتم عارفين ، وكلكم كنتم ساكتين .. أمى سببتنى .. وأبوا

سأبنى .. عارفين هاشم بيعمل لى ايه .. هو اللى بيصرف على

.. كل فستان باللبسه هو اللى جايبه .. وبيصرف على بيتى ..

هو اللي بيدفع ماهية الخدمة .. هو اللي بيدفع فاتورة النور والتليفون .. وأبويا عارف .. أبويا ما بيدنيش ولا مليم .. كل يوم يتجوز واحد .. ويبيع فى أرضه .. يعنى مش حاسيب لى ولا مليم .. انتم السبب .. انتم اللي خلتونى أعيش زى ما أنا عايشه .. ما فيش حد فيكم قدر يكلم أبويا ، ولا يسأل أنا عايشه ازاي .. ما فيش حد فيكم كان قلبه على .. النهارده بس جاين تقولوا لى ، وتنصحونى .. بعد ما اتخدت منى بنتى ..

وعدت أبكى ..

أبكى بحرارة ..

وساد صحت حزين .. ويدات الدموع تطفر من عيني أمى وخالاتى الثلاث .. لم تثر واحدة منهن وأنا أصارجهن لأول مرة بأن هاشم هو الذى يصرف على .. بأنه يدفع ثمن معاشرتى له .. واكتشفت ساعتها أن قصتى لا تثير السخط ولا القرف .. ولكنها تثير الشفقة .. وأننى أستطيع استغلال هذه الشفقة لاكتسب الناس الى جانبى .. لأثير العطف على .. وأخبيء خطيئتي فى طيات هذه الشفقة ، وهذا العطف ، وفى الدموع التى يذرفها الناس من أجلى ..

وقالت أمى من خلال دموعها :

— أنا سبتك يا ميهتو ؟! يا ما نصحتك .. وياما حذرتك ..

قلت وأنا لا زلت أبكى :

— سبتيني .. ما عملتيش حاجة .. وكنتى بتاخدى منى فلوس هاشم وتشيلها عندك .. وأنا كنت صغيره ، ما كنتى كفايه انك تنصحنى .. لغاية ما طردنى جوزى من بيته .. سباني لأبويا وانتي عارفه أبويا عايش ازاي .. انما أنا عذراكى يا ماما .. أنا ما بلومكيش ..

وقالت أمى وهى تنتسج :

— هو حد قادر عليكى يا بنتى ..

وقالت خالتى سعدية :

— رأتا يا أمينه مش جبنتك عريس بالدنيا كلها .. وانتي

اللى طفشتيه ..

وقلت وأنا أبكى وأشد شعري وأدبب على الأرض بقدمى :

— يا ريتنى ما طفشته .. سبتونى أعمل كده ليه .. سبتونى

ليه .. ليه .. انتم فاكرين أنا عندي أربعين سنة .. حرام

عليكم .. حرام تسيبوني أتصرف لوحدى بالشكل ده ..

وعاد الصمت الحزين ، تمزقه دموع أمى وخالاتى ، حسرة

على حالى ..

الى أن تكلمت خالتى صبريه ..

والنفتت كل الرؤوس اليها .. الى حلالة المشاكل .. تتلقف

الكلمات من شفقتها ..

وقالت خالتى صبريه وهى تنظر فى عيني :

— انتى عايزه بنتك ترجعلك ؟

قلت فى لهفة :

— طبعا .. اعملوا فى اى حاجة .. بس بنتى ترجع ..

وقالت خالتى صبريه فى حزم :

— أولا ، لازم تسيبي الدكتور ده ..

وصرخت :

— خلاص سبته .. وحياتك يا طنط قبل ما أوصل هنا ،

حلفت انى ما شفش خلقتة تانى .. كفايه اللي حصل لى من

تحت راسه ..

وعدت خالتى صبريه تقول :

— وثانيا .. تيجى تقعدى عندى هنا .. تبعدى عن أبوكى
وعيشة أبوكى ..

قلت :

— حاضر .. اللى تشوفيه يا طنط ..
وعادت تقول :

— وثالثا .. تتجوزى بأسرع ما يمكن ..

ونظرت الية بعينين واسعتين خائفتين ، وقلت :

— وينتى .. حاتفضل بعيدة عنى ، لغاية ما اتجوز ..

قالت نى هدوء :

— لا .. احنا نكلم عبد السلام علشان يخليكى تشوفيهيا لغاية

ما تتجوزى ، وبعدين تبقى تيجى تقعد معاكى ..

وصرخت :

— مش ممكن .. ده مش من حقه .. بنتى تقعد معايا ويبقى

هو اللى يبجى يشوفها .. أنا لى الحضانه .. الشرع بيقول

كده ..

وقالت خالتى سعيدة :

— وأصل يا صبرية يا اختى ، ان ميتو اتجوزت حاتسقط

حضانتها ، ويبقى من حق عبد السلام انه يخلى البنيت عنده على

طول ..

وقالت صبرية :

— ما هو احنا لو دخلنا فى قضايا مش حانخلص .. وتفوت

سنه وسنتين من غير ما ناخذ حق ولا باطل ، ولا حتى نشوف

البنيت .. وأنا عارفة عبد السلام كويس .. واقدر أقنعه ..

وصرخت :

— مش ممكن .. بالذوق والعافيه لازم آخذ بنتى ..

وقالت خالتى صبرية فى هدوء :

— بس حاتخديها فين يا ميتو يا حبيبى .. انتى نفسك

بتقولى ان عيشة أبوكى مهببه ، واذا كنتى خايفة على نفسك من

العيشه دى ، خانى كمان على بنتك .. وكلها شهر والملا شهرين

وتتجوزى ويبقى لك بيت ، وبنتك تيجى تقعد معاكى ..

وقلت سى حدة :

— وايه ضمنى انى حاتجوز فى شهر ولا شهرين ؟ ..

وقالت خالتى صبرية :

— سيبى المسأله دى على أنا ..

قلت :

— وحلاتى مين يتجوزنى بعد اللى عملته ده كله ..

وقالت خالتى صبرية فى ثقة :

— مالكيش دعوته .. اطمنى ..

وقالت أمى :

— وانتى عملتى ايه يا بننى .. أهى كل البنات بتسوى

الهوايل ، ويرجعوا يتجوزوا ويتلموا فى بيوتهم ، انتى ما عملتيش

أكثر من اللى بيتعمل ..

وأراحتنى كلمات أمى ، أحسست كأنها مسحت كل ذنوبى ..

واستمر المؤتمر النسائى منعقدا الى ساعة متأخرة من الليل

.. ثم عادت أمى وخالاتى كل منهن الى بيتها .. وتقرر أن أبقى

فى بيت خالتى صبرية .. أعطتنى الغرفة التى كانت مخصصة

لابنتها قبل أن تتزوج .. ولم أتم .. بقيت الليل مفتحة العينين

أجرى بهما وراء ابنتى .. خيل الى أنى لم أرها منذ سنتين ..

وأنا لم أكن أبدا أما ضعيفة فى عواطفها .. كان من عادتى أن

أترك ابنتى يوما كاملا مع الخادمة ، أو ليلا كاملا ، دون أن

اتلطف عليهما .. ولكنى الآن اكاد أجن لبعدها عنى .. أحس
كأنى فقدتها الى الأبد .. وأستمع كلماتها الحلوة الساذجة ترن فى
أذنى .. وأرى ابتسامتها المرحة تقفز فى خيالى .. أراها كلها
.. أرى لون عينيها .. ولون شعرها .. ومكان سنتها التى
فقدتها أخيرا .. وحذاءها الصغير كقطعة البسكويت .. واتذكر
أشياء صغيرة .. صغيرة .. والأشياء الصغيرة تتجمع وتصبح
حياتى كلها ..

ثم تهذا صور ابنتى فى خيالى ، وتقفز مكانها صورة هاشم
.. بشعا .. أنانيا .. مغرورا .. وأكرهه .. انى أكرهه ..
وتتجمع سحب الكراهية فى صدرى لتصبح رغبة عارمة فى
الانتقام .. ثم أحس بالعجز أمام كل هذه الصور .. فأعود وأبكى
.. أبكى حتى الابنتى .. وأبكى عجزى عن الانتقام من هاشم ..
وفى اليوم التالى ، صحبتنى خالتى صبرية الى بيت أبى ،
وأنا مدبلة العينين ، منهكة القوى .. وجمعت ثيابى فى حقيبتين ،
وعدت معها الى بيتها ..

ولم يعترض أبى ..

لقد سمع كل القصة كأنه يشاهد فيلما سينمائيا ليس له دور
فيه .. ووافق بسرعة على انتقالى الى بيت خالتى .. وعلامات
الراحة تبده فى عينيه .. كأنه ارتاح منى ، ومن عبئى ..
وهكذا ..

انتقلت الى حياة ثالثة .. حياة تختلف اختلافا تاما عن
حياتى فى بيت أمى ، وعن حياتى فى بيت أبى .. كان بيت خالتى
صبرية بيتا هادئا يملؤه الحب .. كانت تحب زوجها ، وزوجها
يحبها ، كأنهما لا يزالان فى شهر العسل .. رغم أنهما تزوجا

من عشرين عاما .. وكان عقل خالتى واتزانها وشخصيتها القوية ،
يؤهلها لتكون ست بيت ممتازة .. تسيطر على كل شى فى حلاوة
ورقة .. وتدبر حياتها فى حدود واضحة ، ليس فيها خلل ..
ليس فيها شىء تخجل منه .. وكانت تحسب حسابا كبيرا لكلام
الناس .. وزوجها يعود من عمله لتستقبله بعينين مبتسمتين
تقبلانه فى كل مكان من وجهة .. ويتناول غداءه ويدخلان ليناما
.. ثم يجتمع عندها بعض الأصدقاء فى المساء ليلعبوا الكونكان .
ويخرجان ليلعبا الكونكان عند بعض الأصدقاء ..

بيت سعيد .. صورة جديدة للبيوت لم أكن أعتقد انى سأعيش
فيها يوما ما .. بل لم أكن أعتقد أن هناك بيوتا خالية من العقد
والاضطراب كبيت خالتى صبرية ..

وقد حاولت خالتى أن تسيطر على .. سيطرتها الحلوة
الرقيقة .. كانت تقودنى فى كل خطوة من خطواتى .. كانت
تقودنى معها الى المطبخ .. وتقودنى معها لنعد المائدة .. وتقودنى
معها الى زيارة صديقاتها .. وتحاول أن تقنعنى بأرائها فى
الحياة والناس .. وكنت أعلم أنها تراقبنى .. تريد أن تطمئن
الى أنى لا أقابل هاشم ولا أحادثه فى التليفون .. ولكنها كانت
تغلف مراقبتها لى فى غلاف ناعم رقيق مهذب ، لا يجرحنى ،
ولا يقلل من احساسى بحقى فى حرىتى ..

وقد حاولت أن أعيش هذه الحياة ..

حاولت أن أحب حياتى الجديدة ..

مضت أسابيع وأنا مستسلمة لخالتى .. منقادة لها ..
ولكنى كنت أشرد كثيرا .. كنت أشرد وراء ابنتى .. وكانت
المفاوضات التى تجرى مع عبد السلام لم تنته الى شىء بعد .
فهو مصمم على ألا أرى ابنتى الا اذا تزوجت .. وكنت أشرد

وراء هاشم أيضا .. وكنت قد امتنعت عن الاتصال به فعلا .. لم
اتصل به طوال أربعة أسابيع .. وهو لم يتصل بى ، انه لا يعلم
أين أنا .. وحالتى العصبية تسوء .. انى أفضى لىالى كاملة
وحيدة فى غرفتى ، أتحدث الى نفسى .. وأحيانا أتحدث اليها
بصوت عال كالمحانين .. وأتذكر ابنتى فأبكى لوعة .. وأتذكر
هاشم فتسبب بى الرغبة فى الانتقام ولكن هذه الرغبة لا تلبث
أن تفتح مسام جسدى .. فأحس بالحاجة اليه .. الى الرجل
الذى تمر به لحظات يخيل الى أن كل شىء يهون فى سبيل أن
أحس بأنفاس هاشم تهب على من أنفه الكبير .. وأن أحس
بكهة تربت على مسام جسدى لتهدئها .. أن أحس بذراعيه
يخنقان هذا الالم .. ألم الجوع .. الذى يغرينى ..

ولكنى احتملت ..

احتملت أربعة أسابيع .. وقاومت ..

وبدا أثر المقاومة على وجهى .. أن وجهى ذابل .. أصفر
.. وعيناي مرخيتان مسكيتتان .. ولاحظت خالتى ذبولى ..
واطمانت الى أنى لا أحاول أن اتصل بهاشم .. فبدأت ترحمنى
من رقابتها .. وبدأت دون أن تشعرنى بأنها تتعمد شيئا ، تسمح
لى بأن أزور خالتى سعيدة وحدى .. ثم بدأت تسمح لى بالتردد
على نادى مصر الجديدة ، بعد أن تتأكد من انى أذهب اليه مع
صديقاتى القدامى .. بنات مصر الجديدة ..
الى أن التقيت بمحمد ..

محمد .. أول شباب عرفته فى حياتى ، وخرجت معه وأنا
بنت قبل أن ألتقى بهاشم .. لقد كبر الآن ، أصبح فى السادسة
والعشرين من عمره .. أكبر منى بعام واحد .. وأصبح موظفا
فى شركة بعد أن تخرج من كلية الحقوق .. وأطلق شاربا صغيرا

رفيعا تحدث أنفه .. وضحكت كثيرا عندما رأيته ومعه شاربته ،
لقد ذكرنى بالأسطى محمد الحلاق الذى كان يأتى الى بيت أبى
ليحلق له شعرة كل يوم جمعة ..

وقد قابلت محمد فى الطريق وأنا ذاهبة الى النادى ، وأوقف
سيارته بجانبى ، ومد عنقه الى وقال فى أدب :

— بونجور يا أفندم .. فإكرانى ؟

وابتسمت .. انى أذكره .. قد أنسى وجوه النساء ، ولكنى
لا أنسى وجه رجل .. وقلت وابتسامتى تتسع وأنا أطل على
شاربيه الصغير ، وأتذكر أسطى محمد الحلاق :

— أزيك يا محمد .. عامل ايه دلوقتى ..

قال :

— كريس .. تحبى أوصلك ؟

قلت وأعصابى تتجمع لمغامرة جديدة :

— أنت يظهر عليك لسه شقى ..

قال :

— أبدا والله يا أفندم .. بس أنا حاسس اننا مش غرب ..

وهممت أن أركب بجانبه .. ببساطة .. كما تعودت أن
أركب بجانب كثير من الرجال .. ولكنى فجأة تذكرت خالتى صبرية
.. وأحسست كأنى أخون ثققتها فى .. كأنى على وشك أن ألوث
بينها الهادىء النظيف الذى يملؤه الحب .. خالتى التى أوتنى
لتنفذنى من حياتى الممزقة .. و .. ولم أكن أستطيع أن أقاوم
طويلا .. كنت قد تعبت من طول ما قاومت .. والأعصير التى
مرت بى فتنتت كل كيانى .. فتنتت عقلى نفسه .. وكان أى رجل
يمكنه وأنا شىء هذه الحالة أن يجذبنى اليه .. وأى مغامرة يمكن
أن تشدنى اليها ..

وخذت ثقة خالتي ..

ذبحتها هي الأخرى كما ذبحت كل الذين أحبوني وعطفوا

على ..

وركبت سيارته ..

انها سيارة اخرى غير الشفروليه التي ركبتها معه منذ سبع

سنوات .. سبارة فولكس واجن ..

وبسرعة وجدنتى اروي لة قصة ابنتى ..

كنت فى حاجة الى ان اروي قصة ابنتى لآى انسان جديد ،

كأنى أعرض مسرحية على متفرجين جدد ..

وأثرت بقصتى قلب محمد .. وشهامته .. ورأيت غلالة

من الأسى تكمنو وجهة .. وبدأ يسب ويلعن فى زوجى عبد السلام

.. وقد كنت فى حاجة كبيرة لأن أسمع من يسب فى عبد السلام .

فعائلتى كلها تعطف عليه أكثر مما تسبه ، وتعطيه الحق فى خطف

ابنتى .. أما محمد ، فقد شعرت أنه يعبر عن كل أحاسيسى

ويطلق طاقة حقدى وهو يسب عبد السلام .. وبدأ يحدثنى عن

حقوقى القانونية فى حضانة ابنتى .. ويبدى استعداداه لأن يضع

أشهر المحاميين فى خدمتى .. كان متمحسا لى حماسا صادقا ..

وأحسست كأن قلبه يلتاع مع قلبى .. وبدونا نحن الاثنين كأننا

كونا فرقة هجوم لاعلان الحرب لاستعادة ابنتى ..

وقابلت محمد مرة ثانية .. وثالثة .. ولم اكن أستطيع ان

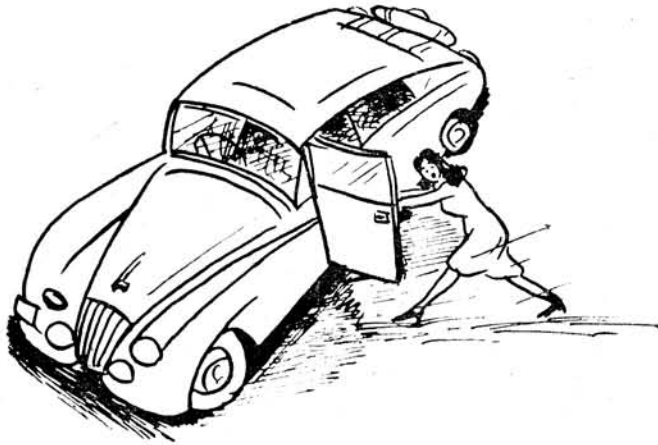
أحادثه فى التليفون من بيت خالتي صبرية ، فكنت اذهب لأحادثه

فى التليفون من عند خالتي سعدية .. وكنت متلهفة دائما الى

حديثه ، والى لقائه .. لا لآنى أحبه .. ولكن لآنى كنت فى حاجة

ليه .. فى حاجة اليه ليخفف من أزمى .. ليريح اعصابى ..

وفى المرة الرابعة ذهبت معه الى شقته .. وصعقت عندما



علمت أن الشئقة التي يأخذنى إليها محمد تقع فى الزمالك أيضا ..
تريبا من شئقة هاشم ..

ولم يكن محمد حتى هذه اللحظة يعلم شيئا عن علاقتى
بهاشم ، رغم أنه شاب يعيش قريبا من الأوساط الاجتماعية التى
يعيش فيها .. وقد تعجبت أن ظل هناك ناس يعيشون فى
القاهرة ، وفى مجتمع النوادى ، ولا يعلمون علاقتى بهاشم ،
بعد كل الضجة التى أثيرتها معه ...

ولكنى اكتشفت أن القاهرة ليست مدينة واحدة .. انها
عشرات المدن .. ما يجرى فى واحدة منها لا تسمع به الأخرى
.. القاهرة مجتمعات مفككة لا صلة بينها .. والحكم الذى
يصدره مجتمع منها لا يبلغ الى مجتمع آخر .. بل أن القاهرة
شلال .. كل شئلة لها اهتمامها وعالمها وفنائها الخاصة ..
والبنت يمكن أن تكون فاضلة بالنسبة لشئلة وخاطئة بالنسبة
لشئلة أخرى .. وقد ترفض شئلة أن تزوجها من أحد أفرادها .
وتقبل الشئلة الأخرى .. ليس هناك حكم عام على بنت ، الا اذا
نشرت قصتها الصحف .. وقصتى لم تنشرها الصحف ..

وصعدت مع محمد الى الشئقة ، وركبتاى ترتعشان ..
أحسست أنى أعود الى حياتى من جديد .. الحياة التى تعودتها
.. حياة الشئق الخاصة ..

وأحسست أنى لا أستطيع أن ادعى أمام محمد بأن هذه
أول مرة أدخل فيها شئقة خاصة .. كنت ساعتها أضعف من أن
ادعى الخوف .. أو الرهبة .. أو الخجل .. أو شيئا مما تدعيه
البنات عندما يدخلن شئقة خاصة .. كنت أريد أن أرتاح من كل
هذا .. أن أكون على طبيعتى .. كنت أريد أن أطلق أعصابى

التالفة التى مضى عليها أسابيع وهى حبيسة ارادتى ، حبيسة
الخوف من الا تعود الى ابنتى ..

ومحمد جالس أمامى مبهورا ، كأنه لا يصدق عينيه ،
ولا يصدق أنى معه .. وأنه يستطيع أن يأخذنى .. وهو مرتبك ،
لا يدرى من أين أبدا .. تتسلل الى عيناه المرتبكتان .. ويهم
أن يقترب منى ثم يخشى أن يفضبنى ، فيظل بعيدا عنى مدعيا
الأدب .. يحاول أن يتكلم فى أى موضوع ، ليثبت لى أنه لا يريد
منى شيئا أكثر من أن أكون معه .. وأكثر من أن نتحدث ..

وأنا أنظر اليه بعينين مفتوحتين ، وابتسامة صغيرة على
شفتى أحاول أن أخفف ارتباكك .. وأن أحرره من الرهبة التى
يشعر بها .. وأرد على حديثه باجابات مقتضبة حتى أشعره بأنى
لست فى حاجة الى حديثه .. فى حاجة الى أكثر ..

وأخيرا ..

اقترب محمد ..

مال على ووضع خده على خدى .. فى رفق .. وتردد ..
كأنه يحس أنه يلمس شيئا كريما غاليا ، يخشى أن يجرحه مجرد
اللمس .. كأنه يتجرا على قدس الأقداس .. وابتسمت بينى
وبين نفسى .. انه لا يزال صغيرا .. وهو لا يعرفنى .. وقد
أرضى غرورى ارتباكك والرهبة التى تبدو عليه .. وأسلمت
خدى الى خده .. وتركت ذراعه تزحف حولى .. وتردد لتضمينى
الى صدره .. ثم تركت يطوف بشفتيه الى أن يصل الى شفتى
.. قبلة هادئة ، خجولة ، ناعمة .. وحاولت أن أعيش فى هذه
القبلة .. أن أهيم فيها .. ولكنى فجأة .. وشفته بين شفتى ..
وجدت نفسى أفكر فى ابنتى .. وفى هاشم .. وفى خاننى صبرية

مستقبلي .. انى استطيع دائما ان اجد رجلا ، ينبهر بى كل هذا
الانبهار .. ويريدنى الى هذا الحد .. رجل املكه ..
ولم تتعلق عيناي بالسوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم ..
لا ..

لقد كان كل تفكيرى لحظتها مركزا فى محمد .. لم يكن
مركزا فى احساسى الجسدى به .. ولكنى كنت ارسم صورا
لمستقبلي معه .. انى استطيع ان استعين به لاقتوى به على
هاشم .. واستطيع ان استعين به لاسترد ابنتى .. واستطيع
ان استعين به عندما يتخلى عنى بقية اهلى ..

ان محمد شىء آخر ، غير الرجال الذين عرفتهم .. انى
واثقة انه يحبني اكثر .. ويريدنى اكثر .. واثقة انى اقوى منه
.. اقوى منه بتجاربى وذكائى .. واستطيع ان اسيطر عليه ،
وان احركه كيف اشاء .. لقد اشعرنى محمد بقوتى ، قوة
شخصيتى ، اكثر مما اشعرنى بها أى رجل آخر ..

هل أتزوجه ؟

لا .. لا يجب ان افكر فى الزواج به الآن .. قد لا استطيع
ان اتزوجه .. ان هذا الصنف من الشبان لا يتزوج فتاة مثلى ..
انه من عائلة كبيرة .. غنية .. وهو وحيد امه .. ولد واحد
وثلاث بنات .. وانا مطلقة ، ولى ابنة ، ثم انى فى مثل عمره ..
وعندما يعرفنى اكثر لا بد انه سيسمع عن مغامراتى .. كل هذا
يخلق املى فى الزواج به .. انى اعرف .. هذا النوع من الشبان
لا يتزوج الا صفتة .. فتاة صغيرة ، من عائلة غنية ، طيبة
السمعة .. لا بد ان امه تبحث له الآن عن صفتة ..

ولكن ..

لا يهم الزواج ..

.. تصور من حياتى الممزقة تتوانى على راسى .. واعصابى
تتلوى .. احس بضيق .. اريد ان اهرب من هذه الصور ..
اريد ان اهرب من حياتى كلها .. ووجدت نفسى فى محاولة
الهرب ، آخذ شفتيه كلها بين شفتي .. اريد ان اغوص فيهما
.. اريد ان اغرق كل همومى بينهما .. وقبلته اكثر مما يقبلنى
.. ربما كنت اعلمه قبلا لم يعرفها من قبل .. وانساق معى ..
بكل شبابه ، بكل انبهاره بى .. بكل احساسه بانى شىء اجمل
واروع مما كان يطمع فيه ..

ثم ..

رفع الى عينيه فى ابتهاج ، وهو يضمنى اليه ، كأنه يستأذنى
فى ان ياخذ منى اكثر ..
لم لا ..

لماذا انتظر حتى اللقاء الثانى ، او الثالث .. انى واثقة انى
ساعطيه كل شىء ، فلماذا لا اعطيه اليوم ما ساعطيه له ..
ولماذا لا آخذ منه اليوم ما ساخذه بعد يومين .. ما هذه التقاليد
التي تحتم على البنات الا تعطى نفسها فى اللقاء الاول .. تقاليد
الخطيئة .. آداب الخطيئة .. انى لا اؤمن بهذه التقاليد والآداب
.. انى امرأة صريحة .. واقعية .. لا اضيع ايامى فى تجاهل
الواقع .. ولا ادعى الخفر والحياء ، حينما لا اكون فى حاجة
اليهما ..

خذنى ..

لعلى استطيع الهرب من نفسى ..

واخذنى ..

وانا اشعر به كطفل يلهو .. واشعر بانفاسه المبهورة كأنه
ينفخ فى غرورى .. ويعيد الى ثقتى بنفسى .. واطمئنانى الى

إذا اردت الزواج ، فخالتي صبرية تستطيع ان تأتي لى

بعريس ..

المهم هو ان احتفظ به ..

احتفظ بمحمد ..

انه لقطه .. حتى بلا زواج ..

ولكنه قد يسمع بعلاقتى بهاشم !!

وقررت ان اعترف له .. ان الاعتراف يسمح الخطيئة ..

ويحصن الرجل ضد كلام الناس ..

وبدأت اعترف له بعلاقتى بهاشم ..

اعترف له ودموعى فى عيني ..

لم اعترف له بكل التفاصيل ..

ولكنى اعترفت له بما يكفى ان يحصنه ضد كلام الناس ..

ان أى شيء يسمعه عني بعد ذلك ، لن يكون جديدا عليه .

وتلقى محمد اعترافى بعينين حزينتين ، كأنه على وشك ان

يبكى معى .. وتحمس فى السخبط على هاشم كما تحمس فى

السخبط على عبد السلام .. ووعدنى .. وعدنى ان يعوضنى عن

كل شقائى .. ان يمنحنى حياة جديدة .. حلوة .. رائعة ..

كان فى وعده حماس عمره الصغير ..

.. حماس الشباب واندفاعه ..

ونزلنا يومها من الشقة وأنا غير نادمة على ما اعطيته ..

وعندما ركبت بجانبه فى سيارته ليوصلنى الى مصر الجديدة

التفت الى الشارع الذى تقع فيه شقة هاشم .. لعلى أرى

سيارته .. ثم عدلت رأسى بسرعة كائى خفت من محمد ..

ولكنى ظلمت طوال الطريق أفكر فى هاشم ..

وعندما عدت الى بيت خالتي صبرية ، أحسست بفداحة

الجرم الذى ارتكبته فى حقها .. أحسست بأنى خنت أمانتها ..

خنت عطفها .. بأنى لوثت بيتها .. أحسست بهذا الاحساس

أكثر مما أحسست به عندما كنت أقيم مع أمى ، وعندما كنت

أقيم مع أبى .. أكن أحس بأنى أخون ثقة أمى أو أبى ، كما

أحس بأنى خنت ثقة خالتي .. ربما لأن خالتي ليست مسؤولة

عنى .. ولأن كل ما تقدمه لى هو تضحية منها .. كرم منها ..

ورغم ذلك خنتها ..

لماذا ، يا ربى .. لماذا .. لا أستطيع ان أكون فتاة

طيبة ، تصون ثقة أهلها .. لا أدري .. ربما كانت هذه طبيعتى

.. ربما ورثت هذا الجنون عن أبى ..

ولم أستطع ان أواجه خالتي صبرية عندما عدت اليها ..

لم أستطع ان أرفع عيني الى عينيها .. وربما امتنع وجهى

وارتعشت أطرافى وهى تستقبلنى بابتسامتها الطيبة الحلوة ..

وربما خيل الى أن فى نظراتها بعض الشك ، والتساؤل .. ولكنى

لم أتوقف لأكشف ما فى عقلها .. جريت الى الغرفة المخصصة

لى ، ورددت على السرير أحاول ان أواجه نفسى على حقيقتيها

.. وخيل الى أنى لن أستطيع ان أعيش فى بيت خالتي طويلا ..

انى لا أطيق احساسى بأنى أخون ثقته .. ولا أطيق طبيعتها ..

ولا أطيق تضييد حريتى .. لا أطيق ان أكون مسؤولة أمام أحد .

ولكنى ، اذا تركت بيت خالتي ، فكيف أعيش ..

انى أستطيع ان أعود الى أبى .. ولكن أبى لن يستطيع ان

ينفق على ..

اذل يجب ان أعود الى هاشم .. انى لا أستطيع ان أطلب

من محمد ان ينفق على .. انه الى الآن يتصور انى فتاة من عائلة

كبيرة ، تعيش فى رعاية أبيها ، ولا يمكن ان يتصور انى فى

حاجة لرجل ينفق على .. وربما لو تصور هذا ، لخاف منى ،
وابتعد عنى ..
اذل اعود الى هاشم ..

ولم تكن عذبه هي كل الاسباب التي تدفعنى الى التفكير فى
العودة لهاشم .. ولكن الواقع ، ان لقائى بمحمد اضعف مقاومتى
لهاشم .. لقد كنت اقاوم هاشم فى كل دقيقة طوال الاسباب
التي مرت .. لقد كنت اقاوم حبه لى .. وحاجة جسدى اليه ..
وكنيت اقاوم رغبتى فى الانتقام منه .. ولكن لقائى بمحمد كسر
القييد الذى كنت احاول ان اقيده به نفسى .. كسر ارادتى .. فتح
القمقم الذى حاولت ان احبس فيه عفريت جنونى .. وانطلق
خيالى بكل قوته الى هاشم .. وتفتحت مسام جسدى كلها ظمأى
اليه .. ان هاشم شىء آخر غير محمد .. انه يشبعنى ..
يشبعنى بشخصيته القوية التى تسيطر على كل قطعة منى ..
بغروره .. بصلفه .. باستهانته بى ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى بيت خالتى سعدية ، واستطعت
بمساعدة ابنتها ، ان اتصل بهاشم فى التليفون ..
وسمعت صوته بعد كل هذه الاسباب ..

ثابتا رائقا لم يحدث له شىء .. كائى لم اغب عنه .. كائى
لم اهتم كل هذه المصائب من اجله ..

وقال فى مرح هادىء بمجرد ان سمع صوتى :
— انتى فين من زمان ..

قلت :

— انا حصل لى حاجات كثير يا هاشم .. مصايب وقعت
على دماغى ..

قال فى لهفة :

— خير ..

قلت :

— تصور ان عبد السلام خطف البنات .

قال :

— مشر معنول .. وعملتى ايه ؟

قلت :

— لسه مش عارفه اعمل ايه .. انا قاعده عند خالتى دلوقت

.. انما لازم اشوفك ..

قال فى تردد :

— ما بلاش .. خلينا نتعود اننا ما نشفش بعض ..

قلت :

— لا .. انا محتاجه لك .. ولازم تعرف ان كل اللى حصل

كان بسببك .. عبد السلام ما خطفش البنات الا لانى اعرفك ..

ومش ممكن دلوقت تسيبنى لوحدى .. لازم تساعدنى ..

وسكت برهة ثم قال فى قرف :

— حاضر ..

قلت بسرعة :

— بس مش حاشوفك فى شمتك ..

قال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— لان خالتى وجوزها مضيقين على قوى .. ومراقبيني ..

وكلهم عارفين شمتك فين ..

ولم يكن هذا صحيحا .. ولكنى كنت احمى ان يرانى محمد ،

عندما اذهب الى شقة هاشم القريبة من شقته ..

استطع ان اكبت ابتسامة صغيرة طافت بشفتى ، وانا انظر اليه
والشوق ينطلق فى قلبى ..

ولم يأخذنى بين ذراعيه ..

لم يقبلنى ..

كأنه لم تضى أسابيع كثيرة لم نلتق فيها .. ولم نتلامس
فيها ..

وقال وهو ينظر الى وشفته تبخلان بابتسامة :

— انتى خسيتى ..

ونظرت اليه فى لوم ثم أرخيت عيني قائلة :

— ما بستمبش ليه .. مش وحشاك ! ؟

ونظر الى برهة .. ثم جذبني الى صدره ، وحاول ان يقبلني

قبلة صغيرة ، ولكنى تعلقت بقبلته الصغيرة وجعلت منها قبلة

كبيرة .. شربت .. وشربت .. وقبل ان ارتوى أبعدنى عن

صدره .. قائلاً وهو يلتقط أنفاسه :

— احكىلى .. حصل ايه ؟

قلت :

— ما تبعدنبش عنك يا هاشم .. انت واحشنى ..

قال :

— بس طمبئنى الاول ..

وجلسنا على الأريكة ، وأخذت أروى له قصتى ، وعيناي

تطوفان بوجهه وتعششان فوق أنفه الكبير .. وربما لم اكن

متحمسة كثيراً فى رواية قصتى ، فقد كان هناك شيء يشغلنى

عن الحماس لقصتى .. كنت أريد هاشم ..

وقال هاشم : بعد ان أنتهيت من قصتى :

— انتى السبب ..

وقال هاشم بعصبية :

— امال أشونك فين .. فى جنينة الحيوانات ؟

قلت :

— لا .. فى شقة صاحبك رؤوف ..

قال :

— طيب .. بكره الساعه أريعه ..

قلت :

— لا .. النهارده .. انا عايزاك ضرورى ..

قال فى سخط :

— طيب ..

واستطعت يومها ان أقتع خالتي بأن تتركنى أذهب الى بيت

أبى لاحضر بعض ثيابى التى تركتها هناك ..

وذهبت الى هاشم .. وكنت أعرف عنوان شقة رؤوف ضمن

العناوين الكثيرة التى أعرفها وأضمرها فى ذاكرتى مع نمر

التليفونات ، ونمر السيارات ..

احساس آخر غير احساسى وانا ادخل الى شقة للاقاة اى

رجل آخر ..

انى أحس وانا أضغط الجرس فى انتظار ان يفتح هاشم ،

بكل ضعفى .. أحس بكل شيء ينسحب منى .. وانى أنهار ..

أنهار على سرير رجل يسلمنى كل شخصيتى .. وكل اعتزازى

بكرامتى .. بل يسلمنى احساسى بجمالى وشبابى .. ولا أعود

سوى شحاذة تشخذ رجولته ودفء شخصيته .. شحاذة

مجنونة ..

وفتح لى هاشم الباب ..

وحاولت ان اكسو وجهى بطابع الحزن والاسى ، ولكنى لم

قلت مغناظة :

— ليه ؟

قال :

— لأنك أهملت البنات .. سايهاها دايبا مع الخدمة (٥٢٥)

ما كنتيش بنسملى حسابها ..

قلت :

— مئس مهم الكلام ده دلوقت .. المهم أعمل ايه ؟

قال :

— مايفش الا انك تروحي الحامى (٥٢٥)

قلت :

— وانت تدفع الأتخاب .. مئس كده ؟

قال :

— أنا مستعد ..

قلت :

— انت كل اللى بتعمله انك تدينى فلوس (٥٢٥)

قال :

— انا بأعمل لك اللى اقتدر عليه (٥٢٥)

قلت :

— ما تقدرش على أكثر من كده ؟

قال فى برود :

— لا (٥٢٥)

قلت :

— طيب بوسنى ..

ونظر الى نى دهشة ، فصرخت :

— بوسنى .. دى الحاجة التانية اللى تقدر تعملها ..

وقبلنى هاشم ..

وأغمضت عيني لأتلقى قبلته .. وقبلات أكثر .. ولكن هاشم ليس كعادته .. أنه هادىء .. بل خيل الى أنه يضفط على أعصابه حتى يستجيب لى ولقبلاى ..

ورغم ذلك فقد أخذت منه أكثر مما يستطيع أى رجل آخر أن يعطينى ..

انه التعود ..

ليس الحب ..

صدقونى .. ليس الحب .. لقد كنت فى هذه الأيام أكره هاشم ..

وعادت حياتى كما كانت ..

مرتبكة ..

ممزقة بين رجلين .. هاشم .. ومحمد ..

ولكننى لم أكن قد اندمجت فى هذه الحياة بعد بكل طاقتى .. كنت لا أزال أقيم فى بيت خالتى .. وكانت خالتى لا تزال تراقبى .. ولا أزال أحسب حسابها .. وكنت أفكر كيف أستطيع أن أفر من بيتها ، لأستعيد كل حريتى .. وكل طاقات جنونى .. انى أقيم عندها لأستعيد ابنتى .. ولكن ابنتى لم تعد لى .. فلماذا أقيم عندها .. ولماذا أحيط نفسى بناس يراقبونى ، ويزهقون حريتى (٥٢٥)

الى أن كان يوم ..

وكنت عائدة من لقاء محمد عندما استقبلتنى خالتى متهللة الوجه وقالت كأنها تزفرد :

— خلاص با ستى .. لقينا العريس ..

هل يمكننى أن أرفض العريس الذى جاءت به خالتى ؟

كنت محرجة .. وكانت شخصيتي أضعف من أن تقاوم هذا الحرج .. أنتعفت من أن أواجه أمي وخالاتي ورجال العائلة ، لأقول لهم أنني لا أريد الزواج .. لا أريد أن أكرر تجربتي مع عبد السلام .. التجربة الفاشلة .. وكنت قد تركت الجميع يؤمنون بأنني اهتديت .. وائتي اقتنعت بأن أتزوج حتى يكون لى بيت هادى صالح أستطيع أن أرى فيه ابنتى .. ولم أكن أستطيع ، بعد كل ما فعلوه من أجلى ، أن أصددهم .. أن أكشف لهم عن حقيقتى .. أن أبدو أمامهم كأنى لا زلت مجنونة .. وأرفض الزواج ..

من أجل ابنتى .. يجب أن أتزوج ..

ومن أجل عائلتى ..

وجاء فريد ..

العريس ..

فى التاسعة والثلاثين من عمره .. لعله فى الأربعين ، فقد تعود الرجال أن يختصروا العام الأخير قبل الأربعين .. أبيض .. مللظ .. شعره فاتح ، وقع عن مقدمة رأسه وتركها صلعاء .. وقد سبق له الزواج .. وعنده ولد .. ويعمل مديرا لأحدى الشركات .. ودخله يصل الى مائة جنيه فى الشهر ..

ولم تكن عائلتى تطمع فى رجل خير من هذا .. فأنا مطلقة .. ولدى بنت .. فى الخامسة والعشرين من عمرى .. وفقيرة .. ليس لى دخل خاص .. وسمعى زفت .. ولا أستحق أكثر من فريد .. أنهم لا يعلمون أن هناك شبانا كمحمد يذوبون فى حبى .. ولا يعلمون أن هاشم لا يزال مرتبطا بى .. بل لا يعلمون أن حسن أيضا — خطيبى السابق — لا يزال تحت أمرى .. ربما لم يكن واحد من هؤلاء الثلاثة يرضى بأن يتزوجنى .. ولكن كلا

منهم على الأقل كان مستعدا لأن يتزوجنى ، لو أم يعرفنى على حقيقتى .. أنا لست رخيصة كما يعتقدون ، حتى يفرحوا كل هذه الفرحة ، لأنهم وجدوا رجلا كفريد يتزوجنى ..

ولم يكن فريد — هو الآخر — يعلم شيئا عنى ، رغم أنه يقيم فى القاهرة .. لقد أثبتت القاهرة مرة ثانية أنها ليست مجتمعا واحدا ، وأن كل فتاة مهما فعلت ، تستطيع دائما أن تجد رجلا لا يعلم عما فعلته شيئا ..

واكتفى فريد بما يعرفه عن عائلتى العريقة ، التى تضم أسماء كبيرة .. واكتفى بما أحسه فى بيت خالتى من هدوء وطيبة واستقرار .. واعتقد أنى أنا أيضا لابد أن أكون هادئة ، طيبة ، مستقرة .. شريفة .. وأنبهر بى .. أنبهر بجمالى .. والرقعة المصطنعة التى أستطيع دائما أن أطبع بها حركاتى .. وتلطف على اعلان الخطبة .. بسرعة .. كأنه كان يخشى فى كل يوم أن أرفضه ، أو ترفضه عائلتى الكبيرة العريقة ..

وكل ما استطعته أيامها هو اقتناع خالتى بأن تؤجل اعلان الخطبة بعض الوقت ، حتى أستطيع أن أعرف فريد أكثر .. وقالت خالتى وهى تبتسم لى كأننا صديقتان :

— بس أنا خايفه الرجل يطير ..

قلت كأنى أتوسل إليها :

— بس انتى عارفة حالتى يا طنط .. أنا لسه تعبانه .. قالت :

— طيب يا مبتو .. فكرى على مهلك يا حبيبتى ..

قلت وأنا ابتسم :

— وما تخافيش انه يطير .. ده واقع لشوشته ..

وضحكت خالتى فى ثقة ..

وقضبت أياما كثيرة أفكر .. أياما خيل الى فيها انى لا أريد
الزواج اطلاقا ، لا من فريد ولا من غيره .. خيل الى ان طبيعتى
لا تطيق الزواج .. لا تطيق ان أتقيد برجل .. ربما لأن الرجل
الوحيد الذى احببته لم يقيدنى .. كان يكتفى منى بهذه المكالمات
التليفونية السريعة ، ولقاء ساعة أو ساعتين كل يومين أو ثلاثة
.. ثم يترك لى باقى أيامى حرة .. أفعل ما أشاء بحريتى ..
سواء تعذبت بها أو سعدت ..

وخيل الى فى تلك الأيام انى لا أستطيع الزواج حتى من أجل
ابنتى .. انى لا أستطيع ان أحتمل هذه التضحية من أجلها ..
التضحية بحريتى .. وحتى لو احتملتها ، فلا يمكن لأم تعييسة
أن تربي ابنة سعيدة .. ولو تزوجت وعرفت رجلا آخرين ،
فستنشأ ابنتى فى فساد .. ثم من أدرانى أن ابنتى ستعود الى
بعد أن أتزوج .. ربما صتم عبد السلام على الاحتفاظ بها ،
خصوصا أن زواجى سينقل اليه الحق فى حضانتها .

وتجسمت فى رأسى كل هذه الخيالات ، الى حد انى تصورت
لنفسى حياة جديدة .. حياة حرة .. بعيدا عن اهلى كلهم ..
بعيدا عن أمى ، وعن أبى ، وعن خالاتى ، وعن ابنتى .. لم لا ..
انى أستطيع ان أقيم فى بيت وحدى .. وهاشم ينفق على ..
ويتركنى حرة كعادته ، لالتقى بمحمد .. وغير محمد .. حياة
منطلقة الى آخرها .. أفعل ما أشاء .. لا يحاسبنى أحد ..
ولا أحسب حساب أحد ..

وحاولت أن أقيم فعلا هذه الحياة . وذهبت الى لقاء هاشم
.. فى شقة رؤوف أيضا ، حتى لا يراىنى محمد .. وقلت له :
— أنا حاتجوز يا هاشم ..
وقال فى برود :

— مبروك ..

قلت :

— خالتى جايبالى واحد ..

قال :

— كويس ..

قلت :

— بسر أنا مش عايزه أتجوزه ..

ورفع عينيه فى دهشة وقال :

— ليه ؟؟

قلت :

— لأنى لسه باحبك ..

قال :

— بس انتى لازم تتجوزى .. ما فيش حاجة ممكن تعدل
حياتك الا انك تتجوزى .. وأنا مش حاتجوز ..

قلت :

— يعنى كويس انى أتجوز ، وأفضل معاك ؟

قال :

— لا .. ما حدش قال كده .. أتجوزى وسيينى ..

قلت :

— طيب ايه رايك انى ما أتجوزش وما اسبيكش .. أعيش

لوحدى .. تأخذ لى شقة لوحدى وتبقى تجيلى فيها ..

قال فى دهشة كأنه لم يكن يعرف انى مجنونة الى هذا

للحد :

— ونسيين أهلك ؟

قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما نبقش مجنونة .. انتى مهما الناس قالت عنك ، انما لسه معروف انك بنت من عيله وقاعده مع اهلك .. يوم ما تسيبى اهلك حاتقى حاجه تانيه .. حاتضعى مستقبلك .. وحاتلاقى نفسك انتقلت لمجتمع تانى .. مجتمع البنات فيه لهم صورة تانيه .. ووضع تانى .. مش حاتلاقى بيت كويس يستقبلك .. مش حاتلاقى بنت كويسه تصاحبك .. وما تنسيش بنتك .. حرام عليكى تعملى فيها كده .. حرام عليكى تخليها تنكسف من امها .. انا مش باهرب من مسوليتك .. انما مش مستعد اتجنن معاكى ..

وهدم كلام هاشم كل ما بنينه فى خيالى ..

لم يبق الا أن أتزوج ..

ان أهلى لن يسكتوا عنى الا اذا تزوجت ..

وأعلنت خطبتى الى فريد ..

وعجلنا بكتب الكتاب ..

كتبنا الكتاب بعد الخطبة بثلاثة اسابيع ، فقد كانت خاتى تخشى أن يسمع فريد عنى كلام الناس ، فيعدل عن الزواج .. وكانت تقول لى انه ، لانى مطلقة ، فلا يجب أن تطول فترة الخطوبة .. ووافقت أنا لانى اعتقدت فى لحظة أن كتب الكتاب سيقيدنى أكثر .. سيقيدنى عن الاندفاع فى جنونى .. انه ليس كالخطبة ، لن أستطيع الفكك من كتب الكتاب بنفس السهولة التى فككت فيها من خطوبتى الى حسن ..

والهر أربعمائة جنيه .. فقط ..

المطلقات ثمنهن أرخص من البنات !!

وحتى ثمنى كمطلقة فى هبوط .. فقد كان المهر المتفق عليه
عندما خطبت الى حسن ، هو سبعمائة جنيه .. غير الخاتم ..

وبكى محمد فى صباح يوم كتب الكتاب ..

كنت يومها أكاد أجن .. كنت أحس أنى أبيع حياتى كلها .. وكنت فى حاجة لأن أقابل هاشم لعله يستطيع أن يعيد الى رأسى .. لعله يستطيع أن يقنعنى .. يعيننى على احتمال مصيبتى .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه .. رفض أن يقابلنى .. فقابلت محمد ، قبل أن أذهب الى الحلاق لأصفف شعرى .. استعدادا لحفلة كتب الكتاب ..

وبكى محمد ..

بكى بدموع صادقة ..

وحاول أن يقنعنى بأن أعدل عن الزواج .. قال لى انى لا زلت صغيرة ، وحرام أن أتزوج رجلا لا أحبه .. حرام أن أقبر حياتى .. ثم قال انه مستعد أن يتزوجنى ، لو انتظرت حتى تتزوج اخواته البنات ..

ولكن كان الوقت قد فات لكل هذا الكلام ..

لا أستطيع ان أراجع ..

وجاء المأذون ، وكتب العقد فى حفل عائلى صغير .. وفكرى شارد مع هاشم .. وأثار قبيلات محمد لا تزال فوق شفتى منذ الصباح ..

وصالحنى زوج أمى بعد أن تزوجت ..

وبدأت العائلات التى كانت تستقبلنى فى برود ، تستقبلنى انا وزوجى بترحاب .. وعدت كما كنت أيام كان قرانى معقودا على عبد السلام .. أخرج مع فريد كل ليلة .. ولكى لا أسمح

له بأن يلمسنى ، محتجة بأننا لم ننقل الى بيتنا بعد .. كل ما كنت
أسمح به هو أن يقلبنى على خدى ..

وكنت منذ أن تقدم الى أعماله بفطرسية ، وترفع .. كنت
أشعره دائما بأنى شيء كبير ، أرقى منه وأرفع .. وكان يطلق
على لقب « البرنسيصة » وأحيانا « الامبراطورة » .. من كثرة
ما أتعالى عليه .. ومن شدة محاسبتى له على كل هفوة من
هفواته ..

وبعد أن كتبت الكتاب أصبحت أتعالى عليه أكثر .. وأتسو
فى معاملته أكثر .. وتنقضى أيام كاملة لا أتحادث اليه خلالها
سوى (كلمات) مقطعة باردة .. ويأتى ليسهر عندنا ، فأجلس أمام
التلفزيون صامتة ، وهو جالس خلفى على الأريكة ، حتى ينتهى
البرنامج ، فأقوم وأدخل غرفتى وأتركه وحده .. وكان يشكو
لأهلى هذا التعالى .. ويرجو أسمى أن تتدخل لتقنعنى بأن أعماله
معاملة أرق .. أن أتنازل وأهبه بعض حنانى .. شيئاً منى ..
ولكنى كنت معذورة فى هذا التعالى .. كنت فعلا لا أطيعه ..
وكانت هفواته الصغيرة تبدو فى عيني كبيرة .. بشعة ..
والساعات التى أقضيها معه تكاد تخفنى .. وأصبحت أبكى
كلما خلوت الى نفسى .. أبكى من ثقل الحياة التى أقدم عليها مع
فريد .. أبكى حظى فى أن تنتهى حياتى مع رجل مثله .. نسيت
كل ما قاسيته فى حياتى الماضية .. نسيت عذابى مع هاشم ..
بل خيل الى أن عذابى مع هاشم أرحم بكثير من حياتى التى
أصورها مع فريد .. لماذا رميت نفسى هذه الرمية .. لماذا أبيع
كل عمري فى سبيل كلام الناس .. أو حتى فى سبيل بنتى ..
انى لا زلت شابة .. وجميلة .. وذكية .. أن أمامى حياة

واسعة .. حرة .. زاهية .. فلماذا أبيعها بحياة راكدة مظلمة
مع رجل مثل فريد ..

وحاولت أن أتلهى عن هذه الأفكار السوداء ..
كنت أحداث هاشم فى التلفزيون ، ويرفض مقابلتى ..
وكنت أذهب الى لقاء محمد كلما سنحت لى الفرصة ..
ولكن أفكارى السوداء لا تزال تلح على رأسى .. وأتصور
هاشم قد صبح يعيش حياة ليس لى فيها نصيب .. حياة مع
فتاة أخرى .. وأتصور محمد وقد زهق من هذه اللقاءات السريعة
التي يلقتنى فيها ، وبحث لنفسه عن فتاة أخرى .. وأتصور نفسى
زوجة تلتقى بعشيق فى السر .. فى الظلام .. وعلى عجل ..
تخطف الحب خطفا ..
— لا .. مستحيل ..

وبعد أسبوعين .. أسبوعين فقط .. من كتب كتابى كنت
أضع الخطة للتخلص من فريد ..
كنت أمهد للطلاق ..

وكانت أول خطوة أن أقنعت أمى وخالتى صبرية أن أعود
لأقيم مع أبى فى الشقة التى لا يزال أبى يحتفظ بها لى ، حتى أكون
تربية من البلد فى أيام الجهاز ..
وخافت أمى ..

واقنعت خالتى ، وهى سعيدة لأنها قامت بمهمتها
وزوجتنى ..

ثم كان يجب أن أضمن هاشم .. فاتصلت به ، وقلت له :

— عابك كده .. عابك ترمينى الرمية دى ؟ ..

وقال دهشا :

— أنا ريمتك !! انتى مش اتجوزتى ؟

قلت :

— ودى جوازه .. انا مش طايقاه .. مش قادره أستحمل
.. ولسه باحبك .. واذا ما كنتش حا اقبالك .. حاروح اقبال
غيرك ..

— اعقلى يا امينه .. ما تبقيش مجنونه ..

قلت :

— اعقل يعنى ايه .. يعنى اتجوز وأرافق على جوزى ..
هو ده العقل .. اذا كان كده يبقى الجنان احسن .. أشرف ..

قال :

— يا امينه انتى لسه ما نعرفيش اذا كنتى حاتستحملى
ولا ما تستحمليش .. حاولى .. على الأقل حاولى .. اتجوزى
سنه ولا سنتين ، وبعدين اذا ما قدرتيش ابقى اطلقى .. كل
الناس يتعمل كده ..

قلت :

— انا أشرف من الناس .. لأنى مش عايزه اضحك على راجل
عارفه ومتأكده انى مش حا اقدر انى أعيش معاه .. وانى اذا
عشت معاه حا اخونه ..

قال :

— طيب وكنتى اتجوزتیه ليه ..

قلت :

— أهلى ضغطوا على .. وكنت فاكراه انى حا اقدر اتجوز ..

قال :

— حرام عليكى يا امينه .. الرجاله مش تحت أمرك ..
تتجوزيهم ونسيبيهم زى ما انتى عايزه .. دى مش أول مرة
تعملها .. الرجاله ده ذنبه ايه ..

قلت :

— وأنا ذنبى ايه .. نا باعمل ده كله علشان خاطرک يا هاشم
.. انا باحبك .. مش قادره أستغنى عنك ..

وينس هاشم من افتناعى ..

وتركنى وهو مقتنع بأنى سأترك زوجى من أجله ..

وفى الوقت نفسه ذهبت الى لقاء محمد .. وقلت له وانا
ابكى :

— أنا حاسيب جوزى يا محمد ..

وقال فى سذاجة :

— ليه ؟

قلت :

— لأنى باحبك .. ما اقدرش أستغنى عنك .. وما اقدرش
اتجوز واحد واخونه معاك .. ما اقدرش .. ما اقدرش
أبدا ..

وفرح محمد ..

وشجعنى على الطلاق ، وهو مقتنع بأنى أشرف سيده فى
مصر .. سيده ترفض أن تتزوج رجلا تخونه .. سيده تضحى
بزوجه فى سبيل أن تبقى لرجل واحد تحبه .. حتى بلا زواج ..
وهكذا ..

أصبح لى رجلان ، كل منهما يعتقد انى سأترك زوجى من
أجله .. رجلان يستطيعان أن يضمنا لى حياتى ..

ولكن .. هل أنا قوية الى هذا الحد .. قوية الى حد أن
أطلق بعد أسبوعين من الزواج ، ثم أواجه الدنيا كلها وحدى ..
ومرت على لحظات كنت أضعف فيها .. كنت أخاف .. أخاف
من أهلى ومن الناس .. وأخاف من مواجهة الحياة وحدى ..

ثم أعود وأسترد ثقتى بنفسى .. انى لست وحيدة .. ان معى
هاشم ومحمد .. و ..
وتغلب جنوبى ..

بدأت حملة الطلاق .. وكنت أعرف أن أحدا من عائلتى لن
يقف فى جانبى .. كان يجب أن أعتد على نفسى .. أعتد على
أن أثير فريد الى أن يطلقنى .. وبدأت أخلق الأزمت .. خلقت
أزمة كبيرة لأنه وهو يتحدث عن تأييد بيتنا الجديد لم يفكر فى
تخصيص حجرة لابنتى فى الوقت الذى فكر فى تخصيص حجرة
لابنه .. وخلقت أزمة لأنه لم حاول الاتصال بعد السلام لاستعادة
ابنتى .. وخلقت أزمة لأنه يغالى فى طلبات الجهاز .
وصرخت فيه :

— انت مغشوش فى .. انت اتجوزتنى على طمع .. فاكرنى
غنيه .. أحب قولك ان ما حلتيش ، ولا حيلة أبويا ، ولا مليم ..
والمسكين يحاول أن يصد كل هذه الأزمت .. ويوسط العائلة
كلها فى كل أزمة .. وأخيرا قلت له فى هدوء ، وكنا وحدنا
جالسين أمام التلفزيون :
— اسمع يا فريد .. احنا نطلق .. أحسن لك ..
وأحسن لى ..

وقال والذعر فى عينيه :
— نطلى .. نطلى ازاي .. ده احنا لسه ما تجوزناش .

قلت :

— أنا ما بحبكش يا فريد .. وما اعتقدش انى حا احبك ..
قال :

— مش ممكن تحببى دلوقتى .. ادينى فرصة لغاية ما خليكى
تحببى ..

قلت :

— أنا عارفه نفسى .. مش ممكن حا احبك .. وانت
ما ترضاش انى أتجوزك واخونك مع واحد تانى ..
وجن مريد ..

وارتفعت الأزمة الى ذروتها .. وطافت السنة النار بكل بيت
من بيوت العائلة .. ووقفت فى وجه الجميع مصممة على الطلاق ،
حتى لو تخلوا عنى كلهم ..

وبدا فريد يبحث ورائى .. وبسرعة اكتشف حكايتى مع هاشم
.. وعرف أسباب فسخ خطبتى الى حسن .. بل اكتشف أيضا
علاقتى بمحمد .. بكثيرين ممن عرفتهم .. وصرخ فى وجه أمى
وأمام زوجها ، وأمام خالاتى كلهم :

— ده مش الدكتور هاشم بس .. دول كثير ..
وطلقنى ..

ولكنه لم يكن نبيل كحسن .. لقد استعاد المهر كله ، رغم
انى كنت أستطيع أن أدعى عليه أنه دخل على ، وأن الخلو
الشرعية قد وقعت بيننا .. واستعاد هداياه كلها واحدة واحدة ..
وطالبنى بأن أدفع ثمن علبة الملابس السيفر التى أهداها لى فى
كتب الكتاب .. بل رفض أن يستعيد الدبلة وطالب بئنها ..
وذهب الى أكثر من هذا .. طلب أن أدفع له نفقات السهرات التى
سهرتها معه .. ثمن تذاكر السينما .. والعشاء فى المحلات
العامة ..

ودفعت ..

دفعت من نقود هاشم ..

وطردنى أهلى كلهم ..

لم أر خالتى صبرية من يومها ..

— أنا اتعرفت بواحد اسمه محمد .. ابن المرحوم مهران
باشا .. تعرفه !

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وقال فى اختصار :
— لا ..
قلت :

— ده جدع مؤدب قوى ..
وقال وهو ينظر فى عينى وابتسامه ساخرة بين شفتيه كأنه
يعرفنى أكثر مما أعرف نفسى :
— وعرفتيه فين ؟
قلت :

— فى مصر الجديدة .. فى النادي .. ما تتصورش اد ايه
الجدع ده مهذب ومؤدب ..
وقال وهو زهق :
— كل واحد بيعرف واحده بيبقى مؤدب ومهذب .. فى
الأول ..

وقلب شفتيه وسكت ..
وقلت وأنا أضع رأسى فوق كتفه :
— انت زعلت .. ده صغير .. لسه ما كملش سبعة وعشرين
سنه ..

وضحك هاشم ضحكة كبيرة ، وقال :
— فكرتيني بميمى شكيب .. قالت نفس الجمله فى روايه
من روايات الريحانى .. كانت بتقولها نكته علشان الناس
تضحك ..

وقلت :
— يعنى مش مصدق انى ما فيش بينى وبينه حاجه ..

ولم أشعر بالندم ..
أبدا ..
لقد أصبحت حرة ..
حرة حتى فى ابنتى ..

ولى رجلان .. هاشم .. ومحمد .. اذا تركنى أحدهما يبقى
لى الآخر .. وكلاهما غنى ، اذا لم يتزوجنى ، فانه يستطيع أن
ينفق على ..

انى مطمئنة ..
مطمئنة على مستقبلى .. سواء بنيته على الحلال ، أم على
الحرام ..

وسددت أذنى عن الضجة الكبيرة التى ثارت حولى عقب
طلاقى .. وقد احتمل هاشم معى كل هذه الضجة .. فقد عاد
الناس يرددون انى تركت زوجى الأتزوجه .. وربما لم يحتمل
هاشم هذه الضجة .. ولكنه لم يأبه بها .. غروره .. وصلفه ،
وانشغاله بمرضاه ، سد أذنيه عن سماعها .. تماما كما سد
أذنيه عن الضجة التى ثارت بعد أن فسخت خطبتي بحسن ..
أين حسن ؟

انه لا يزال فى حياتى .. يتصل بى فى التليفون ، ويسأل
عنى .. ويتذكر عيد ميلادى ليهنئنى به .. انه لا يزال نبىلا ..
ولكنى لا ألتاه .. لم أعد فى حاجة اليه .. وحياتى كلها موزعة
بين هاشم ومحمد .. لا يستطيع أحدهما أن يفنئنى عن الآخر ..
هاشم يذيينى فى شخصيته القوية ، ومحمد يملؤنى غرورا بشبابه ،
واندفاعه فى حبنى ..

وقد قلت لهاشم عن محمد .. قلت له ربع الحقيقة كعادتى
.. ولا أدرى لماذا اندفعت لأقول له :

ونظر الى كأنه يشفق على ، وقال :

— لا .. مصدقك !

انه مغرور .. انى أجن من غروره .. وقد كنت أتمنى
ساعتها الا يصدقنى .. أن يحقق معى .. أن يثور .. أن يضربنى
.. ولكنه لم يفعل .. المغرور البارد ..

وقد كان برود هاشم بتزايد يوما بعد يوم .. كان يبدو كأنه
ينس منى .. وكأنت نظيره توحى اى بأنه يعرف عنى أكثر مما
أقول له .. واصبحنا لا نلتقى الا لياخذنى .. بسرعة .. واهمال
.. كأنه فقط يؤدى واجبا تعود عليه .. كأنه يغسل أسفانه ..
فاذا بقى له وقت بعد ذلك لا نجد شيئا نقوله الا أن يفتحنى
بأن انتبه الى مستقبلى .. فأثور .. وأتهمه بأنه هو الذى ضيع
مستقبلى .. فيتركنى وينصرف عنى فى سأم .. والملل يكسو
وجهه ..

وفى هذه الايام .. نفس الايام التى حدثته فيها عن محمد
.. بدأ هاشم يحدثنى عن نجوى .. انى لم أر نجوى الى اليوم
.. ولكنى رأيتها بعد ذلك فى عيني هاشم .. وقد ذهبت اليه
يوما ، فوجدته جالسا فى الشقة ، مقطب الجبين ، حزين العينين
.. واستقبلنى ساهما كأنه لا يرانى .. ومرة فترة طويلة
لا يحدثنى خلالها ، ولا يقربنى .. فقلت له وأنا انظر اليه أحاول
أن أكتشف سره :

— مالك ؟

قال :

— ولا حاجة .. متضايق شويه ..

ومرت فترة صمت أخرى .. ثم انطلق فجأة قائلا :

— تصورى .. بنت عندها تستعاضر منته .. جميله ..

حلوه .. زى الورد .. يجيلها روماتيزم فى القلب .. ليه ..
ليه .. حاجة تجنن .. الروماتيزم ما يجيش فى قلبى انا ليه ..
أنا كبرت وعشت .. انما دى .. تستعاضر سنه .. قلبها لسه
ما تمتعش .. يجيلها روماتيزم ليه ..

وكنت أعرف أن هاشم يتعذب مع مرضاه .. ولكن ليس الى
هذا الحد .. انى لم أره أبدا حزينا .. عطوفا .. الى هذا الحد
.. وأحسست به كأن التى يتحدث عنها أكثر من مريضة بالنسبة
له .. أحسست بأنه يتكلم عن مخلوقة تعيش فى قلبه ، وفى
عقله ..

وانطلقت الغيرة فى صدرى .. وقلت فى حدة وسخط :
— ومالك زعلان قوى كده .. ما فيه مليون واحده عندها
روماتيزم فى القلب .

وقال وعيناه هائمتان :

— بس مش نجوى .. دى رقيقه .. جميله .. لو تشوفى
أبوها وأمها عاملين ايه .. الاتنين عواجيز .. ومالهمش غيرها
.. أبوها عنيه راحت من كتر بكاه عليها ..

وقلت وزوبعة من الحقد تقتلعنى :

— أنشالله تموت ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينه ، وقال فى صوت بارد كحد
سكين :

— انتى مش انسانه .. انتى ما عندكيش قلب ..

ثم سكت .. كأنه يضمن بأن يتحدث عن مريضته أمام مخلوقة
مثلى ..

وسكت أنا ايضا مدعية اللامبالاة .. والغيرة لا تزال تأكل
فى صدرى ..

وقد بدأت أغار على هاشم أكثر منذ أن عرفت محمد ..
كانت مغامراتي مع محمد ، تجعلني أخاف من أن أفقد هاشم
.. وكان تزايد برود هاشم ، يجعلني أخاف أكثر .. فأنطلق
وراءه لأتأكد في كل لحظة أين هو .. وماذا يفعل .. وأذهب
إلى شقته كلما غاب عني لأبحث عنه .. وكان يغضب مني
كثيرا لمضايقتي له ، ويلقى في وجهي بسماعة التليفون ، ثم
يرفعها حتى لا أستطيع أن أتصل به .. فكنت أجن .. كان يخيل
إلى أنني لو تركته يوما واحدا غاضبا مني ، فسأفقدته إلى الأبد ..
فكنت أجرى إلى العيادة .. وكنت أعلم أنني لو صعدت فلن
يسمح لي التورجى بمقابلته ، فكنت أفتح سيارته الواقفة عند
الباب ، وأجلس فيها ، أنتظره .. أنتظر ساعتين .. ثلاثا ..
إلى أن ينزل .. يراني .. فيشهق .. ويتلفت حوله كأنه يخشى
الفضيحة .. ثم يصحبني إلى البيت .. ويصالحني .. فقط
ليتجنب أن أسبب له فضيحة أخرى .. لقد أصبحت أبتز هاشم
بالتهديد .. أبتز قواه ، ونقوده بالتهديد .. أصبحت مجرمة ..

وكنت أغار على محمد أيضا ..

ولكن غيرتي على محمد كانت نوعا من القلق .. فأبى أعلم
أنه لم يكن في حياته نساء أجمل مني .. ثم إنى لا زلت جديدة
في حياته ، فلا يمكن أن أخشى مله .. وشخصيتي وذكائي أقوى
من شخصيته وذكائه .. ثم انه يعرف علاقتي بهاشم .. لقد
اعترفت له .. لم أكن أستطيع أن أدير حياتي بينه وبين هاشم ،
إلا إذا اعترفت له .. اعترفت له بكل شيء .. قلت له إن هاشم
هو الذي ينفق على . وينفق على منذ ست سنوات .. لأن أبى
يضيع أمواله على الزوجات والكونيك .. وقد رويت له كل ذلك
في صورة مأساة .. ودموعى تجرى على خدي .. كائى ضحية

.. ضحية أنانية أب .. وضحية رجل أحببته يوما ..
هاشم .. كل ما أضفته من عندي هو أن هاشم قد تزوجني زواجا
عرفيا .. وكنت مضطرة إلى هذا الزواج لأنى فى حاجة اليه
كى ينفق على ..

واحترار يومها محمد وقال والشك ملء عيونه :

— أمال سبتى فريد ليه ؟

قلت وأنا لا زلت أبكى :

— لأن فريد كان حايعيش معايا .. ما كنتش حا أقدر أقابلك
أنا هاشم مش عايش معايا .. سايبني حره .. أقدر أقابلك
زى ما أنا عايزه ..

قال :

— بس أنا مستعد أصرف عليكى ..

وقلت :

— أنا ما أقبلش يا محمد .. انت الحب الوحيد فى حياتى ..
أنا كان متهيلى إنى باحب هاشم .. إنما بعد ما قابلتك عرفت
أنى كنت راهبه .. ومش عايزه أخليك تتحمل مسئوليتى ..
مسئولية ظروفى الوحشة .. عايزه أحبك زى أى بنت بتحب
حببها من غير ما يصرف عليها .. ده حقى .. حقى إنى أكون
زى أى بنت تانيه .. علشان كده رضيت إن هاشم يرجع يصرف
على بعد ما سبت فريد .. ورضيت إنى أتجوزه جواز عرفى ..
وما عارفه ..

وتأثر محمد بقصتى ..

اعتبرنى ضحية ..

ضحية أبى .. وهاشم ..

وقال وصوته ينبض باللوعة :

— مينو .. أنا مستعد أنفذك من حياتك .. أنفذك من أبوكى
ومن هاشم المجرم .. مستعد أتجوزك بعد ما ..
وقاطعته :

— لا .. يا محمد .. ما تجيبش سيرة الجواز ..

وربما ارتاح محمد لأنى أعففته من سيرة الزواج .. وارتاح
أكثر لأنى أعففته من مسئولية الانفاق على .. وأرضى غروره أن
أكون له ، وأنا لرجل آخر ..

ولم أكن حتى هذه الأيام قد أحببت محمد .. ربما لم احبه أبدا
حبا يفنينى عن هاشم .. ولكنى اندفعت معه .. واهمال هاشم
لى جعلنى أندفع معه أكثر .. أصبحت أستهين بهاشم .. وأزداد
جراً فى الاستهانة به .. بل وأتلذذ من الاستهانة به .. أحس
كأنى أذله .. كأنى أحطم غروره .. كأنى أنتقم منه .. وبلغ
من استهانتى بهاشم انى كنت أذهب الى لقائه فى شققته فى
الساعة الرابعة بعد مواعيد العيادة ، وأعطية نفسى ، ثم أتركه
فى الخامسة والنصف ليذهب الى العيادة .. كنت أنزل معه من
الشقة .. وأتركه يركب سيارته ، لأنه كان لا يحب أن يرانى أحد
معه فى النهار .. ثم أسير على قدمى أمام عينيه ، وبعد ثلاث
دقائق .. مائة وخمسين خطوه بالضبط .. أصعد انى شقة
محمد .. وأعطية نفسى أيضا .. ثم أتركه فى الساعة التاسعة ،
وأذهب الى البيت لأتصل بهاشم بالتليفون ، **واقسم له انى فى**
البيت منذ أن تركته ..

وأصبحت هذه حياتى ..

هل كنت سعيدة ..

أبدا ..

انى أتعذب .. أتعذب بقلق يمنص دمانى .. وجهى يزداد

اصفرارا .. فأنى أصعبت بعمرطان الدم .. وأفقد احساسى
بجسدى يوماً بعد يوم .. أحس به يموت بين ذراعى هاشم ..
ويموت بين ذراعى محمد .. وأفتعل .. وأفتعل النشوة .. أفتعل
أنفاسى .. وأفتعل صرخاتى .. أفتعل وأمثل حتى لا يحس
أحدهما بأنه يأخذ جسدا يموت .. وأعصانى أيضا تموت ..
أصبحت فى حاجة الى عنف أكثر حتى أوقظها .. أو حتى أنسى
نفسى .. أنسى الحضيض الذى أعيش فيه .. فى حاجة لأن
أضرب بعنف .. ولأن أتالم حتى الصراخ .. حتى أنسى .. وحتى
لا تذبل حواسى .. وحتى لا يموت جسدى ..

وأنا .. منساقاة ..

منساقاة فى التثبيت بهاشم ..

ومنساقاة فى الإندفاع مع محمد ..

وجدت شىء آخر ..

لقد استطاعت أمى .. وكنت قد عدت أقابلها سرا .. أن
توسط بعض أصدقاء زوجى السابق عبد السلام حتى يسمح لى
برؤية ابنتى .. كانت المسكينة تعتقد أن كل ما حدث لى ، وكل
الجنون الذى أعيش فيه ، سببه أن ابنتى أخذت منى ..

ورضى عبد السلام أن يجعلنى أرى ابنتى .. بشرط أن أراها
فى بيته بالمويس .. وذهبت اليه أول مرة مع صديقه وزوجته
.. ودخلت بيته كأنى أدخل قطعة من ذكرياتى .. ذكريات كنت
لا زلت خلالها فتاة منتشية بعمرها .. منتشية بجمالها .. منتشية
بحبها ..

ولم تستقبلنى أمه .. تركونى مع الصديق وزوجته أكثر من
نصف ساعة ، ثم جاء عبد السلام يشد فى يده ابنتى .. وما كدت

أراها حتى سقطت أمامها على ركبتي احتضنها الى صدرى ..
وأنا أصبح من خلال دموعى :

— هدى .. بنتى .. حبيبتي .. وحشتيني ..

وأحسست وأنا أضمه الى صدرى ، كأنه لا يزال فى حياتى
شئ نظيف يمكن أن أضمه الى صدرى ..

ولكن هدى تنظر الى بعينين باردتين .
كأنها لا تعرفنى ..

والتفت الى عبد السلام وصرخت فيه :

— انت قلت لها ايه عنى .. قلت لها ايه .. البنت زى

ما تكون مش عارفانى ..

وتدخل الصديق وزوجته ليهدئانى .. ورضيت بنصيبي الفاتر
من حب ابنتى ومنيت لحظتها لو استطعت أن أهود أما صالحة ..

تمنيت لو بعث كل ما فى حياتى .. لاستعيد ابنتى .. استعيد
حبها على الأقل .. واقسمت بينى وبين نفسى أن أحاول .. يجب
أن أحاول ..

وقال لى عبد السلام وهو يودعنى بعد أن اتفقنا على أن
يسمح لى بأن أرى ابنتى كل أسبوع ، فى السويس ..

— عايله ايه دلوقتى يا ميتو ..

قلت :

— كويسه ..

قال فى هدوء ووقار :

— ما كانش لك حق تسيبى فريد .. ده راجل كويس ..

واعرفه ..

قلت :

— طبعا كان يهيك انى اتجوز علشان ما اطالبكش بالبنت ..

قال :

— أبدا والله .. أنا يهمنى انك تبقى كويسه .. حتى
لو ما أخذتيش البنت .. دى بنتك وانتى أمها ..

قلت :

— أنا كويسه .. أحسن من أى أم فى الدنيا كلها ..

ونظر الى عبد السلام فى اشفاق، وهز رأسه كأنه يعلم كل
شئ عنى ..

ومضى يومان حاولت فيهما أن أتوب .. أتوب عن هاشم
وعن محمد .. ولكنى لم احتل أكثر من يومين .. انى وحيدة فى

بيتى مع الخادمة .. وأبى لا أراه الا ساعة أو نصف ساعة عندما
يعود فى المساء ، وقبل أن يصعد الى الشقة الأخرى التى تقيم

فيها زوجته .. وكل ما يملأ حياتى فى البيت بعد ذلك هو مشاجراتى
مع زوجة أبى .. مشاجرات حول أشياء تافهة .. حول طبق

أخذته منى أو أخذته منها .. حول خادمتها وخادمتى .. حول
قطعة من اللحم فقدت من ثلاجتها أو ثلاجتى .. حياة لا تساعدنى

على أن أحمل .. حتى ولو من أجل ابنتى ..

وعدت ..

عدت الى الاثنين ..

وفى الأسبوع التالى ذهبت لأرى ابنتى فى السويس ..

ولم أكن أستطيع أن أذهب فى القطار أو فى الأتوبيس .. فطلبت
من هاشم أن يأخذنى فى سيارته .. وكان اليوم يوم الجمعة ،

يوم عطلته .. ولكنه رفض .. ومنيتة بكل ما أستطيع أن أعطيه
له .. منيتة بأن تذهب بعد ذلك الى العين السخنة .. ومنيتة

بأن نقضى يوما هائلا يريحه من عمله الكثير .. ولكنه رفض ..
واضطررت أن ألجأ الى محمد .. وفرح محمد .. ولا أدري لماذا

لم الجأ الى محمد من أول الأمر .. ربما لأنى لا زلت اعتبر نفسى ملكا لهاشم .. لا زلت أعتبره رجلى ..

وقطعنا الطريق أنا ومحمد ، ونحن نضجع خططا صبيانية لخطف ابنتى من عبد السلام .. ثم نزلت من السيارة عند مدخل السويس حتى لا يرانى عبد السلام معه .. واتفقت مع محمد أن ينتظرنى فى نفس المكان بعد ساعتين .. ثم ركبت سيارة تاكسى وذهبت الى بيت عبد السلام .. ورايت ابنتى .. جلست معها ثلاث ساعات .. أريعا .. لم أكن أستطيع أن أتركها .. وقد بدأ برودها يذوب .. وبدأت تعطينى حبها وحنانها ..

وعدت فى سيارة أجرة ، لأجد محمد فى انتظارى .. وقد استبدبى الزهق .. وقررت أن أكافئه .. فلم أعد الى بيتى .. عدت الى شقته وبث معه حتى الصباح ..

ربما كانت أول مرة يبيت فيها محمد مع امرأة حتى الصباح .. فقد ذعرت أمه .. خافت عليه .. وبدأت من يومها تناصبنى العدا .. وكنت قد عرفت أخوات محمد البنات من خلال التليفون كما عرفت أخت هاشم .. بل عرفت أمه أيضا .. كل الأخوات لهن أسلوب واحد وطابع واحد فى التحدث الى صديقات اخوتهن .. الرقة المفتعلة .. والفهم المتبادل .. والضحكات الخبيثة .. وكل الأمهات أيضا .. ولكن منذ بدأ محمد يبيت معى ، تغيرت معاملة الأم أولا .. ثم تغيرت معاملة الشقيقات ..

وقد أصبحت أبيت مع محمد كل أسبوع كلما فهينا الى السويس ..

وأشعر بالشماتة فى هاشم وأنا أفضى الليل مع محمد .. ربما لم تكن شماتة .. ولكنها كانت حسرة لأن هاشم لم يقض الليل معى أبدا فى القاهرة .. وفى كل مرة .. ابتكر كذبة لهاشم

.. كنت نائمة عند بنت عمى .. كنت نائمة عند خالتي .. ولم أتأكد بعد اذا كان هاشم يصدق كذباتى أو لا يصدق .. ولكنى كنت أتلذذ من الكذب عليه .. كان يخيل الى أن كل كذبة هى انتصار عليه ..

ثم حدث أن أمى اقنعت عبد السلام بأن يرسل لها ابنتى لتقيم معها شهرا فى الاسكندرية أثناء الصيف ، ورضى عبد السلام بعد أن تعهد له زوج أمى بأن تكون ابنتى فى رعايته ..

وأصبحت أسافر مع محمد الى الاسكندرية كل أسبوع لأرى ابنتى هناك .. كانت أمى تأخذ ابنتى فى كابين احدى صديقاتها وأذهب لرؤيتها .. ثم أفضى الليل مع محمد فى شقة عائلته التى لم تكن تصيف فى هذا العام .. ومن بيت عائلة محمد كنت أتصل بهاشم فى القاهرة بالتليفون .. ومحمد واقف بجانبى .. مقتنعا أن هاشم زوجى .. زوجى العرفى .. وكنت أقول لهاشم انى أبيت فى بيت خالتي .. وانه يستطيع أن يتصل بى فى التليفون اذا أراد .. ثم أعطيه نمرة تليفون محمد .. ويقول هاشم فى برود :

— حاضر ..

والح عليه :

— بعد ما تخلص العيادة كلمنى يا هاشم .. ضرورى ..

ويرد هاشم :

— باذن الله ..

وكنت أنتظر بجانب التليفون وأنا فى أحضان محمد .. كنت أريد من هاشم أن يحدثنى ، حتى يزاد محمد اقتناعا بأننا متزوجان .. وحتى أرضى غروره .. غرور محمد .. وهو يحس أنه فى

أحضان زوجة رجل مشهور مثل هاشم .. ثم لأحس بأنى أذل هاشم ..

ولكن هاشم لم يكن يتحدث ..

أبدا لم يتحدث ..

كانه كان يعرف أين أنا ..

بل أنه لم يكن يسألنى شيئا بعد أن أعود من الاسكندرية أو من السويس .

ومع مرور الأيام .. لم أعد أسافر لأرى ابنتى .. لم تعد ابنتى هى السبب الأول لسفري .. أصبحت رؤيتى لها معادة مكررة لا أتحمس لها ، كأنها تقيم معى .. واختفت من راسى كل الخطط التى كنت أضعها لخطفها ، واستعادتها .. لقد حاولت فعلا أن أنفذ بعض هذه الخطط ، ولكنى فشلت أنا ومحمد .. انها أصبحت أسافر لأبقى مع محمد .. ولأحس انى بعيدة عن هاشم .. مستقلة عنه .. ولو يوما أو يومين وأعصابى تزداد تلفا ..

واحساسى الجسدى يذبل ..

ولازلت فى حاجة الى مزيد من العنف ..

وتفاصيل كثيرة لا يمكن أن تتعرض لها النساء المحترمات .. تفاصيل تؤثر حتى فى كيانى الداخلى .. اننى امرأة أخرى .. اننى قريبة جدا من نساء الرصيف .. ان نساء الرصيف نساء أيضا ! ..

وكانت تمر على أيام تتجسم فيها الحالة التى وصلت اليها الى حد أن أفكر فى الانتحار .. وابكى كأنى أشيع جثتى .. كأنى فى جنازة عمري .. وأتمنى على الله أن ينقذنى .. ينقذنى من نفسى .. من جنونى .. ولم يكن أحد يستطيع انقاذى

الا هاشم .. لو انه اهتم بى أكثر .. لو انه شعر بالفيرة على .. لو انه عبر لى عن شكوكه التى تبدو فى عينيه .. لو أنه هددنى .. لو أنه طمأننى الى حبه .. فربما استطاع أن ينقذنى .. واستطعت أن انقذ نفسى .. بل انى فكرت فى أن أعترف له بأن هناك رجلا آخر يأخذ جسدى .. رجلا أقضى فى أحضانه ليالى كاملة .. فربما بعد أن أعترف له يثور .. أو على الأقل يفتح لى بابا جديدا أستطيع أن أفر منه .. أفر من حالتى .. ولكنى لم أعترف له .. خفت خفت أن أفقده .. وهو يزداد برودا واهمالا .. واحس به يبتعد عنى بقلبه وعقله .. واحس أن هناك فى حياته فتاة أخرى .. لعلها مريضته نجوى .. انه يرفض أن يتحدث عن نجوى الا فى كلمات متناثرة .. ولكنى أراها فى عينيه .. فى شروده .. وكل ما عرفته عنها انها تسكن فى شارع الهرم .. وكان هاشم أحيانا يلقي الى بكلمات مبتورة يعبر بها عن شكوكه .. فاجأتى مرة قائلا :

— عامله ايه مع محمد ..

وفوجئت فعلا .. وكاد لسانى يسبقنى .. ولكنى استطعت أن أسيطر على ذكائى بسرعة ، وقلت وأنا لا انظر الى عينيه :

— محمد مين ؟

واتسعت ابتسامته وقال كأنه يستخف بى :

— ما تعرفيش واحد اسمه محمد ..

قلت :

— أعرف عشره اسمهم محمد .. قصدك مين فيهم ؟

قال وهو يهز كتفيه :

— ولا واحد من العشرة .. اتصد محمد الحداشر ..

قلت وقلبي يدق :

حبنا بيطلع فى الروح .. حبنا حالة سرطان .. ما فيش فايده منه ..

وسقطت دموى .. دموى صادقة ، تحمل كل همى ..
وقلت ؟

— انا لسه باحبك يا هاشم .. باحبك زى الاول واكثر ..

وقال وهو يزفر أنفاسه :

— طيب ..

وتركنى ..

لم يحاول أن يفتننى من نفسى ..

لم يحاول أن يتتبع حياتى ، او يتدخل فيها ليحد من حريتى ..
حريتى التى تقتلنى ..

وأعصابى تزداد تلفا ..

وأحس بها تختنق كلما رقدت فى فراش هاشم ، أو فى فراش محمد .. أحس كأنى أريد أن أخلع جلدى .. كأنى فى حاجة الى سكين الاسلخ جلدى عن جسدى لعلى أستطيع بعد ذلك أن أنطلق .. كأن جلدى سجن يخنق جسدى ويشير فيه كل هذا الاحساس بالاختناق .. فأحاول أن أهرب من جلدى .. أن أخلع جلدى ..

هل هذا تعبير متبالغ فيه .. أبدا .. لقد كنت أحاول فعلا أن أخلع جلدى ..

حدث هذا فى احدى المرات القليلة التى دعانى فيها هاشم للسفر معه لقضاء نهاية الأسبوع .. كان أيامها يشعر بصراع دائم نتيجة عمله الكثير ، فقرر أن يأخذنى أنا والصداع ، ويسافر الى منطقة المعلمين التى تقع فى الطريق الى مرسى مطروح ..

— ما تجننيتش .. اتكلم بصراحه ..

— مهما اتكلمت بصراحة حانتكرى .. حانتلنى بينك .. وحانتلنى بالقرآن .. أنا عارفك .. انما كل ده مش مهم .. المهم انك غبية .. لأنك مش قادره تحسى أنك حره ، مش قادره تعرفنى انى ما ليش حق عليكى .. أنا مش جوزك علشان تتعبي نفسك وتكذبى على .. وانتى تقدرى تعرفنى واحد تانى ببساطة .. ونبقى أنا وانتى أصدقاء .. ويمكن لما نبقى أصدقاء نبقى أحسن من كده ..

قلت وأنا أضع عينى فى عينيه :

— أنا ما باكذبش عليك .. ويوم ما حاعرف واحد حاقولك ..

قال وكأنه لم يسمعنى ورنه غيظ فى صوته :

— وأحب أقول لك كمان ان من السهل على أى واحد انها تعرف اثنين وثلاثة .. انما الصعب انها تعرف واحد بس ..
الخيانه سهله .. والاخلاص صعب ..

وصرخت :

— أنا مش فاهمك .. كلمنى بصراحه .. تصدك ايه ..

قال فى برود :

— مش ممكن تفهمينى .. لأنك غبية ..

قلت ؟

— أنا غبية لأنى باحبك ..

قال فى قرف :

— اذا كنت فاكهه اننا كنا بنحب بعض .. فأحب اتوكل ان

وقلت لمحمد انى مسافرة مع هاشم .. لم أكن فى حاجة
الى ان أكذب عليه ، فهو مقتنع تماما بانى متزوجة هاشم ..
عرفيا ..

وفى العلمين فندق صغير مكون من اربع غرف فقط .. هادىء
.. أنيق .. يطل على طريق مرسى مطروح .. وتمتد امامه
مقابر الحلفاء .. ويفصله عن البحر أرض ملحة واسعة ، تبرق
فيها حبات الملح ، فتبدو كأنها أرض مزروعة بالنجوم .. بحبات
الماس .. وبنات العربان فى ثيابهن الزاهية ، وابتساماتهن
الحلوة الساذجة يطفن حول الفندق .. ولون مياه البحر زرقاء
صافية لا تراها فى أى مكان آخر من البحر .. أنها دنيا مسحورة
.. أحسست كأنى انتقلت الى أسطورة ..

وقيد هاشم اسمه فى سجل الفندق كعادته « هاشم محمد
عبد اللطيف وحرمة » .. رفع لقب دكتور .. وأضاف اسم
« محمد » .. وأنا .. حرمة .. ثم سعدنا الى غرفتنا ، وخلصنا
ثيابنا وارتدى كل منا « المايوه » .. ارتديت المايوه المخطط بخطوط
زرقاء ، الذى اشتراه لى هاشم فى احدى رحلاته .. ثم خرجنا
نسير فوق الأرض الملحة .. فوق النجوم .. فوق حبات
الماس .. الى أن وصلنا الى البحر .. لا أحد معنا .. أنا وهو
وحدنا فى الدنيا كلها .. وهاشم هادىء .. سرحان .. صامت
.. ربما كان يفكر فى مرضاه أو فى مريضة معينة بالذات .. وأنا
سعيدة .. هائمة فى كل ما حولى .. والهواء يخبط فوق جسدى
الذى يكشف عنه المايوه .. ويربت عليه .. فى رفق .. وحلاوة
.. كأنه يد عاشق رقيق .. وانظر الى هاشم .. انفه الكبير ..
وعيناه المنتفختان .. وصدره العارى القوى .. وجسده المتسق
.. وأحس انى أريد أن ادخل فيه .. أريد أن أعيش فى داخله

.. أحس انى احبه .. احبه .. وأحس انى أريده .. أريده ..
ولكنى نجاة تذكرت محمد .. أحسست ببصمات محمد فوق
جلدى .. أحسست انى لن أستطيع أبدا أن أعطى لهاشم
جسدا نظيفا .. وانى لن أستطيع أبدا أن أتمتع به الا اذا غيرت
جلدى ، ولبست جلدا نظيفا .. نفس الاحساس الذى أحس به
عندما أشعر بحاجتى الى أن أستحم لأزيل الأتربة عن جسدى .
حتى انام نظيفة .. ولكنه احساس مجسم أكثر .

والنوت أعصابى نتيجة هذا الاحساس ..
أعصابى تخنقنى ..

والثقت الى هاشم قائلة فى عصبية مبالغتة :
— قوم نتمشى شويه يا هاشم ..

وكان هاشم مستسلما ، على غير عادته وقام من جلسته
على الشاطئ ، وسار بجانبى .. والدنيا كلها ليس فيها الا انا
وهو .. وأنا اعانى احساسى بانى أريد أن انطلق من جلدى ..
أريد أن أفعل أى شىء أنسى بعده أن جلدى ليس نظيفا ..
ووصلنا الى منحى فى الشاطئ تخفيه الصخور ..
وفجأة توقفت ..

وبلا أدنى تفكير .. خلعت المايوه .. وقذفت به بعيدا ..
انى عارية ..
عارية تماما ..

وأحسست فجأة بالانطلاق .. الانطلاق من السجن ..
أحسن كأنى خلعت جلدى .. والمايوه ليس سوى قطعة صغيرة
من القماش ، ورغم ذلك فقد أحسست انى تخلصت من حمل
ثقيل .. ثقيل جدا .. وأحسست براحة .. راحة لذيدة ..
ربما لم يكن السبب هو قطعة القماش .. ولكنها التقاليد ..

التقاليد التي تخلصت منها .. حتى لو كانت التقاليد مجرد مايوه ..
وارتيت عارية على الرمل وعيناي مبتهلتان الى هاشم ..
ونظر الى هاشم في امتعاض ، وتمتم بكلمة لم أسمعها ..
ولكني اعرف هذه الكلمة .. « يا مجنونة » .

ثم ادار ظهره ، وجلس على احدى الصخور ..
وظللت أنظر اليه ، وقلبي يرتجف .. لا أدري لماذا فعلت هذا
.. ولا أدري ماذا افعل بعد هذا .. ولكني قمت بعدها ، وألقيت
نفسى فى مياه البحر .. عارية .. شئ آخر عندما كنت أنزل
البحر وأنا بالمياوه وصرخت فى هاشم :

— تعالى يا هاشم .. اليه لذيه قوى ..

وقال فى برود :

— لا .. مش حانزل دلوقتى ..

ثم قام من جالسته ، وسار عائدا ، وخرجت من الماء ، أجرى
وراءه .. عارية .. وأنا أصرخ :

— هاشم .. هاشم ..

ولحقت به .. تعلقت به وأنا أتوسل اليه :

— ما تعه لشن فى كده يا هاشم .. انت مش عارف حالتى

شكلها ايه ..

ونظر الى هاشم فى أشفاق ..

لقد تغير هاشم ..

لن يكون أبدا كما كان ..

انه لا يثور .. لا يضربنى .. ولا .. ولا .. انه فقط يشفق
على .. لم اعد فى نظره .. سوى مجنونة .

لماذا خلعت يومها المياوه ..

لانى كنت أريد أن اخلع جلدى .. جلدى المتسخ .. لعلى

اكتسب جلدا نظيفا .. او لعلى اغسل هذا الجلد وازيل ما عليه
من بقع .. ولكن لا .. بقعة الجلد لا تحى أبدا .. انها بقعة
فى القلب .. وبقعة فى العقل ..

وأزداد تلفا ..

ولكن ..

محمد يزداد حبا ..

ويزداد تحمسا لانتقضى من ظروفى ..

انه لا يطيق هاشم ..

يريد أن ينقضى من هاشم ..

انه يريد أن يتزوجنى ..

يريد أن أترك هاشم ليتزوجنى ..

هل هذا معقول ..

هل يمكن أن يحدث ..

محمد يتزوجنى أنا ؟ ! ..

لم لا ..

كان زواجى من محمد املا كبيرا .. أكبر من أن أصدقه ..

أكبر من أن اتعلق به .. ان زواجى به هو الشئ الوحيد الذى

يمكن أن يرد الى حياتى .. يرد الى سمعتى .. يرد الى اعتبارى

امام أهلى وصديقاتى ، والمجتمع الذى أعيش فيه .. ان محمد امل

احسن بنات البلد .. وأمه تخطب له بنات أكبر وأشهر عائلات

مصر .. فلو تزوجنى أنا ، فمعنى ذلك انى احسن من كل بنات

البلد .. ثم ان محمد هو الذى يستطيع — لو تزوجته — أن يجعل

منى فتاة هادئة .. أن يشغينى من جنونى .. أن يحسرنى من

الأنف الكبير الذى يتنفس من عمري .. وقد كان محمد هو الرجل

الوحيد — بعد هاشم — الذى احتفظت به كل هذه المدة الطويلة

.. أكثر من عام حتى الآن .. انباقون كلهم لم اطق ان احتفظ بهم
أكثر من شهر أو شهرين ..

ولكنى كنت اعلم ان محمد لن يستطيع ان يتزوجنى الا اذا
تحدى اهله .. تحدى أمه واخوته واعمامه .. انهم ان يوافقوه
ابدا على زواجه بى .. انهم يعلمون عنى أكثر مما يعلم محمد نفسه
.. وكانوا ينقلون اليه قصصا عنى .. فلا يصدقها ، لأنه كان
يصدقنى أنا وحدى ..

فهل يستطيع محمد ان يتحدى أمه . هل يستطيع ان يضحى
بهم من أجلى .
لست واثقة ..
انه يعذبنى ..

انه يقسه لى ان أمه ستستسلم فى آخر الامر .. لانها
لا تستطيع ان تضحى به .. انه ابنها الوحيد فوق ثلاث بنات ..
وهو يريدنى ان اترك هاشم ..

ان أمرق هذا الزواج الموهوم الذى أقنعت به ..
ولكنى لا أستطيع ان اترك هاشم .. ليس الآن .. ان هاشم
هو سلاحى الذى أثير به محمد وأدفعه الى التحدى .. تحدى
اهله .. ان هاشم هو قوتى على محمد .. ولن أنتازل عن قوتى
الا فى آخر .. الا بعد ان أرى المائون بعينى ..
وبقيت مع الاثنين ..
هاشم ، ومحمد ..
وتعبت ..

يارب .. ابنى اتمزق .. مستحيل ان احتمل هذه الحياة طويلا
.. جسدى نفسه لا يمكنه ان يحتمل كل هذا .. وصحتى ..
اعصابى ..

انى موزقة بين اثنين كل منهما يرتاح فى يومه ما فيه الكفاية
.. وأنا وحدى التى لا أرتاح فى يومى ..

هاشم يقابلنى فى النهار ، وينام فى الليل .. ومحمد ينام فى
النهار — بعد الغداء — ويقابلنى فى المساء .. أو العكس ..
أما أنا فلا أنام .. أقابل هاشم ومحمد نائم ، وأقابل محمد وهاشم
نائم ، وأطمئن الى أن كلا منهما نائم قبل ان أذهب الى لقاء الآخر
.. بل انى أحيانا كنت أقابل الاثنين فى ليلة واحدة .. أسهر مع
هاشم حتى الساعة الواحدة ، ثم يعود بى الى البيت .. وأجد
نفسى وحدى .. وأعصابى تالفة .. فاتصل بمحمد فى التليفون ،
وأطلب اليه ان يأتى .. وأنزل معه لأبقى حتى الساعة الخامسة ..
واستأذن كلا منهما فى كل مناسبة لأقنعه انه رجنى .. اذا
أردت ان أنزل البلد اتصلت بهاشم واستأذنته ، ثم اتصلت بمحمد
واستأذنته ..

وكل منهما أشعره بأنه مسئول عنى واستشيريه فى أمورى
.. وكل منهما بنهال على بنصائحه ..

هاشم يقول فى لهجة تحذير وعيناه غائمتان لا أستطيع ان
اعرف اذا كان ينظر بهما الى أم ينظر الى لا شىء :
— أمينه .. انتى ماشيه فى سكة خطر .. خدى بالك .

ومحمد يصيح فى حماس شبابيه وحيه :
— ميتو .. انتى مش حتقدرى تستمرى بالشكل ده .. لازم
تسيبى هاشم ..

وأنا أسد أذننى عن نصائح كل منهما .. ولا أطمئن الى واحد
منهما .. ان كلا منهما يستطيع ان يتركنى فى أى لحظة دون كلمة

وداع .. فكيف أطمئن .. ولماذا لا يتزوجني أحدهما ، بدلا من أن ينصحنى ..

ومحمد يرى العلامات الزرقاء التى يتركها هاشم على جسمى .. فيغضب .. ويثور .. ويجن غيرة ..

وهاشم يرى العلامات الزرقاء التى يتركها محمد على جلدى .. فيقترف .. وينظر الى كائى شئ يقززه .. رغم انى أقسم له بأن هذه العلامات ليست سوى أثر لارتطام ساقى بحافة المائدة ، أو أثر من سقطتى وأنا نازلة على السلم .. وأقول انه كائى أتوسل اليه أن يصدقنى :

— أنت عارف أن جندى حساس .. أى حاجه بتعلم فيه .. وينظر الى كأنه لن يصدقنى أبدا ..

وأصبحت أبذل مجهودا كبير حتى لا يترك أحدهما علامة زرقاء على جسدى ، فيحاسبنى الآخر عليها .. مجهودا كان يفقدنى كثيرا من متعتى ..

ولم يكن هاشم يشغل وقتى قدر ما يشغله محمد .. فهاشم مشغول عنى بمرضاه .. ويهملنى .. ولكن محمد فاضى .. انه يذهب الى الشركة التى يعمل فيها فى الصباح ، ويخرج منها فى الساعة الواحدة .. ثم يتفرغ لى حتى صباح اليوم التالى .. أما معى .. وأما فى بيته يحدثنى فى التليفون ، أو ينتظر أن أحادثه فى التليفون ..

ولم أكن أبذل مجهودا كبيرا فى خداع هاشم ، فهو يقبل خدعتى بسرعة حتى لو اكتشفها .. كأنه يدفعنى فى طريق يريدنى أن أستير فيه .. وكلانا يعلم أن حيننا يذبل ويموت ، أو على حد تعبيره ، حب أصيب بالسرطان .. فكان كأنه يترك حيننا للسرطان .. أما محمد فحبه جديد ، لا يزال محتفظا بكل

حرارته .. انه يكلفنى مشقة فى خداعه ، واضطر أن أمثل أمامه دور الفتاة المظلومة التى رماها القدر فى يد رجل أحبته ورفض أن يتزوجها الا زواجا عرفيا خوفا من أهله ، وتركها تعيش وحدها فى بيت أبيها .. فلا هى زوجة ، ولا هى حرة .. ومحمد يتحمس وينقل الى أخبار أمه يوما بيوم ، ويؤكد أنه ينتظر اللحظة المناسبة ليفاتحها فى زواجه بى .

ولكنى كنت أخاف على هاشم أكثر .. كنت أخاف أن يتركنى فجأة ، وقبل أن أتزوج محمد .. كنت لا أريده أن يتركنى الا مى اليوم الذى أحده انا .. أكثر من ذلك .. كنت أريد أن أتركه انا قبل أن يتركنى هو .. وكنت أعلم انى سأجن لو تركنى قبل أن أتركه .. وكل ذلك يدفعنى الى ملاحظته أكثر .. الى الاطمئنان دائما الى أنه نى عيادته ، أو فى بيته ، أو مع اصدقائه .. الاطمئنان الى أن امرأة أخرى لم تأخذه منى .. الى أن كان يوم ..

وبحثت عن هاشم بالتليفون فلم أجده .. ونزلت كالمجنونة وركبت تاكسى وأخذت — كعادتى — أبحث عنه .. ولم أجده فى شقته .. ولا فى شقة أحد من اصدقائه .. ثم تذكرت فجأة « نجوى » .. الفتاة المريضة التى تشرد عيناه كلما لفظ اسمها .. وتذكرت انه قال لى مرة انها تسكن فى شارع الهرم .. فأمرت سائق التاكسى بأن يتوجه الى هناك .. وما كادت السيارة تتعدى النفق الذى يقع فى أول الشارع .. حتى لمحت هاشم فى الناحية الأخرى من الشارع ، عائدا فى سيارته .. يقودها لى ببطء .. ويدخن سيجارته فى هدوء وبين تنفثيه ابتسامة نائمة .. كأنه أسعد رجل فى العالم ..

خدى .. وأدب على أرض السيارة بقدمى .. وهاشم لا يتأثر
.. لم تعد دموى لها قيمة عنده من ككرة ما بذلتها له ..

وقال فى صمت جامد :

— تسمحي تبطللى عياط .. احنا فى الشارع ..

وصرخت فية :

— انت ما يهملكش حاجة الا نفسك .. مش كده .. عايزنى
أصرخ والم الناس عليك ، علشان يشوفوا الدكتور المشهور بيعمل
فى بنات الناس ايه ..

وقال فى برود :

— بنات الناس ما يصوتوش فى الشارع ..

وامتلاً قلبى بالغل .. وخيل الى انى سأضربه .. سأمزق
وجهه بأظافرى .. ولكنى لم أستطع الا أن ابكى ..

وأوصلنى هاشم الى بيتى فى الروضة .. وقال وانا أنزل
من السيارة دور أن يلتفت الى :

— مع السلامة ..

وقلت وأنا أخبط باب السدرة ررائى كائننى أصفعه به :

— ربنا ينتقم منك ..

وانطلق بسيارته نبل أن أدخل من باب العمارة ..

وسكنت دموى بمجرد أن دخلت بيتى .. لم تكن كلها دموى
حقيقية .. أن دموى فى حقيبتى وأستطيع أن أذرفها وقتما
أشاء ، وأستطيع أن أخفيها وقتما أشاء .. ولم أكن فى الواقع
قد صدقت هاشم عندما قال لى أنه تركنى .. انى أعلم أنه لم يقل
ذلك الا تخلصنا من الحرج الذى يعانى به بعد أن ضبطته عائداً من
عند تجوى .. ثم انى أستطيع دائماً أن أعيد هاشم الى .. انى
واثقة انى أستطيع أن أعيده ..

وأمرت سائقى التاكسى أن يلف ويضع سيارة هاشم .. وما كاد
التاكسى يوازى سيارة هاشم ، حتى أوقف سيارته بسرعة ..

وأوقفت التاكسى ، ونقدته أجرته ، وقفزت الى سيارة هاشم
.. وقلت وعيناي تنبشان وجهه :

— كنت فى حضرتك ؟

وقال وقد قطب جبينه كأنه أفاق من حلمه الجميل :

— ما تسألينىش .. انتى مالكيش حق تسألينى .. لازم نعرفى
اننا سسينا بعض من زمان .. وأنا سايبك تعملى اللى انتى
عايزاه ، وكل اللى باطلبه منك انك تسيبينى أعيش زى ما أنا
عايز ..

وقلت وقد صدمتنى المفاجأة :

— انت بتتكلم جد يا هاشم ؟

قال فى اصرار :

— طبعا .. باتكلم جد ..

تللت رالدموع تملأ عينى :

— يعنى احنا سبنا بعض خلاص ..

قال وهو ينظر الى :

— انتى عارفه اننا سسينا بعض من زمان ..

قلت وقد انهمرت دموى وارفع نشيجى :

— لا .. مش عارفه .. أنا ما سبتكشى .. وانتم مش من
حقتك انك تسيبنى .. ما تقدرش تسيبنى بعد ما عملت فى كل ده ..

ولم يرد هاشم ..

ظل صامتا مزموماً الشفتين ..

واشد بكائى .. وارفع نشيجى اكثر .. وأخذت الطم عنى

واتصلت بمحمد بالتليفون واتفقت معه على أن يأتى ليأخذنى
فى الساعة التاسعة مساء .. ودخأت الحمام لأقف تحت الدش .
وأفكر فى الطريقة التى أصالح بها هاشم وأعيده الى .. وخرجت
من الحمام .. وبدأت ألبس ثيابى .. لبست الثوب الأسود
الذى يكشف عن كتفى .. ورفعت شعرى الى أعلى .. وعلقت
فى أذنى الحلق الماسى الطويل الذى اشتراه لى هاشم .. كنت
قد قررت أن أقضى ليلة كبيرة مع محمد انتقاما من هاشم .

وفجأة .. قبل أن أتم زينتى ، خطرت لى فكرة أسترد بها
هاشم ..

ضغطت على عيني حتى استدررت دموعى .. أخرجت
دموعى من حقيبتى .. ورفعت سماعة التليفون ، واتصلت
بمديحة أخت هاشم .. وما كدت أسمع صوتها حتى انطلقت
قائلة وأنا أنشج :

— مديحه هانم .. أنا أمينه . أحب أقول لك ان اذا حصل
لى حاجه نالسبب أخوكى .. أنا خلاص .. مش ممكن أعيش
بعد كده .. استحملت كفايه .. ما بقاليش حد أروح له الا ريبا
.. أنا رايحه لربنا .. قونى لاخوكى انه مش حايقدر يعيش بعدى
.. مش حايقدر .. ربنا حاينتقم لى منه ..

وصرخت الست الطيبة :

— ما بتقوليش كده يا أمينه يا حبيبتى .. اهدى بس وقولينى
حصل ايه ، وأنا اعمل لك كل حاجه ..

قلت ودموعى تتجمع فى سماعة التليفون :

— ما فيش فايده .. أنا خلاص يئست .. استحملت ست
سنين .. كفايه .. كفايه .. ما فيش قدامى بعد كده الا انى
أموت .. قول لى لاخوكى انى مت .. واستريحته منه ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وعدت الى مراهتى ، أمسح دموعى ، وأتم زينتى ..

وكنت اعلم ان مديحة لن تستطيع أن تتصل بأخيها الا فى
صباح اليوم التالى ، او فى آخر الليل بعد ان يعود من سهرته ..
وسيحاول هاشم ان يتصل بى ليطمئن على ، فأقنعه بأنى حاولت
الانتحار ، وأن أبى أنقذنى صدفة .. فيشفق على ويصالحنى ..
كانت هذه هى خطتى ..

وانتمت زينتى .. ووضعت على كتفى الفراء الفيروز الذى
اشتراه لى هاشم أيضا .. ونزلت للقاء محمد ..

ونزل محمد من سيارته ليستقبلنى كعادته ..

ونجاة ..

وقفت سيارة بجانبنا ..

ونزلت منها سيدة ملهوفة ، وبجانبها رجل ..

وصعقت ..

انها مديحة أخت هاشم ، وزوجها .. جاءا لينقذانى من
الانتحار ..

ووقفت امامى مديحة مذهولة .. تنظر الى ثم الى محمد ..
كأنها لا تفهم شيئا .. ثم تمتمت :

— أنا آسفة .. أنا جيت اطمئن عليكى ..

ثم عادت تنظر الى محمد ثم تنظر الى ..

وتماكنت أعصابى ، وقلت فى هدوء ..

— أنا كويسه والحمد لله .. رقت .. لقيت ان فيه طريقته

تانية ..

ثم قدمت محمد لها ولزوجها ..

— محبتا مهران ..

ولم أعلق شئ .. ولا ارتعشت ..
وهزت مديحة رأسها ، ثم صفحت زوجها وعادا الى
بسيارتها .. والتفتا ليرياني وأنا أركب بجانب محمد في
سيارته ..

وبدأت أفيق من المفاجأة .. وبدأ قلبي يرتجف .. وقلت وأنا
أنظر أمامي في سواد الليل :

— تعرف دى مين ؟

وقال محمد بلا اهتمام :

— مين ؟

قلت :

— دى أخت هاشم ..

والتفت الرى وقد اتسعت عيناه ، وقال فى دهشة :

— صحيح ..

قلت :

— تقدر تعتبر انى بتبته هاشم خلاص ..

قال :

— تفكرى ان أخته حاتروح تقوله ؟

قلت :

— طبعا .. وحتى لو ما قالتش له .. أنا كنت مقرره من

الصبح انى أسيب هاشم .. خلاص يا بنتش قادره استحمله ..

ما كتش ممكن أحبك ، وأفضل معاه ..

ثم انطلقت أبكى ..

أبكى بدموع حقيقية .. كنت أبكى غيظى لفشل خطتى ..

وكنت أبكى خوفاً من أن أفقد هاشم .. وانطلق من قلبي صاروخ

حاد من الكراهية لأخت هاشم .. انى أكرهها .. أكرهها ..

أكره السيدة الطيبة التى صدقنى فجات تنقذنى من الانتحار
.. أكرهها لأنها لم تحاول اقناع هاشم بأن يتزوجنى عندما ذهبت
اليها وأظلمتها على حبى له .. وأكرهها لأنها كشفت حيلتى ..
كشفت حقيقتى .. وأكرهها لأنها انسحنت سميدة شريفة لها
بيت وأولاد .. وأنا أكره كل النساء السميدات الشريفات ..
أكرهها .. ولا زلت أكرهها حتى اليوم ..

وبدا عقلى يفكر وأنا أبكى .. ربما كان فيما حدث مصلحة
لى .. ان محمد الآن قد ازداد تأكداً من انى متزوجة بهاشم
بعد أن رأى أخته تانى لزيارتى .. وأنا الآن أستطيع أن أحمه
مسئولية كل ما يحدث لى .. أستطيع أن أقول له دائماً أنه هو
السبب فى طلاقى الموهوم من هاشم .. ولن يستطيع أبداً أن
يفر من هذه المسئولية .. انى أملك اليوم أكثر من أى يوم
آخر ، أن أتزوجه ، باللاحاح على ضميره وعلى شهامته ، ومهما
عارضت أمه وأخوته البنات ..

وضغطت على عيني ، وقلت فى صوت الشهيدة :

— أنا خلاص يا محمد .. ما بقاش لى فى الدنيا كلها
الا أنت ..

ومد محمد يده والتقط يدي ، وضغط عليها فى حنان ، وقال
فى حماس صادق :

— احنا خنتجوز يا ميتو .. تاكدى اننا حانتجوز ..

وبقيت معه ليلتها حتى الخامسة صباحاً أبكى .. وأروى
له قصصاً عن سفالة هاشم ، والعذاب الذى سقاه لى ، ثم
أعطيه من نفسى .. أعطيه كائى أرشوه ليتزوجنى .. وأعطيه
لانى .. أنسى هاشم .. ولم أكن ليلتها أريد أن أترك محمد

أبدا .. كنت أخاف أن أعود إلى بيتي فأغرق وحدي في لوعتي
على هاشم .. وخوفي من حياة لا يشاركني فيها ..

وما كاد محمد يوصلني إلى البيت حتى سقطت في البئر
.. البئر العميقة التي حفرها هاشم في صدري .. نسيت في
لحظة واحدة كل الساعات التي قضيتها مع محمد .. ووجدت كل
عقلي ، وكل قلبي وراء هاشم .. يبحثان عنه ليعيداه .. وأتعذب
.. كل قطعة مني تتعذب باللهفة إليه .. صدري ينقبض ..
معدتي تنقبض .. عقلي ينقبض .. أوصالي تنقبض .. والخوف
.. الخوف وأنا أتصور نفسي أعيش بلا هاشم .. لقد انقضت
سنوات طويلة وأنا أعيش معه .. كل ما فعلته ، فعلته وأنا
معه .. كل يوم من أيامي كنت أستمد منه .. وكان رجلى ..
كل الذين عرفتهم كانوا شيئا آخر .. هاشم وحده كان رجلى ..
وخيوط من الأمل تلمع في رأسي ، ثم تنطفئ .. لعل أخته
لم تبلغه بما رآته .. لعله يقتنع بأن ما فعلته كان مجرد غلطة
عابرة ارتكبتها وأنا غاضبة منه ..

ولم أتم ..

بقيت مفتحة العينين حتى جاء موعد ذهاب هاشم لعيادته ،
ثم اتصلت به في التليفون .. وقلت في لهجة حاولت أن تكون
هادئة :

— صباح الخير ..

وسكت .. لم أحاول أن أبدا بالاعتذار .. كنت لا أزال
متعلقة بالأمل في ألا تكون أخته قد أبلغته ..

ورد هاشم وصوته ينضح بالدم يبدو أنه يبذل جهدا ليخفيه
منى :

— صباح النور يا أمينة ..

ثم سكت هو الآخر ، كأنه ينتظر مني أن أبدأ في الكلام ..

وعدت أقول وصوتي يرتعش :

— أنت فاضى النهارده ، أشوفك !

قال وقد خيل إلى أن على شفثيه ابتسامة مرة :

— أظن ما فيش لازمه نشوف بعض بعد كده ..

وقلت في صوت متردد ذليل :

— اختك قالت لك .. مش كده ؟

قال في حدة :

— طبعا قالت لي ..

قلت وأنا أتجرا وأرفع صوتي :

— اختك بتكرهني .. لو ما كانتش بتكرهني كانت سبابني

أقول لك أنا .. أنا كنت ناويه أقول لك على كل حاجة ..

قال في لهجة ساخرة :

— كنتي ناويه تقوليلى ايه :

قلت :

— كنت ناويه أقول لك أنك أنت السبب .. ما كانش ممكن

أضسبك راجع من عند واحد .. وتقول لي أنك سببني ..

وبعدين ما اغلطش .. يعني كنت عايزني أنتحصر .. كان أحسن

لك اني أنتحصر !!

قال :

— على كل حال اعتبرى اننا سبنا بعض فعلا ..

قلت في تومل :

— بس أنا مش عايزه أسببك .. ما اقدرش أسببك ..

قال :

— أنا حاسبيك علشان مصلحتك .. انتى مش عارفة انتى بتعملى ايه .. تاكدى ان اسوا حاجه ممكن تعملها فى نفسك ، انك تعرفى رجلين فى وقت واحد .. لو اتعودتى على كده حاتلاقى نفسك بعد شوية ، واقفه فى الشارع تحت فانوس .. وما دام معرفتى واحد تانى ، انا متنازل .. منسحب .. علشان ما تتعوديش على انك تعرفى رجلين فى وقت واحد ..

قلت :

— بس انا ما بحبوش .. انا باحبك انت يا هاشم ..

قال :

— امال خرجتى معاه ليه ؟

قلت :

— لانك جننتى .. انت اللى خليتنى اعجل كده .. انت

السبب :

قال :

— البنت الكويسه ما تعملش كده ، مهما اتجننت . وانتى مش كويسه .. انتى ما تعرفيش تحبى .. وانتى عمرك ما حببتى ، انما كنت محتاجه لى .. وانا مستعد اعمل لك كل حاجه ، الا انى اشوفك .. ومع السلامه ..

والقى سماعة التليفون فى وجهى .. وجننت ..

حاولت ان اتصل به مرة ثانية ، ولكنه رفع سماعة التليفون .. وحاولت ان اتصل به فى تليفون العيادة العمومى ، ولكنه لم يرد على .. وقضيت طول اليوم بجانب التليفون احاول ان اتصل به .. حاولت اكثر من ثلاثين مرة .. اتصلت به فى كل مكان اتصور ان اجده فيه .. ولكن بلا امل ..

والدنيا تضيق امام عيني .. ويخيل الى انى اصبحت فعلا واقفة فى الشارع تحت فانوس نور ..

وجريت الى محمد لينقذنى من نفسى .

قضيت معه ليلة اخرى حتى الخامسة صباحا ..

وما كدت اتركة حتى عاودنى الضيق .. والجنون .. ولهفتى على هاشم .. وكنت اتعجب من نفسى .. لماذا لا اشعر بكل هذه اللفتة : بكل هذا الحب ، الا عندما يهجم هاشم بان يتركنى .. فاذا اطمانت الى انه لن يتركنى ، عدت استهين به .. والعب .. ربما لاني كنت كالطفل الصغير الذى يشتت فى لعبه وهو بجانب امه ، مطمئنا الى حمايتها له .. حمايتها من نفسه .. فاذا ابتعدت عنه امه ، كف عن اللعب .. وخاف من نفسه .. وبكى .. لقد كان هاشم بمثابة امى .. انه امى .. وابى .. واخى .. وسببى ..

واستطعت ان اتصل بهاشم فى اليوم التالى ..

ولكنه رفض ان يلقانى .. انه لا يزال مصرا على ان نفترق ..

وفى اليوم الثالث ..

والرابع ..

وانا ازداد جنونا .. لم اعد اطيق ان ابقى لحظة واحدة وحدى .. فاجرى الى محمد .. القاه فى الصباح .. وفى المساء .. واتفدى معه .. واتعشى معه .. ثم يتركنى ساعات لا انام فيها .. وهاشم يملأ قلبى وعقلى ..

الى ان كان اليوم الخامس .. وكنت عائدة من شقة محمد فى سيارة اجرة ، عندما لمحت هاشم فى سيارته .. ولحنى .. ونظر الى وفى عينيه نظرة ميتة لا حياة فيها . وشفناه مزموتان

.. ليست بينهما هذه الانفراجة الصغيرة التي جذبتنى اليه وحيرتنى
عنه يوم أن رأيتة لأول مرة منذ ست سنوات ..
وابتسمت له ..
ابتسامه مرتعشة خائفة ..

ولم يرد ابتسامته .. وتقدم بسيارته السيارة التي أركبها
.. فأمرت السائق أن يتبعه .. ولحنى فى المرأة وأنا أتبعه ..
مأطلق سرعة السيارة .. وأخذ يدخل من شارع الى شارع ..
وسائق التاكسى يتبعه ..

وكنت أعلم أن هاشم سيقف أخيرا .. سيقف لأنه يخشى
الفضيحة .. يخشى أن يلحظ الناس أن هناك فتاة تطارده ..
ووقف فعلا ..

وقف فى مكان هادىء من الشارع الذى يقسع فيه بيت
أم كلثوم ..

وقفزت من التاكسى ، وركبت بجانبه ونا أرتجف .. ودمائى
باردة فى عروقى .. ووجهى ضاع لونه ..
وقال فى صوت صارم :

— عايزه ايه ؟

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— عايزاك ..

وتمتم كأنه يخاطب نفسه :

— أنا ربنا بيعذبنى بيكى .. أنا لازم عملت ذنب كبير ..

ذنب كبير قوى ..

قلت فى هدوء :

— ذنبى ..

وقال وهو يرفع صوته فى غيظ :

— واكفر عن الذنب ده ازاي .. قوليلى عمل ايه .. عايزه

منى ايه ..

قلت :

— اتجوزنى ..

ونظر الي كانى مجنونة ، وقال ساخرا :

— تانى .. حانعيد سيرة الجواز من أول وجديد .. وبعد

كل اللى عملتيه ؟

قلت :

— أنا ما عملتش حاجة ..

ونفخ صدره ثم زفر أنفاسه فى زهق كأنه يطلق من انفه
نارا .. ثم التفت الى بكل جسمه وقال كأنه يتشبث بأخر أمل له :

— اسمعى يا امينه .. اتنى عارفه ومتأكده اننا مش حانتجوز

أبدا .. وعارفه ومتأكده انك ما تقدريش تعيشى معايا من غير

جواز .. ويقالك ست ستين وانتى تحاولى تسيبىنى .. اتجوزتى

.. لكن ما قدرتيش ، واتطلقتى .. وبعدين اتخطبتى وما قدرتيش

فكيقتى خطوبتك .. وبعدين كتبتي كتابك على واحد تالت ، وبرضه

ما قدرتيش ، واتطلقتى قبل ما تدخل على .. مش كده ..

وتمتمت هامسة ، وأنا أصغى اليه نصف اصغارة ، فقد كان

كل ما فى عقلى هو أن يعود الى ..

— أيوه ..

قال فى الهجة الفيلسوف :

— بيقى الطريقه الوحيده علشان تسيبىنى ، انك تحبى واحد

تانى .. مش كده !

قلت :

— أيوه ..

قال :

.. لغاية كده متفقين .. دلوقتي انتي بتعرفي واحد تاني .. و ..

وقاطعته وأنا أنظر اليه في جراحة :

— لا .. ما اعرفش ..

ونظر اليّ كأنه بهت لجراتي :

— أمال اللي خرجتي معاه ده يطلع ايه ..

قلت :

— مش معنى اني خرجت معاه ، اني باعرفه ولا باحبه ..

دي اول مره أخرج فيها معاه .. وخرجت معاه لأنك جنتني ..

قال ساخرًا :

— يا سلام .. يعني كان واقف تحت شباكك .. اول

ما اتجنتني طلع لك على طول وخرجك ..

قلت وأنا أحاول الا أفقد جبل الكذب :

— انت عارف اني أعرف أخته عليه .. ضربت لها تليفون

ساعة ما كنت متضايقه ، رد عليّ هو .. طلبت منه انه يبجي

يخرجني ..

قال :

— أنا ما اعرفش انك تعرفي أخته .. بس اعرف انك

تعرفيه هو .. وتعرفيه من زمان .. واعرف انك بتروحي شقته

.. فيه ناس شافوكي بعينهم .. وشقته بالأماره جنب شقته

اللي في الزمالك ..

وصرخت :

— كذب .. ما حصلتش .. أنا عارفه مين اللي قال لك كده

.. كلهم بنات متفاظين مني لأنني باعرفك .. لأنني باحبك ..

قال كأنه يريد أن يطمئن الي شيء يهيمه :

— يعني ما رحيتش شقته ؟

قلت :

— وحياتة بنتي .. وحياتك يا هاشم .. أبدا .. مش معقول

.. مش معقول انك تصدق حاجات زي دي ..

وقال كأنه يعاتبني :

— ومشر عيب تضحكي على أختي وتفهميها انك كنتي

حاتتحرى ؟

قلت وأنا أخفي عنه عيني :

— أنا بافكر في الانتحار فعلا ؟

قال في حدة :

— بتفكري في الانتحار ازاي ، واختي جاتك بعد تلت ساعه

لقيتك لابسه وبتزوقه وعامله شعرك ..

قلت في جراحة :

— كذب .. أنا ما كنتش عامله شعري ولبست في عشر

دقائق .. أنا عارفه .. انت بتتمنى اني أنتحر .. بتتمنى اني

أموت وأريحك مني ..

ونظر اليّ كأنه يستجير بالله مني ، وقال :

— انتي مجنونه ..

قلت :

— مجنونه ليه ..

قال :

— لأنك مش فاهمني .. لأنك بالشكل ده مش حاتوصلي

لحاجه .. لو فضلتي تكذبي على حاسبيك غصب عنك .. انها

لو قلتني الحقيقه حافضل معاك .. وحافضل مسؤول عنك ..

لغاية ما يبجى اليوم اللي تقوللى فيه ، خلاص يا هاشم ، أنا
حببت واحد تانى ، ومش حا اقدر أشوفك .. مع السلامه ..
هل أصدقه .. هل أصدق انه سيبقى معى الى أن يتزوجنى
محمد .. وانه لن يتخلى عنى .. ولن يضعفنى أمام محمد بأن
يتركنى له .. وحدى ..

وقلت فى تردد :

— بس أنا لسه ما حببتوش ..

قال :

— بس فيه أمل انك تحبيه ..

قلت :

— ليه ؟

قال :

— لأن هو اللي اخترتیه علشان تخرجى معاه .. اذا
ما كنتيش تحبيه ، يبقى على الأقل بتستلطفيه ..

ولم أرد عليه .. كل عقلى مشغولا ، أحاول أن أقنع
نفسى بأن أقول له كل الحقيقته .. لعله صادق فى وعده بالأى يتركنى
بعد أن يعرف كل شىء .. لم لا .. ان هاشم ، مهما قيل عنه ،
فهو كريم .. لا تهمة الأموال التى ينفقها على .. بل انه كريم مع
كل الناس ، ليس على وحدى .. ولن يهمله أن يظل ينفق على
الى أن أتزوج محمد ، وربما بعد أن أتزوجه أيضا .. ثم انه ليس
من هذا الصنف من الرجال الذى يتقاد وراء غيرته .. ان غروره
يدفعه دائما الى أن يخفى غيرته على أى فتاة .. وكل ما يفعله
هو أن يصاحب فتاة أخرى .. انى أستطيع أن أسمح له بأن
يصاحب أخرى ، ويسمح لى بأن أصاحب محمد .. وثلتقى فى
نفس الوقت . كما كنا نلتقى .. ويبقى مسئولا عنى .. الى

ان احب محمد الى حد ان استغنى عنه .. أو الى ان أتزوج محمد
.. أن هذا الوضع يتلاءم مع عقلية هاشم أكثر .. العقلية
المحررة الواقعية .. ويريحة أكثر مما يريحه الكذب .. انه يحس
بالكذب حتى ولو لم يكتشفه ، واحساسه به يجعله يتعد عنى .
ويعذبنى ، ويجننى .

وعاد هاشم يقول كأنه وصل معى الى اتفاق :

— وبئالك اد ايه بتخرجى مع محمد ؟

وقلت فى تردد وأنا أنكس عينى بين يدى .

— خذت معاه ثلاث أربع مرات ..

قال وهو يتبسم :

— وصلتكم لغاية فين ؟

قلت وأنا أنظر اليه فى غضب .

— ما وصلناش لغاية حاجه .. تصدك ايه ؟

قال :

— يعنى مثلا .. ما باسكىش ؟

قلت فى صوت خفيض وأنا أرخى عينى :

— باسنى ..

ثم رفعت عينى اليه ، واستطردت بسرعة :

— فى خدى ..

وابتسم هاشم ساخرا كأنه لا يصدقنى .. وأدار موتور
السيارة ، ثم قال وهو يأخذنى الى بيتى ..

— اسمعى يا أمينه .. أنا حااقت جنبك لغاية ما تتجوزى

محمد .. ولازم تعرفى انك حلوه .. ولما تحبى تبقى كويسه بتقدرى

تبقى كويسه .. ما تفكرين انك أقل من الستات التانيه ..

وأوعى تصدقنى ان سمعتك ضاعت وانك مش ممكن تتجوزى

شاب كوبيسى زى محمد .. أبدا .. ياما بنات عملوا ، واتجوزوا
شباب كويسين .. وكمان ما تفتكر يش ان محمد من عينه محافظه
وكبيره ، رمش ممكن يتجوز واحد مطلقه ومخلفه ، وحتى لو عرف
كل حاجه عنك وعنى .. أبدا .. المهم انه يحبك .. بس لازم
تعرفى ان فيه فرق بين واحد يتمشى مع واحد علشان يتجوزها ،
وواحدة تمشى مع واحد وهى عارفه انه مش حاي تجوزها ..
فيه فرق كبير .. لو عرفت الفرق ده حاتقدرى تتجوزى محمد ..
خصوصا انه شاب صغير وما اتعقدش من الجواز والبنات
زىي ..

وأحسست بكلمات هاشم كالدبابيس تشك قلبى ، وتشك
عقلى ، وتشك جلدى .. انى لا أستطيع أن أحتمل .. لا أستطيع
أن أكون رخيصة عند هاشم الى هذا الحد .. الى حد أن يتفق معى
على أن يعطينى لرجل آخر ، حتى ولو أعطانى كزوجة .. لم
أشعر ساعتها أننا نحن الاثنين نحاول أن نتفق على اصطياذ
محمد .. لم أفكر فى محمد اطلاقا .. ولكن كان كل ما أحس به
أنى هنت على هاشم الى هذا الحد .. انى رخيصة عليه ..
انى تافهة بالنسبة له ..
وصرخت فيه :

— هاشم .. انا كذبت عليك .. انا ما اعرفش محمد ..
وعمرى ما خرجت معاه الا يوم ما اختك شافتنى .. وحياة بنتى
.. وحياة ماما .. ان شالله أفقد نظرى .. انا كنت باكذب
عليك ..

ونظر الى هاشم كأنه بوغت ، وقال :

— وكنت بتكذبنى على ليه ؟

قلت فى حرارة كاذبة :

— الأناك ما كنتش راضى تصدقنى .. حبيت انى أريحك ..
انما اذا وصلت لدرجة انك تسيبنى له .. وتقول لى اتجوزى
وما تتجوزيش .. يبقى لازم تعرف الحقيقه .. والحقيقه انى
ما اعرفوش .. ومش عايزه اعرفه .. مش عايزه اعرف الا انت
.. واذا كنت حاتجوز ، حاتجوزك انت .. واللا مش حاتجوز
خالص ..

ونظر الى هاشم من خلال عينيه المنتفختين ، وقلب شففيه
فى قرف ، وقال :

— انتى عبيطه ..

محمد الآن يعتقد انى تركت هاشم ، وانا لا أزال مصره على
أن أكذب على هاشم ، وأؤكد له أن ليس بينى وبين محمد علاقة ..
تغير الوضع ..

فقد كان محمد — من قبل — يعلم بعلاقتى بهاشم .. وكان
يعتقد أننا متزوجان زواجا عرفيا ..

وكان هاشم وحده هو الذى اضطر أن أكذب عليه ، الأخرى
عنه علاقتى بهاشم ..

ولكنى الآن مضطرة أن أكذب على الاثنين .. وأتسع كلا
منها بأن ليس لى علاقة بالأخر ..

هذا الوضع الجديد يكلفنى أكثر .. انه يستنزف كل أعصابى
وكل ذكائى .. انه وضع آخر غير وضع الزوجة الخائنة ..
فالزوجة التى تخون زوجها ، اها جانب مستقر فى حياتها تستطيع
دائها أن تعود اليه وتستريح .. أقصد بيتها .. بيت الزوجية ..
اما انا فليست زوجة لهاشم ، ولا زوجة لمحمد ، وليس لى بيت
أستريح فيه .. اذا تقلبت على هذا الجانب أو الجانب الآخر
دهمنى الفلق ، وتأوهت .. والزوجة الخائنة تستطيع ان تقنع

نفسها بأنها عندما تكون لزوجها فهي له باسم الشرع .. وعندما تكون لحبيبها فهي له باسم الحب .. تستطيع أن تجد مبررا لتصرفاتها .. تستطيع أن تسكت ضميرها بأنها ظلمت في زواجها .. أو أن أهلها زوجها رغم ارادتها رجلا لا تحبه ، أو أنها مضطرة أن تحتفظ بزوجها حتى لو خانته ، من أجل الأولاد ، ومن أجل المركز الاجتماعى .. الى آخر هذه المبررات .. أما أنا .. فلا أجد مبررا لتصرفاتى .. انى أعيش فى معركة مستمرة مع ضميرى .. احاول دائما أن انصر ذكائى الأصفر على ضميرى الهزيل .. ولم يكن فى ذكائى الأصفر سوى اطماعى .. وكانت اطماعى تصور لى أن احتفظ بالاثنتين ، هاشم ومحمد .. فكل منهما يمثل لى أملا غاليا .. هاشم برجولته وثروته وشهرته .. ومحمد بشبابه وعائلته الكبيرة .. كنت أطمح فى أن احتفظ بهما حتى او تزوجت احدهما .. ولكنى كنت أدارى الطمع واحاول أن أقتنع نفسى بأنى لو تزوجت احدهما فسأترك الآخر فورا .. كنت أقتنع نفسى بأنى مضطرة الى الاحتفاظ بهما الاثنتين لانى لست زوجة احدهما .. كنت أقتنع نفسى بأن سر كل تصرفاتى انى لم أتزوج هاشم منذ عرفته .. وأن هذا عذر كاف كى أخونه مع محمد .. ولكنى لم أجد عذرا أبرر به خيانتى لمحمد مع هاشم رغم أن محمد وعدنى بالزواج .. وكنت أقول لنفسى انى أخون محمد لانى لست واثقة من وعده ..

وعندما أعود لنفسى الآن أستطيع أن أرى حقيقتى بوضوح أكثر .. أستطيع أن أرى انى لم أكن أعلم أيهما أريد أن أتزوج .. محمد .. أو هاشم .. ؟ وأستطيع أن أرى انى لم أكن قد يئست من زواجى بهاشم رغم كل هذه السنين ورغم كل ما مر بى .. بل انه مرت بى فترة طويلة لم أكن واثقة من الذى احب

منها .. رغم كل ما اعطيته لكل منهما .. كنت أحيانا أقتنع بأنى خلاص ، أصبحت أحب محمد .. ثم لا تضى ساعات حتى أجد نفسى ملهوفة الى هاشم ، وأحس أنه الرجل الوحيد الذى احبه .. تم أعود بعواطفى الى محمد .. وهكذا ..

هذا التردد .. أو هذا الطمع .. هو سر شغائى .. كنت كالطفلة الجشعة الغبية التى تأكل كل شىء ، الى ان تمرض وتصاب بتلبك معوى . وقد مرضت ، وأصبت بتلبك فى أعصابى . وتلبك فى عقلى ، وتلبك فى جندى ..

وربما لم يكن هذا التحليل لنفسى صحيحا .. ربما كان سر تصرفاتى هو محاولتى الهرب من حب هاشم .. أن أنساه .. أن أتحرر منه .. أن أتخلص من تعودى عليه .. أو .. ربما كنت مجرد ضحية لطبيعتى المنحلة التى ورثتها عن أبى ..
المهم ..

لقد أصبح لقائى بهاشم فى هذه المرحلة من عمرى ، صعبا .. فقد كان محمد متفرغا لى .. كان — كما قلت — ينتهى من عمله فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم يتفرغ لى حتى الصباح اليوم التالى .. فهو اما معى ، أو يحادثنى فى التليفون .. وكان يشك فى كل تصرفاتى .. وغيرته تكاد تخنقنى .. ورغم ذلك فقد كنت أجد دائما وسيلة للقاء هاشم .. لقد ساعدت المرات التى تلتقى فيها .. كانت تضى ثلاثة أيام أو أربعة لا أراه فيها .. وهاشم لا يهتم .. غروره بنفسه كان يمنعه دائما من أن يطلب لقائى ، وكان يفتظر منى أن أطلب أنا اللقاء .. ثم لا يقبل الا بعد أن ألح ، وألح كثيرا .. وقد استطعت أن أقتنعه أكثر من مرة بأن يأتى للقائى فى بيتى فى الصباح وقبل أن يذهب الى العيادة ليشرب معى فنجان قهوة ، كما كنت أقول له .. وكان هذا الموعد

هو أنسب الأوقات لى .. فأنا مطمئنة الى أن محمد فى عمله ..
وكننت احرض عندما يأتى هاشم أن اضع التليفون فى غرفة أخرى
غير غرفة النوم التى أجلس فيها معه حتى اذا اتصل بى محمد ،
رددت عليه دون أن يسمعى هاشم ..

وقد لاحظ هاشم مرة أنى أرد على التليفون فى الغرفة المجاورة
بصوت منخفض .. فببببى صغبر وكننت أخشى أن أرفع صوتى ،
فيسمعى ..

وقال بعد أن عدت اليه ، وبين شففيه ابتسامته الساخرة :

— بتكلمى بصوت واطى ليه .. ؟

قلت وأنا أحاول أن أبدو طبيعية :

— أنت عارف انى دايما أتكلم فى التليفون بصوت واطى ..

وضحك هاشم ضحكة صغيرة ، وسكت ..

وكان دائما باردا ..

انه بينو كأنه لا يريدنى .. لم يعد شىء فى يحركه نحوى ..
او يفتح عينيه المتفتحتين .. أو يطلق السخونة فى انفسه ..
انه ينظر الى كأنه يشفق على .. ويقبلنى كأنه يؤدى واجبا مفروضا
عليه .. ويعتذر فى مرات كثيرة بأنه على موعد لزيارة أحد
مرضاه .. فاذا لم يعتذر ، فهو ثقيل ، كسول ، يتدلل ..

وأنا لم أتغير .. انى لا أزال أريده كما كننت أريده دائما ..
لا يزال يثير كل قطعة منى كما تعود أن يثيرها .. انه يعيش
فى مستامى .. وكان بروده يجننى ويصور لى أنه على علاقة
بفتاة أخرى .. وكننت أحتار فيمن تكون هذه الفتاة .. هل هى
مرفت التى ضبطتها فى شقته أكثر من مرة .. أم هى نجوى
مريضته التى تلمع عيناه كلما ذكرت اسمها كأنى قد دنست اسمها
الشريف بلسانى .. من يدرى .. لعلها ليست مريضة ولكنها

تمثل عليه دور المريضة كما فعلت أنا عندما ذهبت اليه لأول مرة
.. ومن يدرى .. لعلها ليست مرفت ، ولا نجوى .. ولكنها
فتاة أخرى ..

وكانت هذه التصورات تلهب الغيرة فى صدرى .. فأندفع
وراءه .. أذهب اليه فى شقته .. وأطارده .. ولكنى لم أفقد
ذكائى أبدا ، ذكائى الذى أحمى به علاقتى بمحمد .. أن محمد —
رغم شكوكه — لم يستطع أبدا أن يكتشف لقائى بهاشم ..

وفى هذه الأثناء بدأت أتعمد أن أخذ من هاشم نقودا أكثر ..
كننت غير مطمئنة الى بقائه لى .. وكننت أريد أن أضمن اذا تركنى ،
أن أكون قد ادخرت مبلغا كبيرا يكفى حياتى .. وقد قلت له ذلك
صراحة .. قلت له انى أريد أن أضمن مستقبلى .. وأريد أن
أضمن الا أتشرد يوم يتركنى .. وأشحذ .. ورغم أنه أكد لى
أنه سيعمل يحبل مسؤوليتى المادية دائما حتى لو افترقنا ، فقد وافق
على أن أفتح حسابا بأسمى فى صندوق التوفير .. وأعطانى
مائة جنيه لأضعها فيه .. ثم مائة أخرى .. وفى خلال شهر
وصل ما ادخرته الى سبعمائة جنيه .. لم استطع أن أصل الى
الألف ..

وكان محمد منذ أن افتتح بانى تركت هاشم ، يعرض على أن
يكون مسئولا عنى .. كان يقول لى :

— أنا عايز أحس انى الراجل بتاعك .. انى مسئول عنك
.. مش عايز اثنوك لابسة فستان من فلوس هاشم ..
ولا ماسكه شنته مش أنا اللى جايها ..

وكننت أقول له مبتسمة :

— بعدين .. لما نتجوز .. لغاية دلوقت ماحدش مسئول
هنى الا بابا .. أوعى تكون فاكّر أن بابا ما بيصرفش على ..

صحيح ان حالته مرتبكة .. انما مش لدرجة انه ما يصرفش على ..

رفضت ان ادعه يتحمل مسئوليتى المالية ، لانى كنت اعلم انى يوم اقل منه ان يصرف على ، فكأنى اعفيته من الزواج ..

وعوضنى محمد بكثير من الهدايا ..

اشترى لى مرة خاتما من الذهب له فص فيروز .. ووضعه

فى اصبعى وذهبت للقاء هاشم ..

ونظر هاشم الى الخاتم وقال ساخرا :

— مبروك الخاتم .. ورنى كده ..

وخلعت الخاتم من اصبعى ، وألقيته اليه ، وهو جالس على

المقعد العريض .. ونظر فيه طويلا .. ثم وضعه فى أصبعه ..

وضحك ضحكة صغيرة ، وقال :

— جيتيه منين ؟ ..

قلت ورموشى ترتعش :

— بابا اهداه لى ..

ورفع هاشم يده وفى اصبعه الخاتم ، واخذ يقلبه امام عينيه

.. ثم خلع الخاتم ، ، والقاه الى كانه يلقيه فى وجهى ، وقال :

— من امتى ابوكى بيهديكى خواتم ..

وقلت ورموشى لا تزال ترتعش :

— **وايه يعنى** .. ده خاتم رخيص .. ما يساويش أكثر من

خمس جنيه .. يعنى بابا ما يقدرش يعمل لى هدية بأكثر من

خمس جنيه ..

وسكت هاشم .. اذار وجهه عنى فى قرف ..

وفى مرة ثانية اهدانى محمد حقيبة لها مقبض من ذهب ..

اشترها لى من الاسكندرية ، عندما سافرت معه لأرى ابنتى ..

وحملت الحقيبة أيضا وذهبت الى لقاء هاشم .. لا ادري

لماذا .. ربما لانى كنت ائذذ وأنا اذهب اليه ومعى قطعة من محمد

.. أو ربما لانى لم أكن أستطيع أن أخفى عنه شيئا .. كان

ما أخفيه عنه بلسانى ، اتمنى أن يعرفه باحساسه .

وأمسك هاشم الحقيبة بيديه ، وقال وهو يلوى شفتيه

السفلى :

— جيتيها منين ؟ ..

قلت :

— اشتريتها من اسكندرية ..

وظل هاشم يقلب الحقيبة بين يديه برهة ، ثم كسر مقبضها

الذهبي ، وألقى به من الشباك ، وأعادها الى قائلا فى برود :

— كده أحسن .. شكلها كده أشيك ..

وجننت ..

قفزت من جلسعتى ، ونظرت من الشباك وراء المقبض الذهبى .

ثم جريت بعد أن صرخت فى وجه هاشم :

— انت مجنون .. سافل ..

ووجدت المقبض فى الشارع ..

وحملته رعدت الى الشقة ، فوجدت هاشم قد غادرها ..

ومن يومها فكرت فى طريقة أخرى .. أصبحت كلما اهدانى

محمد هدية ادعيت انى اشتريتها ، وأخذت ثمنها من هاشم ..

وبهذه الطريقة لم يعد هاشم يلقي بهدايا محمد من الشباك ..

وكان محمد قد اهدانى فى عيد ميلادى ، خاتما محلى بفضوص

صغيرة من الماس ، وفوقه لؤلؤة كبيرة .. خاتم جميل غال ..

ولم اضع الخاتم فى اصبعى وأذهب الى هاشم .. ذهبت اليه

بلا خاتم ، وقلت له وهو مسترخ فى الفراش بجانبى :

— هاشم .. بنت عمى عندها خاتم جنان .. وعايظه تبيعه
بخمسين جنيه .. ايه رايك ..
وقال فى بساطة :
— اشتره ..
قلت :

— ده حايعجبك قوى .. لقطه .. ولولا انها معذوره ،
ما كانتش باعته ..
ثم ملت عليه اقبله من شفتيه المنفرجتين نصف انفراجه ، وأنا
اقول له :

— مرسى يا هاشم .. ربنا يخليك لى .. وتجيب لى ..
ووضع هاشم يده فى جيبه قبل أن نخرج من الشقة ..
وأعطانى خمسه وعشرين جنيها ، وقال لى :

— دول من تمن الخاتم .. وبكره اديكى الباقي ..
ولا أدري لماذا حددت ثمن الخاتم بخمسين جنيها .. كنت
أستطيع أن احدد ثمنه بمائة وخمسين جنيها .. ربما لأن ضميرى
قد وبخنى وأنا ارتكبت جريمة نصب ، فأردت أن أخفف من أثر
الجريمة على هاشم .. أشفقت عليه .. صععب على .. انه حبيبي
.. حبيبي الذى أنصب عليه ..

ولم أر هاشم فى الغد ..
ولكنى رأيته بعدها بأيام ..

ذهبت اليه وفى اصبعى الخاتم .. وقلت له فرحة :
— أهو الخاتم .. حلو ؟ .. اديت لبنت عمى الخمسه
وعشرين جنيه ، وخذت منها ، لغاية ما جيب لها الباقي ..
وأخذ هاشم الخاتم بين أصابعه ، وقلبه أمام عينيه ، ثم رده
الى وشفتاه مقلوبتان فى قرق ، وقال :

— ده يسوى أكثر من خمسين .. أكثر بكثير .. مش ممكن
تكون بنت عمك مغفله للدرجه دى ..
ثم نظر الى فى عينى .. نظرة غاضبة .. وتمتم :
— مش معقول تكونى وصلتى للدرجه دى ! ..
ثم سكت ..
ولم أرت ..

شئ وقف فى حلقى يكاد يخنقنى .. لم أستطع أن أتكلم
الا بعد فترة طويلة .. وبعد أن التقط هاشم أحد كتبه الطبية
وأخذ يقرأ فيه كعادته عندما يكون غاضبا .. وقلت فى صوت
مرتعش :

— عجبك الخاتم ؟ ..
ورفع عينيه من فوق الكتاب ، ونظر الى نظرة ميتة ، ولم يرد
على ..

وحمدت الله أنه لم يرد ..
ولكنه لم يعطنى الخمسة والعشرين جنيها الأخرى ..
ولم أجرؤ على أن أطلبه بها ..
كنت واثقة أنه كشف سرى .. وأنه عرف أن الخاتم هدية
من محمد .. ووجهه غارق فى سحابة قاتمة من الألم ..

ثم ..
حملت ..

ولم أترق فى حياتى من نفسى قدر ما ترقت هذه المرة ..
أحسست كأنى أفقت من ذهولى .. أحسست كأن كل مصيبتى قد
تجمعت فى بطنى ، ولم تعد معدتى تستطيع أن تهضمها ..
أحسست كأنى ، فضحت .. لم أفضح أمام الناس ولكنى فضحت
أمام نفسى ..

فى الصباح ليشرب معى فنجان القهوة ، كما عودته أخيرا ..
وعندما جاء لم أستطع أن أواجهه وأنا قوية كما تعودت كلما حملت
منه .. لم أستطع أن أتدلل عليه بحملى .. وأطالبه بأن يدفع
لى الثمن غاليا .. لم أستطع .. كنت ضعيفة .. والعذاب
مكوم فى بطنى .. وقلت له ورأسى مدلى على صدرى :

— هاشم .. أنا حامل ..

ونظر لى هاشم كأنه يحاول أن يكتشف سرى .. وتردد
قليلا .. ثم وضع يده فى جيبه وأخرج عشرين جنيها أجر الطبيب
الذى يجهضنى ، وألقى بها فى حجرى ، وهو يقول فى جفاف :

— أنا مشر قلت لك تاخذى بالك .. بالشكل ده حانتقطعى
نفسك .. وكتر العمليات دى حياأثر عليكى بعدين ، لما تكبرى ..
وقلت فى صوت خافت :

— انت مشر شاطر الا فى الكلام ..

وودعنى وخرج ..

وخرجت وراءه الى لقاء محمد فى شقته ..

وكنت أقوى مع محمد منى مع هاشم .. ربما تزودت بهذه
القوة من هاشم ..

وتركت محمد يضمنى الى صدره ، ويضفطنى بذراعيه
الشابيتين ، ويقبلنى فى شفتى بشفتيه اللتبهيتين بحرارة حبه ..
ثم فجأة أزحته عنى فى حركة عصبية متعمدة ، وابتعدت عنه .
وجالست على مقعد بعيد ..

وخطا ورائى ملهوفاً .. كأنه ترك شفتيه بين شفتى ، ويجرى
وراءهما ..

ورفعت رأسى اليه وقلت فى توصل حزين :

— سيينى دلوقت يا محمد .. اعمل معروف ..

وساءلت نفسى ، ابن من هذا الذى أحمله فى بطنى .. ابن
هاشم .. أم ابن محمد .. وحاولت أن أتذكر اللحظات التى يمكن
أن أكون قد حملت فيها ، لأحدد أبا للجنين .. ولكن تساؤلى
لم بدم طويلا .. انى لست فى حاجة الى هذا التساؤل ، فسواء
كان ابن هاشم ، أو ابن محمد ، فهو ابن حرام .. ومصيره محتوم
.. الاجبان ..

وحالتى النفسية تسوء أكثر ..

أكاد أختنق .. كأن يد الجنين تمتد فى داخلى الى زورى
لتخذقنى ..

وحاولت أن أقتنع نفسى بأن الأمر ليس جديدا على .. لأريح
نفسى من العذاب .. فقد سبق أن احترت فىمن يكون أبا ابنتى
هدى عندما حملت فيها .. وكنت أيامها لرجلين ، زوجى عبد
السلام وهاشم ، كما أنا اليوم لرجلين هاشم ومحمد .. ولكن ..
هناك فرق .. فرق كبير .. فعندما كان أحد الرجلين زوجا لى ،
كان هناك دائما أمل فى أن يكون ابنى ابن حلال .. كنت أستطيع
أن أتعلق بهذا الأمل .. وأخفى وراءه خجلى من نفسى .. ولكنى
اليوم لا أجد أملا أتعلق به ، وأضحك به على نفسى .. ان ابنى
ابن حرام مائة نى المائة .. بل ان هناك فرقا بين حملى هذه
المره ، والمرات التى حملت فيها عندما كنت لهاشم وحده .. كنت
أستطيع عندما أحمل من هاشم أن أقتنع نفسى بأن الجنين هو ابن
الحب .. حتى لو كان هذا الكلام مجرد تبرير وهمى .. أما اليوم ،
فلا أستطيع أن أقتنع نفسى بأن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو
ابن الحب .. حب من ؟ حب هاشم .. أم حب محمد ؟ لا ..
انه ليس ابن الحب .. انه ابن الجنون .. جنونى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون وطلبت منه أن يأتى لزيارتى

وقال وأنفاسه الساخنة لا تزال تتردد فى صدره :

— مالك يا ميتو ..

ووضعت رأسى بين كفى كائى على وشك البكاء .. واحاطنى
محمد بذراعه ، وقال فى لهفة :

— حصل ايه ؟ ..

ورفعت ايه رأسى ، وقلت وفى عيني نظرة الشهيدة ..

— مش عايزه اقول لك يا محمد ..

قال فى حماس :

— ازاي ده .. لازم تقوللى ..

وترددت قليلا ، ثم قلت :

— لا .. بلاش ..

وعاد يتحول فى حدة :

— بلاش ازاي .. لازم أعرف كل حاجه ..

وجسمت نظرة الشهيدة فى عيني ، وقلت فى صوت مخنوق :

— أنا حامل يا محمد ..

وقفزا حاجباه من فوق عينييه وقال كأنه زعر :

— مش معقول .. وحانعمل ايه ؟

قلت :

— ما عرفش يا محمد .. أنا خايفه من العملية .. خايفه ..

ورفع محمد ذراعه من فوق ظهري وأحنى رأسه وقال كأنه
وقع فى مشكلة :

— أنا مستعد أعمل اللى تقولى عليه ..

قلت :

— ما فيش حاجه تتعمل دلوقت الا العملية .. وأنا خايفه

.. خايفه أموت فيها ..

ولم أحاول ساعتها أن أذكر سيرة الزواج .. فقد تعلمت
من هاشم الرد الطبيعى الذى يقوله الرجل فى مثل هذه الحالة
إذا طالبت به بالزواج .. والرد هو أن الزواج كان يجب أن يتم قبل
الحمل . حتى لا يخرج الطفل الى الناس قبل موعده ..

وتركت محمد يشجعنى ويخفف عنى الخوف الموهوم ..

وكان محمد هو الذى صحبنى الى الطبيب ، ولكنى لم أسمح
له بأن يصعد معى الى العيادة ، تركته ينتظرنى فى الشارع ..
وأصر قبل أن أتركه أن يدفع لى أجر العملية .. وحاولت أن
أرفض ، ولكنى لم أحاول كثيرا ، فأنا — كما قلت — ضعيفة
أمام النقود .. وصاح محمد فى حماس صادق :

— ازاي ده .. ده أنا أبوه ..

ثم أعطانى عشرين جنيها أخرى ..

ودخلت الى عيادة الطبيب .. نفس الطبيب الذى ذهبت
اليه أول مرة .. وكانت هذه هى رابع مرة أذهب فيها اليه ..
ولم تكن المريضة والطبيب هما وحدهما اللذان بيدو عليهما القرف
هنى .. فأنا أيضا كنت قرفانة من نفسى .. قرفا يكاد يقلب معدتى
ويجهضنى دون عملية ..

ورقدت على سرير العمليات بلا خوف . وبنفس البساطة
التي أجلس بها على مقعد الحلاق .. وفى رأسى تصميم هائل
على أن أنهى هذه الحياة التى تمزقتى .. وغبت عن الوعى وفى
رأسى هذا التصميم ..

ونزلت الى الشارع بعد أربع ساعات .

ووجدت محمد فى انتظارى ووجهه غارق فى القلق ..

ولم أفرح به كما فرحت بهاشم عندما وجدته فى انتظارى

عقب ان أجريت أول عملية اجهاض .. ان كل هذه المظاهر لم تعد جديدة على حتى أفرح بها ..

وفى رأسى التصميم الهائل ..

يجب أن أتزوج محمد ..

يجب أولا أن أياس من هاشم ..

ان محمد هو أملى الوحيد ، اذا أردت أن أخرج من هذه الحياة الممزقة ، ويكون لى بيت وأولاد .. وأن أحيأ حياة أستطيع أن أبدو بها أمام الناس .. انى لست أقل من ابنة خالتي ، ولا أقل من ابنة عمى ..

وبدأت أضغط على محمد ..

ولم يعد بيننا الا موضوع الزواج ..

وأصحت أهده .. اذا لم تتزوجنى فسأتركك ..
وقلت له مرة :

— تعرف مين كلمنى النهارده فى التليفون ..

قال فى سذاجة :

— مين ؟ ..

قلت :

— هاشم ..

واحتن وجهه وقال فى حدة :

— وعايذ ايه منك ؟ ..

قلت فى لهجة جدية :

— عايذ يتجوزنى ..

قال :

— زى ما كان متجوزك اظن ؟ ..

قلت :

— لا .. عايذ يتجوزنى شرعى .. وفضل يتحايل على
علشان أحدد له ميعاد مع بابا .. كان عايذ يقابله بكره .

قال وهو يتلوى فى عصبية :

— وقلتى له ايه ؟ ..

قلت :

— ما اديتوشى كلمه ..

قال فى صخب :

— مش ممكن تتجوزيه يا ميتو .. ده راجل سافل .. ومش

حايقدر ينسى انك سبتيه .. وحايجنك ..

وقلت فى حزم :

— أنا لازم أتجوز يا محمد .. ما اقدرش اعيش بالشكل

ده .. واذا ما اتجوزتكش انت ، حاضطر أتجوز هاشم ..

وقال فى توسل :

— انتى عارفه اننا حانتجوز .. بس استحملى لغاية ما أقول

لما ..

وقلت فى حزم أشد :

— ما اقدرش أستحمل أكثر من كده .. انت ناسى اننا بقالنا

مع بعض سنتين ..

وقال وعينه معلقتان فى وجهى :

— ثقى بى .. صدقيني .. انتى عارفه ظروفى ولازم

تستحملها معايا ..

ولم أكف عن الضغط عليه .. الضغط على عواطفه ..

بالتهديد .. وبإثارة غيرته .. وبدموعى .. وبحاجته الى ..

وأخيرا قال لأمه ..

قال لها انه يريد أن يتزوجنى ..

وشقت أمه ثوبها كأنها ترى ابنها ينتحر أمام عينيها .. ولطمت
أخوته البنات على خدودهن .. والتفت عائلته كلها تعارضه ..
وكل أصدقائه أيضا ..
وكان على أن أواجه كل هؤلاء وحدي .. بدأت أعيش في
حرب ..

وكنت قوية .. وكان سر قوتي أن هاشم لا يزال معي ..
مهما حدث لي ، فأستطيع دائما أن أتزود منه بالقوة .. وأستطيع
دائما أن أستند عليه ..

وكانت الطريقة التي خضت بها الحرب هي أن أخذت محمد
من كل هؤلاء .. أخذته من بيته .. من أمه وأخوته .. وأخذته
من أصدقائه .. أصبحت حياته كلها لي .. أصبح لا يستطيع
أن يعيش إلا معي .. وإذا أرادته أمه ، فيجب أن توافق أولا على
زواجنا ..

بل أنى بلغت أيامها من القوة الى حد أنى رفضت أن أتزوج
محمد في السر .. رفضت مجرد الفكرة .. وصممت على
ألا أتزوجه إلا بموافقة أهله .. وأن يقام لي فرح كبير .. وأرى
بعيني كل الناس الذين أطلقوا السنتهم عليّ خلال كل هذه السنين ،
وهم ملتقون حولي يهنئوني بزواجي من أحد العرسان الثلاثة ،
الذين تحلم بهم بنات مصر .. وكنت في كل هذه الأحلام واثقة
من وعده .. أنه يجنبي .. يموت في جبي .. وهو شاب نظيف
لا يمكن أن يحنث بوعده ..

وباعدت تفرغى لحمد من فترات لقائى مع هاشم .. ولكنى كنت
أجد دائما طريقة الأحادثة كل يوم في التليفون مرتين على الأقل
سواء جاء لي شرب قهوة الصباح عندي ، أو ذهبت اليه في
شقتة ..

ولم أكن أقول لهاشم شيئا عما يجرى بينى وبين محمد ..
كنت لا زلت أدعى أمامه بأنى ليس لي علاقة بأحد غيره .. وهو
لم يكن يسألنى عما أفعله .. وكنت لاحظ في صوته رنة اليأس
منى .. ربما كان يعرف أكثر مما أظن .. ولكنه لم يكن يفصح
لي عن شيء .. لم يكن يبدو منه إلا هذه الرنة في صوته ..
رنة اليأس ..

وفي مرة قلت له في التليفون :
— أنا حاسه أنك مخبى عنى حاجه يا هاشم .. فيه حاجه
عايز تقولها وما بتقولهاش ..

قال وهو يضحك ضحكة مرة :
— أصلى لو قلت لك ، حاتحلفى بحياة بنتك .. وأنا مش
عايزك تحلفى بحياة بنتك كذب .. بتصعب على البنت .
وضحكت في مرارة أنا الأخرى ، ولم ألق عليه فى أن يقول
لى ما يخبئه فى صدره ..
الى أن كان يوم ..

وسافرت مع محمد الى السويس لأرى ابنتى .. وكان من
عادتى بعد أن أرى ابنتى أن أقضى ليلتى مع محمد ، ثم أعود
الى بيتى فى الصباح .. ولكننا فى هذه المرة قررنا فجأة أن
نسافر من السويس الى الاسكندرية مباشرة .. وقضينا هناك
ثلاثة أيام فى فندق العجمى .. ثلاثة أيام هائلة .. ثم عدنا فى
مساء اليوم الثالث .. وطول طريق العودة وأنا أفكر فى هاشم
.. واحسنى .. واحسنى موت ..

وما كاد محمد يتركى فى بيتى بعد أن سمحت له أن ينام فى
بيته .. حتى اتصلت بهاشم فى التليفون ، وما كاد يسمع صوتى
حتى فاجأنى قائلا :

— مبروك .. سمعت انكم اتجوزتم ..

وغاب عنى ذكائى لحظة خاطفة ، قلت فيها :

— ابدأ .. لسه ..

ثم تنبّهت الى انى انزلت بلسانى وعدت أقول بسرعة :

— تصدك ايه .. اتجوزت مين .. علشان يعنى ما اتأخرت

أربعة أيام فى السويس .. وفيها ايه .. بنتى كانت عيانه وواخده
أجازه من المدرسه ، قعدت جنبها ..

وقال هاشم ، وصوته ينضح باليأس :

— كفايه كذب يا أمينه .. تأكدى انى حافرح يوم ما تتجوزى

أكثر من فرحتك .. ليه ما تخليش كل حاجة بينا تبقى حلوه
وصريحه .. ليه .. انتى ناسيه ان حينا ما كانش شويه ..

ناسيه السنين دى كلها اللى عشناها مع بعض .. ليه نخسر
السنين دى كلها .. ونسودها بالكذب ..

وكانت مرة من المرات القلائل التى يتكلم فيها هاشم بكل هذا
الصدق .. وبكل هذا الاحساس .. وضعفت أمام صدق

احساسه وقلت فى صوت هفتان :

— محمد فعلا عايز يتجوزنى .. بس لسه ما تجوزناش ..

قال :

— وكنتى مخيبه على ليه ..

قلت :

— كنت خايفه منك .. خايفه انك تعمل حاجة تطفش منى

محمد ، وأنا ما صدقت لقيت عريس كويس ..

قال يقاطعنى :

— ما تقوليش كده .. كل اللى تقدموا لك كانوا كويسين ..

حسن كان كويس .. وفريد كان كويس ..

قلت أقاطعه :

— بس محمد أحسن منهم .. وأصغر منهم .. وأصله هو

دلوقتى متأكد انى سبتك خلاص .. ولو عرف انى لسه باكملك ،

مش ممكن يتجوزنى ، خصوصا انه لسه بيحك فى ..

قال :

— اخص عليكى يا أمينه .. بعد ده كله تفتكرى انى ممكن

أقف فى طريقك .. تأكدى ان كل اللى عايزاه منى حافرحه ..

مهما طلبتى ..

قلت :

— عايزاك تفضل زى ما انت .. وتأكد لكل الناس اننا سببنا

بعض ..

قال فى استسلام لم أتعوده منه :

— حاضر ..

قلت :

— وكلها شهرين ولا تلاته واتجوز .. أنا متأكده .. وفى

الفترة دى حابقى أشوفك فى السر .. بس مش كثير ..

وقال هاشم :

— حاضر .. بس لو ما اتجوزكيش حافرحه ايه ..

قلت :

— أنا متأكده انه حافرحه ايه .. ولو ما اتجوزنيش بعد ده

كله حافرحه .. واذا ما انتحرتش خارج لك .. ومن فضلك

سببني متأكده من اللى باعمله .

قال :

— حاضر ..

قلت :

— فوت على بكره الصبح ، اشرب معايا القهوة ..
وقال هاشم وهو يضحك ضحكة صغيرة :

— حاضر ..

وهكذا .. انقلب الوضع مرة خرى .. اصبحت ابدو مع
محمد فى العلقن ، والقى هاشم فى الخفاء .. واخفى عن محمد
علاقتي بهاشم ، واقول لهاشم ما يجرى بينى وبين محمد ..
انقل اليه الاحاديث التى نقبادلها ، بل ابلغه بكل لقاء لنا ..
الليلة سنذهب الى السينما .. الليلة كان لقاؤنا فى الشقة .
وكنت اشعر بالجهد الكبير الذى يبذله هاشم ليخفى الام
الغيرة التى تفنك به وهو يسمع اخبارى مع محمد .. وكنت
اتلذذ بألمه .. كنت احس كأنى احقنه بكل الامى التى اذقتها لى
عندما كنت له وحده ..

ولم يكن هاشم يبدى تفاؤله من زواجى بمحمد .. كان
يبدو عليه كأنه واثق أن هذا الزواج لن يتم .. ولكنه لم يكن
يفصح عن تشاؤمه صراحة .. ربما لأنه كان يخشى أن اتهمه
بالغيرة من محمد ..

وفى هذه الأيام بدأت اسمع اشاعات خافتة عن هاشم
ونجوى ، قالت لى احدى صديقات امى وكنت قد قابلتها صدفة ،
ان هاشم يجرى هذه الأيام وراء فتاة اسمها نجوى .. وانطلقت
الغيرة فى صدرى .. كدت اجن كعادتى ، ولكنى كتمت غيرتى ..
انى على الأقل أستطيع أن اسمح له بأن يتسلى مع فتاة اخرى ،
الى أن يتم زواجى بمحمد .. واتصلت به بالتليفون وقلت له وأنا
احاول كل جهدى أن ابدو هادئة :

— ايه حكايتك مع ست نجوى دى كمان ..
وقال كأنه يدافع عن نجوى لا عن نفسه :

— ما ميش حاجه .. ما فبش حكاية .. دى عيانه عندى
باعالجها .. وأرجوكى .. انتى عارفة اد ايه أنا بتضايق لما حد
يتكلم عن عيان من بتوعى ..

قلت وأنا احاول أن ابدو ساخرة :

— على كل حال أنا اسمح لك تعرفها .. و ..

وقاطعنى هاشم ضاحكا :

— متشكر قوى ..

واستطردت فى لهجة جادة :

— بس على شرط ما تحبهاش .. أنا ما باحبش محمد ..
أنا بس حاتجوزه ..

وقال هاشم وآثار ضحكته لا تزال بين شفثيه :

— انتى جباره ..

ثم كان يوم آخر ..

يوم رأس السنة الميلادية ..

لقد قضيت ليلة رأس السنة مع محمد .. وحدنا .. فى
الشقة .. وكانت أول ليلة لرأس السنة أقضيها مع رجل املكه
.. فان هاشم كان من عادته أن يقيم حفلة فى بيته كل رأس سنة
.. وخلال انسبع سنوات التى عشتها معه لم يدغنى الى هذه
الحفلة أبدا .. كان يتركنى وحدى .. لاسهر مع بعض اقربى .
أو لأبقى فى البيت .. وكنت عادة أقضى الليلة باكية ، ثم ارفع
عينى الباكيتين ، عندما تدق الساعة منتصف الليل ، وأرسل
لهاشم قبلة فى الهواء .. ثم تدهمنى خيالات بأنه ربما كان فى
هذه الساعة يرقص مع فتاة اخرى ، وربما قبلها عندما اطلعت
الانوار .. فيشتد بكأى .. وأنام فى بحر من دموعى ..

أما هذا العام .. فان لى رجلا أملكه .. استطيع ان اعوض
به كل السنين التى تركنى فيها هاشم وُحدى .. وعندما دقت
الساعة الثانية عشرة .. قبلت محمد .. وفى نفس الوقت أرسلت
قبلتى المعتادة الى هاشم فى الهواء .. ثم انطلقنا أنا ومحمد
نقضى ليلة مجنونة حتى الفجر .

وبمجرد أن فتحت عيني فى الصباح .. لا .. فى الظهر
.. اتصلت بهاشم فى التليفون .. وقلت له وأنا أتشاءب وأتمطى
وأحس أنى أسعد امرأة فى العالم :
— كل سنة .. وانت طيب ..

قال فى صوت قلق كأنه يتحفظ لنقاش طويل :
— وانت طيبه .. انبسطى أبارح ..

قلت فى صوت مسترخ أحاول أن أكيد به :

— ما خرجتتش .. قعدت أنا ومحمد فى الشقة لوحدنا لغاية
خمسه الصبح .. ولسه صاحيه من النوم دلوقت .. هلكانه
يا هاشم ..

وقال كأنه يكتم غيظه :

— بالهنا والشفا ..

قلت :

— وانت عملت ايه ؟ ..

قال :

— ولا حاجة .. نمت الساعه واحده .

وغوجئت .. فقد صورته طوال ليلة أمس وهو برقص ويضحك
ويغازل النساء .. يل صورته وقد سحب امرأة الى شقته فى
آخر الليل ، وكانت هذه التصورات هى التى دفعتنى الى الاندفاع
فى جنونى مع محمد .. وقلت وأنا أشعر بالخيبة ..

— ازاي ده .. نمت بدرى ليه ؟

قال :

— الجماعه اللى كنت عازمهم كانوا معزومين فى حفلات
تانيه .. وأنا كنت تعبان ما رضتتش أروح معاهم .. نمت ..
ومرت بيننا فترة صمت .. كان كلا منا يتحفظ لشيء ينطلق
من صدر الآخر .. ثم قال هاشم وهو يحاول أن يبدو هادئا
جادا :

— اسمعى يا امينه .. ايه رايك نبتدى سنه نظيفه ؟

وقلت فى حدة :

— يعنى ايه ؟

قال :

— يعنى تبتدى تعودى نفسه على انك ما تعرفيش الا محمد
.. تبقى لواحد بس .. وتبطل تشوفينى .. وتبطلى تكلمينى فى
التليفون .. ونقعد على كده سنه بحالها .. والسنه الجايه
زى النهارده ، تكلمينى فى التليفون ، وباذن الله تقوليلى خبر
كويس ..

وصرخت فى وجهه وقد قفزت جالسة فى سريرى :

— أنا عارغه أنت عايز ايه .. أنت عايز تضعفنى قدام
محمد .. وعارف انك لو سبتنى دلوقت حاضعف قدامه .. الأ ..
مش حاسم لك تسيبنى . مش ممكن تسيبنى الا بعد ما أتجوزه
.. ما سمحش لك ولا له انكم تلعبوا بى .. لازم واحد فيكم
يتجوزنى قبل التانى ما يسيبنى ..

وقال وهو يحاول أن يحتفظ بأعصابه هادئة :

— يا امينه اعقلى .. عمر الست اللى تعرف اثنين ما تبقى
قويه .. الست القويه هى الست اللى عندها مبادئ قويه ..

وما فيش مبادئ قويه تقول ان الست تعرف اتنين في وقت واحد ..

وقلت ، وأنا أصرخ :

— ده كلام فاضى .. المبادئ ما بقتش تنفع اليومين دول .. أنا خلاص كبرت .. وبقيت واحده عمليه .. لو كانت المبادئ بتنفع كنت اتجوزتني لما كنت كويسه .. وقال :

— يا أمينه أنتي عارفه اننا لازم نسيب بعض .. واننا جربنا ميت طريقه علشان نسيب بعض .. ما فضلش الا اننا نقطع علاقتنا .. مهمما تعبنا ومهما تعذبنا .. لازم نقطع علاقتنا .. وقلت صارخة :

— مش دلوقتي .. ما تفتكرش اني عايزه أفضل معاك .. انما مش دلوقت .. وقال في حزم :

— أنا قررت خلاص يا أمينه .. وأنا حاسيبك وأنا ضميري مستريح .. أنا سايب لك فلوس تكفيكي سنتين .. وسمايب لك حاجات تقدرى تبيعي فيها وتعيشي بثمنها خمس سنين .. وسمايبك مع شاب كويس ويحبك وتقدرى تعتمدى عليه .. وصرخت :

— انت ما عندكش ضمير .. ومش من حقك انك تسيبنى .. مش من حقك ..

وقاطعني قائلا كأنه يطلق على صدرى رصاصه :

— آسف .. أنا قررت ..

وعدت أصرخ :

— قررت يعنى ايه .. انت فاكرك انك تقدر تستغنى عنى ..

انت دلوقتي باه عندك أربعين سنه ، ومش ممكن تلاشى واحده زيبى ، ولا واحده تحبك زى ما حبيتك ..

وسكتت برهة كأنه بيتلع المله ، ثم قال فى هدوء مفتعل :

— مع السلامة يا أمينه .. ربنا معاكى .

والقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وجننت ..

وعدت بيد ترتعش بجنونى أدير رقم تليفونه .. وما كاد

يسمع صوتى حتى قال ثائرا :

— أنا قلت لك ما تضربيش تليفون الا السنه الجايه ..

ثم القى السماعة فى وجهى ..

ورفعها ..

أبقاها مرفوعة ..

مرت ساعتان والسماعة مرفوعة .. وأنا أدير رقمه كل

دقيقة ، منتظرة أن يعيد السماعة الى مكانها .. ومطمئنة الى أن

محمد لن يلحظ أن تليفونى مشغول ، لأنه نائم فى بيته ..

وأعاد سماعة التليفون الى مكانها .. بعد ساعتين ..

وما كاد يعيدها حتى كنت معه عبر الأسلاك .. وقلت بمجرد أن

رفع السماعة :

— ما تقفلش السكه من فضلك .. أنا ما بتدلعش معاك ..

أنا عايزاك نرى حاجه مهمه ..

وتردد قليلا ، ثم قال فى صوت جاف :

— عايزه ايه ؟ ؟

قلت :

— عايزه فلوس ..

وكنفت خلال هاتين الساعتين قد فكرت فعلا فى أن آخذ من

هاشم نقودا قبل أن يتركنى .. أخذ منه ثلاثمائة جنيه على الأقل ،
حتى أصل بالمبلغ الذى أدخره الى الف جنيه .. ولكن لم تكن
النقود فى حد ذاتها هى كل شيء ، ولكنها كانت حجة أستطيع
بها أن أقنع هاشم بلقائى ، ولعلنى بعد أن القاه أستطيع أن أقنعه
بأن يبقى لى ..

ولكن هاشم أجابنى فى وقاحة لم أعودها منه :

— أنا مش حاديكى فلوس بعد كده . انتى دلوقتى معاكى
راجل يقدر يدبرف عليكى .. روحى اطلبى منه ..
وصرخت فى حدة :

— يعنى انت زى بقية الرجالة .. ما تدفعش الا لما تاخذ
تصاد اللى بتدفعه .

وقال وهو يصرخ فى وجهى كأنه يشتمنى :

— لا .. أنا احسن من بقية الرجالة .. وبكره تعرفى ..

ثملقى سماعة التليفون فى وجهى ..

ولم أياس ..

هل فقدت كرامتى الى هذا الحد ؟

لم أكن أفكر فى كرامتى .. لا اعتقد أن كرامتى كانت مشكلة
بالنسبة لى أبدا .. ولكنى كنت أشعر بأنى أفقد قوتى .. قوتى
على هاشم والتالى قوتى على محمد .. وكنت أحاول أن أسترد
قوتى ..

وبقيت أحاول أن أتصل بهاشم بالتليفون خمسة أيام .. كل
يوم أدير رقمة أكثر من عشرين مرة .. وهو يلقي السماعة فى
وجهى ، أو يرغع السماعة من مكانها ، أو لا أجده .. ولكنى
لم أحاول فى هذه الأيام أن أطارده بتاكسى كما كانت عادتى .
فقد بدأت أخاف .. أخاف من محمد .. أخاف أن يضبطنى وأنا

أطارده هاشم فيتركنى هو الآخر .. وكانت هذه هى أول مرة أخاف
فيها من محمد الى هذا الحد .. لقد بدأت فعلا أفقد قوتى ..
وبدأت مظاهر الضعف تصبغ تصرفاتى .. وأول مظاهر الضعف .
هى الخوف .. سواء خفت من هاشم أو من محمد ..
اكتفيت بأن الاحقه بالتليفون ..

وكنت أعتد على أن هاشم مهما كان مصرا على هجرى ،
ومهما كان قويا فى اصراره ، فلا بد أن تمر به لحظة ضعف يستريح
فيها من هذا الاصرار .. لحظة يكون فيها زهقانا ، أو يائسا ،
أو سكرانا .. ولو صادفته فى هذه اللحظة فانى أستطيع أن
أستغل ضعفه ..
وجاءت اللحظة ..

كنت سهرة مع محمد ، وأعادنى فى الساعة الواحدة بعد
منتصف الليل .. وما كدت أدخل بيتى حتى رفعت سماعة التليفون
وأدرت رقم هاشم ..
ورد على ..

وسمعت فى صوته رنة الضعف ، والاستسلام .. كأنه
كان يبحث عن شخص يرفه عنه .. ولم يلق السماعة عندما سمع
صوتى .. لظل ممسكا بها دون أن يتكلم ..

وقلت فى صوت رقيق كأنى أدلك به أعصابه :

— مش حرام عليك يا هاشم ، تجننى لغاية ما ترد على ..

وقال وهو يتنهد :

— كان لازم أعمل كده يا أمينه ..

قلت برقة :

— بس مش بالشكل ده يا هاشم .. الناس لازم تتفاهم

قبل ما تسيب بعض ..

قال :

— أنا يئست من التفاهم معاكى ..

قلت :

— بس فيه حاجات كتير لازم أقولها لك .. ده عمر طويل

يا هاشم .. مش سنه ولا سنتين ..

قال فى استسلام :

— عايزه تقولى ايه ؟

قلت :

— تقدر تفوت على ؟

وتردد قليلا ثم قال :

— امتى ؟

قلت :

— دلوقتى ..

وتردد أيضا ، ثم قال كأنه فى حاجة الى مفامرة تريح

أعصابه :

— طيب .. بعد نص ساعه حاكون عندك ..

قلت فى فرح :

— مستنياك .. ما تضربش الجرس .. أنا حالفتح لك

على طول ..

وأعدت سماعة التليفون .. وقمت وقلبى يخفق بالفرحة ..

فرحة الانتصار .. ودخلت الحمام ، واستحممت بماء فاتر ..

ثم ارتديت قميص نوم من الحرير .. وسرحت شعرى وتركته

سائلا على كتفى .. وتعطرت بعطرى الذى يحبه هاشم وانتظرتة

وراء الباب .. وما كدت أسمع صوت أقدامه حتى فتحت له ..

ولم أضىء النور .. وسحبته من يده الى غرفة النوم .. وأنا
أهمس :

— ما تعملش صوت .. أحسن البت الخدمة تصحى ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فخادمتى كانت مستيقظة ولكنى
نبهت عليها أن تدخل حجرتها ولا تخرج منها ..

ورقدت على فراشى .. وقميص النوم يكشف عن لحمى ..
وشعرى ملقى فوق الوسادة .. وعطرى ينطلق ويشد هاشم من
أنفه الكبير ..

وجلس هاشم على حافة الفراش ، ومد يده والتقط ولاعة
سجائر ذهبية موضوعة فوق الكومدينو .. وكانت هدية من محمد
ومنقوش عليها الحرفين الأولين من اسمى واستمه وقال وهو
يعبث بها :

— دى هديه من محمد ؟

— آ .. حلوه ؟ ..

قال وهو يشعل اللواعة كأنه يحرقنى بها :

— انتى عبيطه .. بتجرى وراء الحاجات الصغيرة ..

قلت كأتى أغيظه :

— د بيحيب لى هدايا كتير قوى ..

قال :

— وحانتجوزوا امتى ..

قلت :

— لما توافق أمه ..

قال :

— واذا ما وافقتش أمه ..

.. بس ما خبيش .. صريحه .. ما بضحكش عليه وانهمه غير حقيقتي ..

قال وفي عينيه اشفاق :

— ما تقفيش لوحدهك يا أمينه في الموضوع ده .. ما تكرريش غلطتك معايا ..

قلت في زهق :

— يعني عايز أعمل ايه ؟

قال :

— أنا من رأيي تصالحي جوز مامتك وتروحي تقعدى في بيته .. علشان محمد يحس انك مش سايبه .. وان لك عيله ..

قلت وزهقي يزاداد :

— يا حفيظ يا رب ، ده أنا اتخفق لو تقعدت مع جوز أمي يوم واحد .. وبلاش تكلمنى في الموضوع د ، الأنى مش حالسمع كلامك ..

قال :

— لك حق ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة ، وهاشم ينظر في وجهي كأنه يبحث فيه عن فتاة كان يعرفها ، ثم قال :

— رانى مبسوطه دلوقتى ؟

قلت :

— مبسوطه لأنى قدرت أخليك تيجى .. مش أنا شاطره ..

وعاد هاشم يبتسم ابتسامته الساخرة وقال :

— وعايظه تقوليلى ايه ؟

قلت وأنا أنظر في عينيه المنتفختين :

— عايزاك تبوسنى ..

قلت :

— برضه حانتجوزا ..

قال :

— طيب اعملى حسابك انها مش حاتوافق ..

قلت :

— ليه ؟

قال وهو يهز كتفيه :

— لأنها مش ممكن توافق ..

قلت :

— لا .. حاتوافق .. انت ما تعرفش أد ايه هي بتحب ابنها .. وأد ايه ابنها بيحبنى ..

وابتسم هاشم ابتسامه ساخرة ، وقال :

— ابنها بيحبك صحيح ، بس ما اظنش انه حا يتجوزك ..

قلت وأنا أنظر اليه كأنى اتحفز للدفاع عن نفسى :

— ما يتجوزنيش ليه ؟

قال :

— لأن مافيش راجل عاقل يتجوز بالطريقه دي ..

قلت :

— أمال الراجل العاقل يتجوز ازاي ؟ ..

قال :

— يتجوز البنات اللي تقنعه بأنها عاقله .. وانتي أقنعتى محمد

بانك مجنونه ..

قلت في حدة :

— محمد فاهمنى كويس .. فاهم انى واحده صريحه ،

مش مجنونه . أنا ما بعملش أكثر من اللي بتعمله البنات التانيه

ونظر الى هاشم طويلا ، ثم قام وهو يتنهد كأنه يؤدي واجبا
ثقيلًا ، وخلع سترته ، ثم عاد الى ، وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ..
والأول مرة أحس أن شفتيه تاهتا عن شفتى ..

كأنه لا يعرف موضع قبلى ..

القبلة التى عودنى عليها كل هذه السنين الطويلة ..

وأحسست أنه يضغط على أعصابه ، ليفتعل الحماس ..
وبدأت أنا الأخرى أفتعل ..

أفتعل الحماس .. وأفتعل التفانى .. وأفتعل آهاتى ..
لعلى أرضيه .. لعلى أعيدته كما كان .. ولكنه ليس كمحمد الذى
كنت فى أحضانه منذ أقل من ساعتين .. انه بارد .. لا يكلف
نفسه أن يهتم بحاجتى اليه .. انه يأخذنى فى زهق ..

وقام وارتدى ثيابه بسرعة ..

وعاد يجلس على حافة السرير ، وقال وهو ينظر الى فى
شفقة :

— احنا انغيرنا يا أمينه .. ما بقيناش زى الأول ..

قلت :

— أنا ما تغيرتش .. وانت عارف الحاجات دى ما تهميش ..

قال :

— أنا عايز أكلك بصراحه يا أمينه .. انتى عارفه أنا جيت
لك الليلة دى ليه .. لأنك قبل ما تكلمنى فى التليفون .. كنت قاعد
أكلم نفسى ، وكان متهيالى أنى ظلمتك .. كنت باأقول لنفسى انى
ما كانش لازم أسيبك وجيت مخصوص علشان أوكد انى ما غلطتش
.. انك انتى الى غلطتى .. انتى مش كويسه يا أمينه ..
ما تقدريش تبقى كويسه .. ما تقدريش تصونى كرامة أى راجل

.. انتى كنت متجوزه وبتخونى جوزك معايا .. وبعدين انخطبى
واحد وخنثيه برضه .. وبعدين اتجوزتى واحد تالت وخنثيه ..
وكتى بتحببى وتخونينى .. ودلوقتى بتحبى واحد تانى وبتخونيه
برضه .. يبقى مش معقول الـ ..

وقاطعته :

— أنا كنت باعمل كل د علشان خاطر ك .. كل اللى عملته
ده كان بسببك ..

قال فى هدوء :

— مش علشان خاطرى يا أمينه .. انت عمر ك ما عملتى
علشان خاطر حد ..

قلت وأنا أصرخ :

— انت سافل .. أنا ضحيت بكل حياتى علشان خاطر ك ..
ولو كنت اتجوزتى كان زمانى بقيت كويسه ..

قال فى صوت بارد :

— لو كان ممكن تبقى كويسه كنت اتجوزتك ..

قلت وأنا أنهار ضعفا :

— أنا مش عايزه اتجوزك دلوقتى يا هاشم .. عارفه ان
مش ممكن تتجوزنى .. بس خليك معايا لغاية ما اتجوز محمد ..

وابتسم ابتسامة لا معنى لها ، ثم قام واقفا :

— تاكدى لو كان فيه حاجه ممكن أعملها ، كنت عملتها ..

وخرج ..

وجريت وراءه الى باب الشقة ، وتعلقت فى رقبتيه وقبلته
.. وأزاحنى عن صدره فى رفق .. ونظر فى وجهى ، ثم عاد
واحتضننى ، وضمنى الى قلبه فى هدوء ، وترك خده فوق خدى
فترة ، ثم قبلنى فوق جبينى .. وأبعدنى عنه ..

وقلت له قبل ان اغلق الباب وراءه :

— هاشم .. بكره حا اضرب لك تليفون .. وترد على ..

قال :

— باذن الله ..

وخرج ..

وأحسست أنه خرج من حياتى الى الأبد .. وحاولت أن أبعث
هذا الاحساس .. حاولت أن أثق بقوتى على الاحتفاظ به .
واستعادته كلما هم أن يتركنى .. ولكن موجة من الضعف كانت
تزعج على ..

انى ضعيفة ..

والقيت نفسى فى فراشى وبكيت ..

— V —

بدأ هاشم يتبع طريقة جديدة لينخلص منى ..

لم يعد يلقى فى وجهى بسماعة التليفون . لم يعد يهرب ..
كان يرد على فى التليفون بكلمات رقيقة ويضحك ويدلنى كأنه لم
يحدث شئء بيننا أغضبه منى .. وكنت أروى له أخبارى مع محمد .
فيسمعها باهتمام الصديق الوفى ، ويحل لى مشاكلى ، وينصحنى
كأنه فعلا صديق وئى .. ثم .. عندما أطلب لقاءه يقبل بسرعة ..
ويحدد لى موعد اللقاء .. ثم .. قبل الموعد بساعة أو ساعتين
يعتذر .. ويعتذر فى رقة :

— آسف يا أمينه .. جاءت لى حاجة مستعجلة .. معلش

.. مره نانيه .. اضربيلى تليفون بكره ..

وتكرر اعتذاره ثلاث أو أربع مرات .. وبدأت أكتشف خطته
.. وقلت له فى التليفون :

— أنا عارفة يا هاشم . انت مش عايز تشوفنى ..

رد فى حرارة كاذبة :

— أبدا يا أمينه .. وحياتك مشغول .

وقلت فى مسكنة :

— طيب فوت على دلوقت ، وانت رايح للعيان بتاعك ..

دقيقه واحده بس ..

وقال بنفيس الحرارة الكاذبة :

— مش ممكن يا أمينه .. انتى عارفة ..

وقلت وأنا أكاد أبكى :

— اللى تشوفه يا هاشم ..

وأزداد ضعفا يوما بعد يوم .. أحس انى فقدت تأثيرى على

هاشم .. وأحس بالخوف من أن أفقد تأثيرى على محمد أيضا ..

وكنت فى هذه الأثناء أستعمل كل ما بقى فى من قوة للضغط

على محمد حتى يتزوجنى .. ومحمد يتعلل بمختلف الأعذار ..

ويؤكد لى أن أمه على وشك الاقتناع .. وأنا أحتار فى تصديقه ..

ولكنى مضطرة أن أصدقه .. ليس لى طريق آخر الا أن أصدقه ..

وفى يوم .. أدت رقم تليفون هاشم فسمعت الجرس يرن ،

ثم لم يرد أحد .. وكررت الاتصال به .. والجرس يرن .. ولا أحد

يرد .. وفى اليوم التالى ، الجرس يرن ولا يرد أحد ..

لقد غير رقم تليفونه الخصوصى .. الرقم السرى ..

السافل ..

وحاولت الاتصال به فى تليفون العيادة العام ، ولكن التومرجى

هو الذى يرد دائما ، أو الممرضة اليونانية ، وكلاهما يعرّفان

صوتى .. وكل منهما يعتذر لى بأن الدكتور مشغول .. كأنهما تلقيا أمرا بطردى كلما سمعا صوتى ..

وحاولت الاتصال به فى بيته .. فى كل ساعة يخيل الى انه فى بيته .. حتى فى الساعة الثانية صباحا .. فى الخامسة صباحا .. ولكنه لا يرد أبدا .. لم يعد يضع التليفون بجانب فراشه كما تعود .. ان التليفون بجانب فراش أخته .. هى التى ترد دائما .. وأعيد السماعه بمجرد أن أسمع صوتها .. انى لا زلت أكرهها .. أكرهها .. وبدأ عذاب كبير يزحف على .. صحيح أنه مضى على أكثر من شهر لم ألتق فيه بهاشم .. ولكن صوته الذى كنت أسمع فى التليفون كان يحتفظ لى بالأمل فى أنه لا يزال بجانبى .. لا يزال لى .. بل انى كنت قد بدأت أفكر **جديا فى أن أقطع علاقتى بمحمد ، وأعود لهاشم بكلى ..** فهاشم يريحنى أكثر من محمد .. وأشعر بجانبه باطمئنان أكبر .. وهو لا يكذب على ، وقد بدأت أشك فى أن محمد يكذب على .. يفرر بى .. يشدنى وراءه بوعده لن يحققه ..

ولكن هاشم حرمنى من صوته ..

حتى صوته حرمنى منه ..

حرمنى من مجرد الأمل ..

وعندما أحسست انى فقدته ، عادت مسامى كلها تتفتح له .. عادت أعصابى كلها تناديه .. وأشعر بالاختناق .. وأتلوى

فى فراشى كائى راقدة فوق جمر النار ..

انى أتعذب ..

أختنق ..

هل يمكن أن يكون هذا هو الحب ؟

لا .. لا يمكن .. انه ليس الحب .. لا يمكن أن يكون هذا

حبا .. لا يمكن أن أكون حتى اليوم أحب هاشم الى حد أن اتعذب كل هذا العذاب .. بعد كل ما فعله بى .. وبعد كل ما فعلته به .. حتى لو كنت قد أحبته يوما ما فان ما حدث بيننا كان كفيلا بأن يذيب هذا الحب .. يمزقه .. يقتله ..

لا ليس الحب ، انه التعود ..

انى مرتبطة به بحكم العادة .. عقلى تعود عليه .. جسدى تعود عليه .. أسلوب حياتى كلها يعتمد على التعود عليه ..

والتعود أقوى من الإرادة ..

ان الذى يتعود على الحشيش يعلم أنه يزهد أنفاسه .. والذى يتعود على الكونيك يعلم أن الكونيك يكوى أمعاءه .. ورغم ذلك لا يستطيع أن يستغنى عن الحشيش أو عن الكونيك .. لأن العادة أقوى من الإرادة ..

وإذا كان تعودى على هاشم يسمى حبا ، فانى أحبه كما يحب الحشاش الحشيش .. وكما يحب السكر الكونيك ..

واكتشفت أن محمد لم يستطع أن يشفىنى من هذه العادة .. لم يستطع أن يشفىنى من هاشم .. لقد خيل الى يوما ما انى شفيت منه .. وأن محمد شفانى .. ولكن الآن .. وبعد أن تركنى هاشم فعلا .. عا دسلطان التعود يسيطر على بكل جبروته .. بكل حدته .. أصبحت أركب بجانب محمد فى سيارته وعيناي زائفتان فى الطريق تبحثان عن هاشم ، لعلنى أتزود منه بنظرة .. وأجلس مع محمد وعقلى سارح وراء هاشم .. وأنام فى أحضانها فأحتاج لكل ارادتى حتى أنسى هاشم وأنفرغ له ، ولم أكن دائما أستطيع .. ثم لا يكاد محمد يتركنى وحدى حتى يهجم على ربح هاشم بكل قوته .. وأحس بصوته يملأ أذنى .. وأحس برائحته

تملا أنفى . وأحس بلمساته فوق كل قطعة من جسدى .. أتلقى
 .. أجرى الى محمد لعلى أنسى فيه هاشم ..
 ولم أكف عن محاولتى لاستعادة هاشم ..
 أرسلت له خطابا ، لا زلت حتى اليوم أذكر كلماته .. قلت
 له فيه :

« هاشم حبيبى ..

« أنت تعلم أى أحبك .. ولا زلت أحبك .. أكثر من روحى
 .. أكثر من ابنتى .. أكثر من أى شيء فى الدنيا .. وقد ضحيت
 بكل شيء فى الدنيا لأنى أحببتك .. ضحيت بابنتى وبعائلتى ،
 وبمستقبلى ، وبالناس .. ثم أخطأت .. انى أعترف لك انى
 أخطأت .. ولكن كن رحيما وتذكر أنك أنت الذى دفعتنى الى الخطأ
 .. وقد صفحت عما فعلته بى .. فكن كبيرا واصفح عما فعلته
 بك .. وأعدك بمجرد عودتى .. عودتى اليك .. أنى سأكرر
 عن خطئى .. ستجدنى فتاة أخرى .. فتاة تحبك أكثر .. وتحرص
 عليك أكثر .. والمثل يقول : الطبق المشروخ يعيش أكثر .. وقد
 شرخ حبنا ، ولكنه سيعيش .. سيعيش أكثر .. أرجوك ..
 دعنى أعود اليك » ..

وأرسلت له الخطاب بالبريد المسجل على عنوان العيادة ..

ولكن هاشم لم يرد على ..

السائل ..

المجرم ..

وأشدد عذابى بعد أن أرسلت له هذا الخطاب .. أحسست
 أنه امتص كرامتى .. أنه أذلنى أكثر مما ذللت له .. عذاب تنطلق
 فيه نار الغيظ .. الغيظ من السافل الأكبر .. دكتور السفالة .
 ولكن ..



كان لا يزال فى بقية من كرامة يجب أن أذلها .. قبل أن
استسلم لليأس ..

التصلت بصديقه رؤوف ، الذى التقيت مع هاشم فى شفته
أكثر من مرة .. وبكيت له فى التليفون .. بكيت بحرقة .. كان
يكفى أن أسمع صوتا قريبا من صوت هاشم ، لاستريح من كل
دموعى .. وقلت له أن هاشم تركنى لأنى عرفت شيئا يريد أن
يتزوجنى .. وأنى مستعدة أن أترك هذا الشاب ، بل قلت له انى
تركته فعلا .. وأنى الآن أريد هاشم .. يجب أن يعود الى ..
انه مسئول عنى .. ليس من حقه أن يتركنى فى الحياة وحدى ..
وأشفق رؤوف على ..

كأد يبكى معى .. انى استطيع دائما عندها أروى قصتى أن
أثير شفقة الناس على ..

ووعدتنى أن يتصل بهاشم ، ويرد على ..

وغاب ثلاثة أيام ، ولم يرد على .. فعدت واتصلت به مرة
ثانية ، وقال لى بصوت حزين :

— آسف يا أمينة هانم .. هاشم مصمم على موقفه ..
والحقيقة انه أفنعتنى بأن ده أحس لك ..

وصرخت :

— أحسن لى انه يقعد معايا سبع سنين ، وبعدين يرمى
زى الكلبه ..

وقال رؤوف فى حنان :

— أنتى عارفة يا أمينة هانم ان هاشم مش حاي تجوز .. وانتى
الاستحتمليه كتير من غير فايده .. يبقى أحسن انكم تنتهوا من
الحكاية دى ..

وقلت وأنا أشهق بالبكاء :

— طيب بن فضلك ادينى نمرة تليفونه الخصوصية ..

وتردد رؤوف ثم قال :

— آسف .. ما اعرفهاش ..

ثم تردد مرة أخرى واستطرد قائلا :

— الحقيقة اتى اعرفها بس ما اقدرش أقول لك عليها ..
لازم استأذنه الاول .

قلت :

— بلاش .. مش عايزاها ..

والقيت سماعة التليفون ..

وعدت الى العذاب ..

عذاب قلبى المشروخ .. وعقلى المشروخ .. وجسدى
المشروخ .. والشروخ ينزف منها الألم .. وتنزف منها ارادتى ..
قوتى .. وتنزف منها كرامتى ..

ومضت أربعة شهور لم أستطع خلالها أن أتصل بهاشم فى
التليفون .. ولم أره .. ولا حتى صدفة .. لم أكن أعتقد أن
القاهرة واسعة الى هذا الحد .. واسعة الى حد أن يتوه فيها
هاشم منى .. ثم رأيت مرة واحدة فى سيارته .. فى طريق
مصر الجديدة .. وبجانبه فتاة .. لا بد أنها نجوى .. ان الأوصاف
التي سمعتها عنها تنطبق على الفتاة التي رأيتها .. انها جميلة
.. ولكنى أجمل منها .. هل أنا أجمل منها حقيقة .. لا أدرى ..
لا أدرى .. فأتى فقدت الثقة فى نفسى .. فى جمالى .. وعندما
رأيتها انشقت قلبى .. أحسست بالسنة النار تنطلق فجأة فى
كيانى .. وقضيت يومين أبكى .. وأشرد .. وسكين من الألم
يمزقنى .. وتمنيت يوما ألا أرى هاشم مرة ثانية .. لا أريد أن
أراه .. لا أريد .. حتى لا يثير فى كل هذا العذاب ..

وكان يجب أن أياس :٤٠

أياس من هاشم :٤١

ولكى أياس ، يجب أن أكرهه .. أكرهه بكل طاقتى ..
وبدأت أقتنع نفسى بكراهيته .. كرهت كل يوم من أيامى معه ..
ونسبت إليه كل مصيبة حلت بى .. هو الذى ضيع عمرى ..
هو الذى تركت من أجله زوجى .. ثم خطيبى .. ثم زوجى
الثانى .. هو الذى ضيع منى ابنتى .. هو الذى عرضنى لكل
هؤلاء الرجال الذين مروا فى حياتى وعبروا على جسدى .. هو
الذى أفقدنى عائلتى .. سمعتنى .. الناس .. أفقدنى كل شئ
.. ولم يفقد هو شيئاً .. لم يفقد دقيقة واحدة من عمره ..
عجزت عن أن أفقده شيئاً .. لقد تركته فى آخر يوم من أيامه ،
كما كان فى أول يوم التقيت به .. هو هو .. بل كبر .. كبر
فى عين الناس كطبيب ، وأصبح مشهوراً أكثر ، ويكسب أكثر ..
أنا وحدى التى تغيرت .. أنا التى دفعت كل الثمن .. انى أكرهه
.. أكرهه .. وتستبد بى الكراهية الى حد أن أتمنى موته ..
وتتوالى أمام عيني صور للانتقام منه ..

ولكنى عاجزة عن الانتقام .. فأرفع رأسى الى السماء وأصرخ
من كل قلبى : « يارب انتقم لى منه » .. ثم أذفح محمد ليتحدث
عنه حتى يملأ أذنى بشيئته ، ويصوره لى وحشاً آدمياً يأكل
البنات .. لعلى بذلك أقتنع بكراهيتى له ..

ولكنى اكتشفت أن الكراهية كالحب .. كلاهما ذروة من ذرى
العاطفة .. كلاهما يضعك دائماً أمام الشخص الآخر .. يذكرك
به .. ويعيبك بذكراه .. واكتشفت انى أكره هاشم لأنى لازلت
أحبه .. وكلما ازددت كراهية له ، ازدادت حبا ..

لا .. لن أكرهه :٤٢

سأساه ..

وبدأت أحبس لسانى عن ذكر اسمه .. واتجاهل الأشياء
التي تملأ بيتى وتذكرنى به .. أنظر إليها بعينين مبتتين كأنى
أنظر الى أشياء ليس لها حقيقة فى عمرى .. وبدات أبتعد عن
كل صديقة من صديقاتى يمكن أن تحدثنى عن هاشم .. بل كنت
أتعمد الا أمر فى ميدان سليمان باشا حتى لا تقع عينى على
اليافطة التى تحمل اسمه والمعلقة فوق باب العمارة .. وحتى
لا تقع عينى على سيارته .. وبدات أيضاً أتجاهل عواطفى
التي تتور فى صدرى ، ولا أحاول أن أناقشها .. كأن هذه
العواطف عواطف فتاة أخرى ليس لى شأن بها .

انى فى معركة .. معركة مع نفسى .. معركة أشق ما فيها
هى الأشياء الصغيرة .. ان هاشم ليس شيئاً واحداً .. انه
ملايين الأشياء الصغيرة .. أشياء كنت أعتقد انى نسيته من
زمان ، ولكنها تقفز الآن الى خاطرى واحدة بعد الأخرى .. تقفز
ساخنة حية .. كلمة سبق أن قالها لى .. بيجامته المخططة ..
الطريقة التى يمشط بها شعره .. دخان سيجارته وهو ينطلق
من أنفه الكبير .. أصابعه الرفيعة الطويلة .. الخاتم الأخضر
الذى يضعه فى أصبع من يده اليمين .. ضحكته .. أسنانه ..
الطريقة التى يبضع بها الطعام .. و .. و .. ذكريات لا تنتهى
.. ملايين الأشياء الصغيرة ، كان على أن أحاربها ، حتى أقتلها
.. فلا تعود تنغص على عيشتى ..

وكان على حتى أتخلص من تعودى على هاشم ، أن أعود
على محمد وحده ..

انى لم أعود بعد على محمد وحده .. لم أكن له وحده أبداً
.. كان هاشم دائماً معاً .. بل ان هاشم كان مع كل رجل عرفته

.. ليس في حياتي رجل تعودت عليه وحده الا هاشم .. عندما
كنت مخلصه له في السنوات الأولى من معرفتي به ..
وبدأت أرسم حياتي لآكون لآحمد وحده ، وآنعود على هذه
الحياة ..

ولكن محمد تغير ..

ربما لأنه آحس بآنى آزدت حاجة اليه .. آحس بضعفى
بعد أن تركت هاشم .. وقد كنت آحاول جهدى أن آخفى آزدياد
حاجتى اليه .. آخفى ضعفى .. كنت آحاول أن آظل محتفظة
بقدرتى على السيطرة عليه .. ولكنى يوما بعد يوم ، بدأت آكتشف
أن محمد ليس سآزآا كما كنت آعتقد .. وليس ضعيفا .. وليس
مهذبا ولا مؤدبا .. انه سخيؑ .. آحيانا يصل فى سخافته الى
حد لا يطاق .. سخافة الشباب المغرور .. وأنا التى ملآته
بالمغرور .. لقد آعطيته أكثر مما كان ينتظر ، فآعتر .. وبدأ فى
نوبات غريره يحدثنى عن زواجنا بلهجة جديدة .. وبدأ يحاسبنى
من جديد على علاقتى بهاشم .. ثم انطلق مرة آخرى يعلن لى
انه يعلم أنى لم آكن متزوجة بهاشم .. آعلنها كآنه كان يخترنها
فى صدره مدة طويلة .. ثم بدأ يبعدى عن آصدقائه وزوجآتهم
بعد أن عودنى على الاندماج فيهم ، حتى يظل محتفظا بآملى فى
الزواج به .. حتى يجعلنى أشعر بآننا فى يوم ما سنكون مثل
هؤلاء .. زوجا وزوجة .. انه يخيفنى الآن .. يبتعد بعلاقتنا عن
المجتمع .. كآنها شىء لن يعترف به المجتمع أبدا ..

ولم آكن آسكت على هذه السخافات دائما ، كنت آقاومها
بعنف .. وكنت آخاصمه آياما .. ومرتين أو ثلاث مرات جنتت
.. وفى جنونى عدت آحاول أن آتصل بهاشم كآنى آستقيث
به .. آدرت رقم تليفونه .. الرقم القديم الذى آعرفه .. ثم

آفقت برهة الأذكر نفسى بأن الرقم قد تغير .. فعدت آتصل به لى
البيت .. وحسحت فى وجه آخته :

— آدينى آخوكى .. خلىنى آكلمه .

وردت آخته كآنها لا تعرفنى ، ولا تريد أن تعرفنى :

— آسفة يا آفندم .. الدكتور مش موجود ..

ثم آلت السماعه ..

وصرخت ..

صرخت يوما كثيرا ، وأنا أشد شعرى .. وآطم على

آخدى .. كنت آصرخ على خيبتى .. على غبائى .. على ضعفى .

كنت آصرخ لآنى فقدت هاشم ، ولم آتزوج محمد ..

وأخيرا ..

آستسلمت ..

آقنعت نفسى بآنى لن آتزوج محمد .. ما حاجتى الى الزواج

من محمد أو من قبره .. كده آحسن .. لا ينقصنى شىء .. عندى

بيت ، ورجل .. كل ما ينقصنى ورقة .. ورقة ليس لها قيمة ..

آنها ورقة .. ورقة تطلق البرودة والجفاف والملل فى حياة كل

رجل وآمرآة يملكانها .. ورقة لا يمكن أن تزيدنى شيئا ، ولا يمكن

أن تحمينى من شىء .. ورقة يستطيع الرجل أن يمزقها فى آى

وقت ، ثم يدفع المؤخر والنفقة .. وأنا آآخذ المؤخر مقديا ..

والنفقة ..

وبدأت آآخذ نقودا من محمد .. ولكن محمد لا يدفع بنفس

البساطة التى كان يدفع بها هاشم .. انه يحسب حساب كل

قرش .. ويحس بكل قرش .. ويطالبنى بالبضاعة كاملة

يطالبنى بكل دقيقة من عمرى ..

وكنت قد آفقت مع محمد على أن يغير شقته التى تقع

بجوار شقة هاشم .. حتى أبتعد عن كل ما يثير ذكرياتي .. ويثير
احساسى بالأشياء الصغيرة ..

واستأجر محمد شقة فى مصر الجديدة .. وتليفون ..

وبعد مدة ، تركت الشقة التى يستأجرها لى أبى .. قطعت
آخر خيط يربطنى بعائلتى .. وانتقلت الى شقة محمد .. عشت
فيها .. عدت الى مصر الجديدة .. الحى التى تركته وأنا ابنة
عائلة كبيرة محترمة ، عدت اليه بلا عائلة .. لا كريمة ولا محترمة ..

وعشت فى وهم نسجته من خيالى .. أوهمت نفسى ان هذا
البيت بيتى .. وان هذا الرجل زوجى .. وان سيارته سيارتى
.. وعزبته عزبتي .. ونقوده نقودى .. واشتريت دبلة زواج من
الماس نقشت فى داخلها اسم محمد وعلقتها فى أصبعى .. ولم
أكن فى كل هذا أحاول أن أقنع الناس بأنى تزوجت محمد .. لا ..
لم أعد أهتم بالناس .. ولكنى أحاول أن أقنع نفسى .. كنت
أحاول أن أضحك على نفسى ..

وليس معنى ذلك انى طمأنت محمد الى انى لن أتزوجه ..

لا ..

كنت لا زلت أطلبه بالزواج .. وكنت أخفى ياسى واستسلامى
فى صدرى .. ولكنى بينى وبينه أتمسك بالأمل ، وألح فيه ..
ولكن هذا الأمل أصبح مفهوما على أنه مجرد تبرير لعلاقتنا ..

وما كنت أحرص عليه أكثر من الزواج ، هو الا يتزوج محمد
غيرى .. كان هذا الاحتمال يجتنى .. وكنت أحرص على أن يعرف
كل المجتمع الراقى بعلاقتنا ، حتى أسىء الى سمعة محمد بين
العائلات الكبيرة ، ففرض العائلات الكبيرة تزويجه من بناتها ..
وكانت أمه تسعى فعلا الى أن تخطب له .. كنت أسمع عن

تنقلاتها بين البيوت كأنها تستجدى فتاة تنقذ بها ابنها منى ..
وكنت أقول لحمد أن أمه تخطب له .. فيرد فى برود :

— خليها تعمل اللى هى عايزاه .. المهم أنا .. وأنا مش
حاجوز .. انتى عارفه أن مش ممكن أتجوز غيرك ..
ولكنى لم أكن أسكت ..

كنت أثور .. وأطالبه بأن يضمن لى مستقبلى .. وأن يتزوجنى
رغم ارادة أمه وعائلته .. وكنت أغالى فى ثورتى حتى أزهد
أنفاسه .. ولكنه لم يتزوجنى .. وجد حلا آخر .. كتب لى
كمبيالة بخسمائه جنيه تستحق الدفع عند المطالبة .. حتى أطمئن
الى أنه لى يتركنى .. وإذا تركنى أستطيع أن أطلبه بالكمبيالة ..
وكتب كمبيالة اخرى ..

وثالثة ..

أصبحت قيمة الكمبيالات التى كتبها لى الف وخمسمائة جنيه
.. أكبر من مؤخر صداق أى فتاة من أى عائلة كبيرة ..

ورغم ذلك كنت خائفة ..

الخوف فى قلبى دائما ..

وكنت فى حالات كثيرة أتمرد على هذا الخوف .. ولكن الخوف

يعود ويغلبنى .. كنت أخاف أن أفقد محمد .. وكانت تجربتى

السابقة مع هاشم تزيدنى خوفا .. لقد فقدت هاشم وكنت أعتقد

انى لن أفقده أبدا .. وقد أفقد محمد أيضا .. وكان هذا الخوف

يجبرنى على الاخلاص لحمد .. خصوصا أن محمد ليس كهاشم

.. هاشم كان مشغولا عنى .. ولم يكن يعيش معى .. ثم أنه

كان يقتنعنى دائما بأنى حرة أستطيع أن أفعل ما أريد ، ولا يربطنى

بشئ أكثر من رغبتى فى الارتباط به .. ولكن محمد ليس مشغولا

عنى .. أنا عملة الأساسى .. وهو يعيش معى .. ويحاسبنى

على كل لفظة وكل نظرة .. ويظالبنى بكل نفس من أنفاسى نظير
كل مليم ينفقه على ..

مرتين فقط استطعت أن أغلبل الخوف .. وانطلق الى رجل
آخر ..

مرة انطلقت مع حسن .. خطيبي السابق .. انه لا يزال
الرجل النبيل الذى يذكر تاريخ ميلادى ، وتاريخ اعلان خطوبتنا ،
وتاريخ فسح خطوبتنا .. ويحدثنى فى كل مناسبة بالتليفون ..
ويرسل لى هدية .. وهو الوحيد الذى أصبح موضع سرى ..
وأشكو له من محمد .. وأثق فى اخلاصه .. ورغم ذلك لم أكن
له خلال هذه المدة الا مرة واحدة .. انه صاحب حق على ..

والمرة الثانية كانت صدفة .. كانت مع شاب لبنانى ..
التقيت به عندما ذهبت الى زيارة صديقتى سميحة .. واسمها
« سمح » .. كنت يومها قد استأذنت محمد لانزل الى البلد لأطوف
بالدكاكين .. ولكنى وجدت نفسى زهقانة ، فمررت على سمح
فى بيتها بشارع معروف .. وكان هذا الشاب هناك .. وأخذ
يعلمنى رقصة التويست .. وضحكت كثيرا .. وشجعتنى سمح ،
كى أضحك أكثر .. ثم تركتنى له .. وخرجت لتذهب الى مدام
ليلى الخباطة لتجرى بروقات على الثوب الذى سستظهر به فى
الديفليه .. ان سمح تشتغل مانيكان .. وكنت لازلت فى
حاجة لأن أضحك أكثر .. وأرقص أكثر .. واتحرر من الخوف ..
وتركت الشاب اللبئانى يحررنى .. انى لا أذكر الآن اسمه ..
ولم أره من يومها ..

وأكثر من هذا ، لا شىء .. كنت مخلصه لمحمد .. اخلاصنا
دام عامين .. وحب هاشم تقلص وتحجر الى أن أصبح كأنه
« كاللو » فى قلبى .. لا يؤلنى الا كلما ضغطت عليه بالذكريات

.. تماما كما يؤلنى الكاللو الذى فى أصبع قدمى عندما يضغط
عليه الحذاء ..

ثم ..

تزوج محمد ..

قرأت خبر زواجه فى الصحف ..

لقد كان معى فى اليوم السابق على زوجى .. ونام عندى ..
وفى الصباح أبلغنى أنه مسافر الى العزبة .. وفى انصباح
التالى قرأت خبر زواجه ..
وسقطت باردة كالثلج ..

جننت .. ولكنه جنون من نوع جديد .. جنون بارد ..
أخطر وأشد الما من الجنون الصارخ .. ثم فكرت فى أن اقتل
محمد .. ومرت على صور كثيرة للانتحار .. وصور كثيرة
للقتل ..

ولكنى لم أنتحر ..

ولم أقتل محمد ..

ظلت ملقاة على ظهري .. باردة كالثلج .. وعيناي معلقتان
فى السقف .. وأنا أشعر بكل شىء يتغير فى .. أشعر أن شيئاً
فى عقلى يتغير .. وشيئاً فى صدرى يتغير .. وشيئاً فى معدتى
يتغير .. بل أشعر أن دمائى تجرى فى قنوات جديدة .. سرعتها
تتغير .. ولونها داخل عروقى يتغير ..

ونوبة الجنون تخف .. يخففها أنى فى كل يوم كنت أنتظر
اليوم الذى يتزوج فيه محمد ..

ومضى يوماً لم أحاول خلالهما أن أتصل بمحمد أو أبحث
عنه .. وفى اليوم التالى اتصل بى هو بالتليفون .. وسمعت
صوته بأعصاب باردة ، وقلت وشفتاى تتحركان كقطعتى خشب :

— ميروك يا محمد ..

وانطلق قائلا كأنه يبكي :

— أعذريني يا ميتو .. انتى عارفه اد ايه انا قاومت ..
لغاية أمى ما جات لها ذبحه وكانت حاتموت .. وكان لازم اسمع
كلامها واتجوز ..

وقاطعته فى صوت كالخشب :

— على كل حال .. ده حقك يا محمد ..

قال فى حرارة :

— لا .. مش من حقى .. انا عملت كده علشان اتقذ حياة
أمى .. انا ما بحبش الا انتى .. ومش عايز اتجوز .. اللى
جوزوهالى مشر طايقها .. مش قادر ابص فى خلقتها ..
لو عرفتى حالتى حاتعرفى انى متعذب أكثر منك ..
قلت :

— مسكين ..

قال :

— ما تعملينش كده يا ميتو .. اشتمينى .. العنى ابويا ..
بس ما تعملينش كده ..

قلت :

— انت عارف ان عمرى ما احب اشتم حد ..

قال :

— ميتو .. انا لازم اشوفك ..

قلت وانا أهز كتفى بلا مبالاة :

— وماله .. تعالى ..

قال فى حماس :

— مسافة السكه حاكون عندك ..

ولم اهتم بان اتزين له ..

بقيت فى فراشى كما استيقظت من النوم .. وجاء بعد عشر
دقائق .. وانطلق فى البيت يبحث عنى الى ان اصطدم بعينى
الباردتين ..

وقلت فى فتور :

— جبت الالف وخمسيت جنبه ..

وبوغت .. كأنه قد نسى الكبيالات .. وقال وهو يتلثم :

— هو ده كل اللى يهكم يا ميتو ..

قلت فى بساطة :

— تعتقد ان فيه حاجه تانيه ممكن تهمنى ..

قال وهو يجلس على حافة الفراش :

— حيقا ..

قلت فى وقاحة :

— نتكلم فى الفلوس ..

قال :

— انا عايز اؤكد لك يا امينه ان ما فيش حاجه حا تتغير بينا

.. حانفضل زى ما احنا .. وحانفضل مسئول عنك .. مش

معنى انى اتجوزت انى سبتك .. ابدا اللى اتجوزتها مش حا يكون

لها اهمية فى حياتى .. حاجيلك كل يوم .. وحابات عندك ..

ونقدر نتجوز .. حتى لو ما طلقتش اللى اتجوزتها .. انما انا

ناوى اطلقها .. من قبل ما اتجوزها وانا ناوى اطلقها .. و ..

قلت فى صوت جديد انا نفسى لم اعوده من نفسى .

— ادفع الفلوس الاول وبعدين نتكلم .

ونظر الى فى تعجب ، كأنه فوجيء بامرأة جديدة امامه ، وقال

فى تلثم :

ثم رفع عينيه ، ونظر بهما الى وجهى طويلا .. ثم قال فى استجداء :

— **أقدر أبوسك ..**

وابتسمت ابتسامة لا مبالية ، وقلت :

— بوس ..

وتركته يقبلنى .. وتركته يأخذ ما يريد .. ولم أحس به .. حواسى كلها ميتة .. ربما ماتت الى الأبد .. وكان كل ما أراه فى خيالى ، هو عروسة محمد .. المسكينة .. وينطلق من صدرى صاروخ من الشماتة .. الشماتة فيها .. انى شريرة .. انى أعلم انى شريرة .. وأريد أن أكون شريرة ..

ولا لزوم لكل التفاصيل ..

ان محمد لم يدفع الا خمسمائة جنيه .. دفعها خوفا من الفضيحة .. وأسترد الكمبيالات الثلاث .. كان هذا أفضل من لا شيء .. وظل يتردد على .. كل يوم .. فى الأوقات التى يتردد فيها الأزواج عادة على عشيقاتهم .. ويدفع أجر البيت ، وينفق على ..

ولاحظت أيامها انى بدأت أضغ السوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم فى معصمى .. وتتعلق به عيناى وأنا رائدة فى احضان محمد .. لم أعد أحس بشيء .. الا بكراهيته لهاشم .. وبالكالو الذى تركه فى قلبى .. انى لا أكره محمد .. ان محمد ليس الا نتيجة لهاشم .. ولكنى أكره هاشم .. السافل .. دكتور السفالة أكرهه ..

ولم أحتمل طويلا حياتى مع محمد .. تركت البيت ، وانتقلت الأعيش مع صديقتى سمح .. وفكرت فى أن أعمل مثلها « مانيكان » ، ولكن كان يجب أن أتبع نظاما خاصا حتى أخس

— بس انتى عارفه انى ما عنديش فلوس اليومين دول .. قلت فى سخرية حادة :

— ما فضليش حاجه بعد المهر والشبكه ؟ قال :

— أنا ما دفعتش مهر ولا شبكه .. أمى اللى دفعت .. قلت كأنى أهده :

— أنا ما يهمنيش مين اللى دفع .. المهم انى آخذ الفلوس .. ولا ناقص تودينى محكمه .. قال فى خبث :

— انتى عمرك ما حاتدخلى محكمه يا ميتو .. ثم ان المحكمه مش ممكن نحكم لك فى مسائل زى دى .. دى تبقى فضيحة من غير لازمه ..

قلت فى حدة :

— قصدك ايه ؟ ..

قال وهو يزفر أنفاسه :

— أنا حادف لك دلوقتى خمسميت جنيه .. وبعدين نتكلم فى الباقي .. انما مش ده المهم .. المهم اننا نفضل مع بعض .. أنا ما اقدرش أعيش من غيرك يا ميتو .. صدقنى .. أنا باحك .. واعدزبنى على اللى عملته .. ما كنتش أقدر أسيب أمى **تموت ..**

قلت فى هدوء :

— حاتجيب الخمسميت جنيه امتى ..

قال وهو يرخى عينيه :

— بكره الصبح ..

التويست الآن رقصة قديمة ، وكذلك الهالى جالى .. الرقصة
الجديدة هى « تشكن » أى رقصة « الفراخ » .. ثم رقصة
اللبو ..

انى أحب رقصة الفراخ .. دماها خفيف .. يجمع الراقصون
والراقصات فى حلقة .. كل ولد بجانبه بنت .. ويرفعون أيديهم
فى حركة دائرية و ..

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

نفسى ، فقد صنعت فى هذه الفترة قليلا .. قوامى مثير .. ولكنه
لا يصلح ليكون قوام مانىكان .. وأنا لا طاقة لى على انباع نظام
خاص لأخسرس نفسى .. ولا طاقة لى على العمل .. انى أستيقظ
من النوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. وأستهر حتى الصباح
فى « الستريو » أرقص ..

إن « مارلو » متروDOTيل الستريو صديقى العزيز الآن .. وهو
يعرف رقم تليفونى .. ويقدمنى الى كثير من معارفه .. بينهم
أمريكان ، وانجليز ، وفرنسيين ، وسعوديين ، ولبنانيين ،
وكويتيين .. انه يعرف كل العالم .. وهو يأخذ من كل منهم
مبلغا يتراوح بين عشرين وعشرة جنيهات .. يحتفظ لنفسه
بعشرين فى المائة ويعطينى الباقى .. وهذا خير من أن أتعود
على وجل واحد .. لم أعد مغفلة حتى أتعود على رجل واحد ..
ومحمد لا يزال يتردد على ، انه لا يدفع الآن بالشهر ولكنه يدفع
بالليلة .. حسن هو الوحيد الذى لا يدفع .. تكفى هداياه ..
وهو انسان نبيل .. انى أخجل من أن أبدا امامه كامراة تتقاضى
نقودا .. أريد أن أقتعه دائما بانى لم اصل الى هذا الحد ..
وسوار هاشم دائما فى معصمى .. و ..

ولكن ، مالنا وهذه السيرة ..

انا وصديقتى سمح نضحك كثيرا .. كل أيامنا ضحكات ..
وانا أحب الرقص .. أستطيع أن أقول انى أصبحت ملكة الستريو
.. انى أرقص احسن من البنات الصغار ، رغم انى فى الثلاثين
من عمري .. ولكنى أقول انى فى الخامسة والعشرين .. أنا
لا اكذب .. فاتى أرقص كانى بنت الخامسة عشرة .. والعمر
يحتسب بالقدرة على الرقص ، لا بالسنين .